

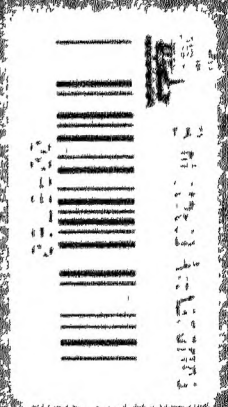
عبد الباق

في

أخلاق الملوك

للحظ

مكتبة
الملك فيصل



RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tadj.)

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للحظا

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي شتات

كاتب أسرار مجلس النواب

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	قنطرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستغناء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستغناء أبي حيان التوحيدي
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خافان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارة إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيد هذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول بيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٧٣ - ٨٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للمحافظ

صفحة

١

المقدمة

٤ إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧ فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

... .. الأشراف وسلامهم وقعودهم وأصرافهم

٧

... .. الأوساط: سلامهم وقعودهم وأصرافهم

٨

... .. استقبال الملك للساوین له وتشييعه أيام

٩

... .. مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١ تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

... .. مانعه حاجب المنصور العباسي مع الفتي الهاشمي، لتأديبه

١٣

... .. تخفيف الندماء والنواص على مائدة الأكابر

١٣

... .. عقوبة الشر عند القُرّس

١٤

... .. مباسطة الملك لثواكله

١٤

... .. بين معاوية والحسن بن علي، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥	ضيافات معاوية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	إخبار ساويرس لرجل، رثمته لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	غسل اليد بحضرة الملك
١٧	إيناس الملك لمدعويه
١٧	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل الغمر [أي منشفة التفر]
١٨	حديث الملك ومحدثه على المائدة
١٨	زمزمة القُرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعله عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء، واحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كيفية الشرب وكيفيته موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمنعنين عند القُرس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	إحتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	مقابلة أردشير لنفسه، لمخالفته هذا القانون
٢٨	إختلال هذا النظام أيام بهرام جور، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء، مقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة شيم في وجهه، هنلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليان، وهشام، ومروان الجعدي ...
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السفاح
٣٤	المصور
٣٤	(كلمة المصور في الشكر والصنعة والمروة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرشيد
٤٢	الامين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشرة الملك لندماؤه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٤٩	عَدْلُ الْمَلِكِ فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ
٤٩	مَكَالِمَةُ التَّنْمَاءِ لِلْمُلُوكِ
٥٠	مَنْ الْمُلُوكُ يَنْعَمُ بِهِمْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقَطْ
٥١	عَدَمُ الْمَعَاقِبَةِ فِي حَالِ الْغَضَبِ
٥٢	آدَابُ الْيَطَانَةِ عِنْدَ قِيَامِ الْمَلِكِ
٥٢	عَدَمُ الدَّقِيقِ مِنَ الْمَلِكِ، إِلَّا بِشُرُوطٍ
٥٣	الِاسْتِمَاعُ لِحَدِيثِ الْمَلِكِ
٥٣	(كَلِمَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ عَنْ جَلِيلِهِ وَثَوْبِهِ وَدَابَّتِهِ)
٥٤	(كَلِمَةُ لِشُعْبَةَ عَنْ قَوْمٍ يَتَنَاقَدُونَ وَيَتَقَامَهُونَ)
٥٤	كَلِمَةُ الْأَمَامُونِ لِسَعِيدِ بْنِ سَلَمِ الْبَاهِلِيِّ عَنْ حَسَنِ إِفْهَامِهِ وَحَسَنِ فَهْمِهِ
٥٤	مَا حَصَلَ لِجَلِيلِ كَانَ أَنْوَشُ رِوَانِ يَسَايِرُهُ
٥٥	مَا وَقَعَ لِأَبْنِ شَجَرَةِ الرَّهَاقِيِّ حِينَمَا حَادَثَهُ مَعَارِيَةُ
٥٨	مَا وَقَعَ لِأَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ حِينَمَا حَادَثَهُ السَّقَّاحُ
٥٩	(كَلِمَةُ أَبِي عِيَّاشٍ الْمَتَوَفَّى فِي آدَابِ الْمَحَادَثَةِ)
٦٠	(كَلِمَةُ رَوْحِ بْنِ زَيْنَبٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	(كَلِمَةُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْقَزَارِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦٠	(كَلِمَةُ مَعَارِيَةَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)
٦١	آدَابُ أَهْلِ الزُّلْفَى بَعْدَ الْمُضَاحَكَةِ مَعَ الْمَلِكِ
٦١	تَنْكِرُ أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ
٦١	صَبْرُ الْمُلُوكِ عَلَى مَضَضِ الْحَقْدِ حَتَّى تُحِينَ الْفُرْصَةُ لِلْإِنْتِقَامِ
٦٢	مَعَاقِبَةُ أَنْوَشِ رِوَانِ لِمَنْ خَانَهُ فِي حَرِيمِهِ
٦٥	نَكْبَةُ هَيْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مِنْ نَازِعَةِ الْمُلْكِ
٦٦	نَكْبَةُ الرَّشِيدِ بِالْبَرَامِكَةِ

فهرس مَّاب "التاج"

صفحة	
٦٦	مراماة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بمحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بمحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصعابة في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيبته
٧٠	الزَّيَّاء على مجالس ملوك العجم عند غياهم
٧٠	مواطن المكافآت
٧٠	بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خُلُق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة، وعلوُّه
٧٢	عُدَّة الملك في خروجه لسفر أو زهرة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك لمُلاعبه
٧٢	حقُّ الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبة ساورلنديه على أمر مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكرة وغيرها
٧٤	لُعبة الشطرنج بمحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت الملك مِسْمَةً من النزم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مساية الملك
٧٧	سُة أكابر العجم عند تبييهم للساية

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبد أثناء مسيرته أقباذ
٧٩	ماحصل لشرحيل أثناء مسيرته لمعاوية
٨٠	تحديرمكن يسير الملوك
٨٠	تطير العجم من مسيرة الملك المنصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسماع عند ما فرط منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما قاله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرط منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الاسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه
٨٩	الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الخماة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة انغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إمتحان أبرويز رجاله في حفظ السر
٩٥	إمتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	إمتحانه من يطمئن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	منازل بهرام جور عن سرقة الخيام الخمل بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فہرس کتاب "التاج"

١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدنانير ...
١٠٢	الرق على قولهم : "المنبون لاعمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى ...
١٠٣	كلمة الحسن بن عليّ بن أبي طالب في المعنى أيضا ...
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداءه
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرّة الراحمة
١٠٤	أكرام أهل الوفاء وشكرهم ...
١٠٥	قُباذ ومادح الجاني على الحكمة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو الخزويّ في مجلس السفاح لمروان بن محمد الجمعديّ ، بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأسورة المختبرون إليه يقتل ملكهم
١٠٩	شيوخه ومادحه على أيّه أبرزين
١١٠	المصور العباسيّ والضارب رأس ابن عمّه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المصور العباسيّ ومادح هشام الأمويّ
١١٢	الأدب عند ما يتكلّم الملك ...
١١٢	الأدب في تحديث الملك ...
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك ...
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتين على الملك ...
١١٣	كلمة رزيق بن زنباع في المعنى
١١٤	كلمة الشعبيّ في المعنى
١١٤	كلمة السفّاح في المعنى ..
١١٤	هذه آبن عياش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١١٧	(عود الى) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالانصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعيب في حضرة الملك ...
١٢٠	تحرين الملك بين رجاله ...
١٢١	آداب السفير ...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير ...
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى ...
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه ...
١٢٤	إحتياط الملك في منامه ومقيله ...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم ...
١٢٤	السنة النبوية في النوم ...
١٢٥	إطلاع الوالدين فقط على منام الملك ...
١٢٥	معاملة الابن لللك ...
١٢٥	ما فعله يزدجرد مع آية بهرام، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا ...
١٢٦	ما فعله مارية مع آية يزيد ...
١٢٦	ما فعله المهدي مع آية الهادي ...
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون ...
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم ...
١٢٧	واجبات ابن الملك ...
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك ...
١٢٩	الحيلة في معالمتها ...

فهرس كتاب "الساج"

صفحة	
١٢٩	ما صنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه روق بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان وأستمادة رضاء عليه ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهمل الهمداني لأسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحفوة
١٣٧	صفات المقرئين
١٣٨	كلمة أنوشروان، وأمثولة "كليلة ودمنة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك، ونظام التشريعات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاتهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم أقتدى بالقرس في تفريق كسوته
١٥٠	لهو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاءة
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تعطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس کتاب "التاج"

٦٣	العقوبة الربانية للـك العالم
٦٤	ما صنع بهرام جور لأخذ ملك أبيه
٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
٦٧	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك
٧١	التمييز بين الأولياء والأعداء
٧٢	بماذا تطول مدة الملك
٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
٧٣	سنة الأعاجم إذا دهمتهم الكوارث والعظائم
١٧٥	ما فعله معاوية أيام صفين
١٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قُبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

التنويه بالأمير الفتح بن خاقان، الوزير العباسي ١٨٦

٣ — ملحقات الكتاب

١٨٩	تكميل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحيحات لأغلاط مطبعية
	استدراك اللهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي أنفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطاً للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

		الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
		الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣		الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	» »	الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
	» »	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

لكتاب "التاج"

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل أسـفـتـاحـها، كما يـبـدئ
بالنعمة قبل أسـتـحـقـاقـها"^(١).

نظرة عامة
في الكتاب، مؤلفه.

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج". وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك".
هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف، ومنشأ أرباب
الغايات؛ أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظامات الدولة العباسية على عهده،
بما تقرّاه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صُدِّرَ سهل بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر "البيان والتبيين"
(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مِرْآةً تُعْجِلُ فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة ، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آتت من العرب بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام ، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسوِّدة من آل عباس ، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام ، وجلس على سرير الخلافة سابعهم ، الميمون النقيية ، المبارك الناصية ، وأعنى به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها ، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : نتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين ، حتى لقد ينسئ الجاحظ خُطَّته ومنهاجه فيسرد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة ، كأنها مألوفة في تلك الأيام ، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام .^(١)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من غول البلغاء . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سمره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقلنا . ولو كان خلاف ذلك ألد ، لكنت الملوك بذلك أولي " . أنظر كتاب الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهندي في " صفة جزيرة العرب " : " وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام ابن جني ألف كتابا سماه " التصريف الملوكي " .

(٢) كان السواد شعرا لئلي العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ " المسوِّدة " [بكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم اليباض ، وذوهم والمتصرون لهم يسون " الميضة " [بكسر اليا المشددة] . وقد أصلح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : " سود أهل المدينة الفلانية " أو " بيضوا " دليلا على أنفوائهم تحت لواء العباسيين أو أنضمامهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٤ ، ص ١٤٦) ، ثم (ص ١١ من ص ١٦٠) من كتاب " التاج " . وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا القليل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه المحافظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية ، وفي أنديتهم العمومية ، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم ، وقصصهم في ليالي أنسهم ، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم ، ومسارح هويهم ، ومراتع طربهم . وناهيك بحالهم في الأغاني والمنادمة ، وبجامعهم في الملاعبة والمداعبة ، ومشاهدهم في المسامرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأمائل في أيام العرب ، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن المحافظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد أنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى إيراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف أستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "إخوة" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتدانية . وقد استعمل المحافظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة وولى الدعوة إذا جاء رسوله - والقرم في أخوتهم وأنديتهم - فقال : أجبوا إلى طعام فلان . لمعلمهم جفلة واحدة - وهي الجفالة - وذلك هو المحمود . وإذا أنتقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ؛ وقم أنت ، يا فلان . قدعا بعضا وترك بعضا ، فقد أنتقر" . [والقرم هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلون "أخوتهم" بإخلاء المعجمة . ولا وجه للإيهام في هذا المقام ، والإيهام هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل المحافظ صفحات كاملة من آيين الفرس وتوانيتهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الأسطرادين الطويلين المرصنين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرا مكتوما في ضمير
الزنان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير ما لا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجسس فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طوط قبو بمدينة القسطنطينية في مجلدة
- هي لعمري ! - من أنفس النخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأننا نحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لأبن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه " الأدب الكبير " بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية المعرفة الوثائق بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : " يتلوه كتاب " التاج " للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَسَرَدَانْ مَا تَجَرَّدَتْ لِنَقْل هذِه المجلدَة من أَوَّلها إلى آخِرها بالتصوير الشمسى ! وقد أحضَرْتُها معى - إلى مقَرَّها الأصيل على ضفاف النيل - فى جملة ماتصَيَّدْتُه من مفاخر العرب وكنوز الإسلام : من غرر التصانيف وروائع الأسفار .

غير أن هذِه المجلدَة لا تحتوى - لا فى أَوَّلها ولا فى آخِرها - على شىء من البيانات التاريخية التى توجد عادة فى الكتب المخطوطة ، فهى خلُو من كل أثر للعلومات التى تدل الباحث على أسم الخزانة التى كُتِبَتْ بِرسمها ، أو على أسم مالك هذِه النسخة ، أو على الذين أَلَتْ إليهم ، أو على كاتبها ، أو على سنة نَسْخِها وموضع كتابتها ، أو على مقابلتها بنسخة أخرى ، ونحو ذلك من التفاصيل الجزئية أو العرضية التى قد يكون من ورائها فائدة كلية أو جوهرية فى معرفة تاريخ الكتاب وهويته وماهيته .

وغاية ما يوجد فيها من هذا القليل هو تعلية مكتوبة فى أسفل طَرَة المجموعة ، تفيد أن رجلا أسمه " يوسف الحلبي " قرأها من أَوَّلها إلى آخِرها ، وأن ذلك كان فى سنة ٨٩٤ هـ . فيجوز أن تكون هذِه للنسخة مكتوبة فى حلب نفسها أو فى القاهرة .

وهذه المجموعة مشكولة من أَوَّلها إلى آخِرها بالحركات . على أن هذا الضبط مما لا يصح الاعتداد به أو الاعتماد عليه فى كثير من الأحيان ، إن لم نقل فى أغلب الأحوال . ولكنها - مهما كان الأمر - من ذخائر مصر . إذ أن حلب كانت فى ذلك الوقت عمالة تابعة لسلطان مصر (وهو السلطان قايتباى المحمودى المشهور) . وبقيت فى حوزة خلفائه إلى أن أترعها السلطان سليم العثمانى من السلطان قانصوه الغورى فى سنة ٩٢٢ للهجرة . فلا بد أن تكون هذِه المجموعة قد وصلت إلى القسطنطينية

كتاب التاج

في ضمن الغنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خرائن الكتب في جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المتقطع النظر^(١) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصرى الذى كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمه بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذى سبق لنا الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعى وبلغه مدى جهدى . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالاتنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1918, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استمالتها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والأئمة ما هو

خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أننى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل^(١)، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابغة بمزية لم يشركه فيها إلى اليوم أحد غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نفحات صدره ونفحات قلبه ماعتمت أن أصبحت متاعاً مشاعاً ونهباً مقسماً بين فرسان الكتابة وقرصان الأدب . فقديمًا سطا عليها المتقدمون من أرباب الأقلام؛ ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مباحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طرفة لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قزرها القاضى الفاضل، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده! ألفنا تراه قد سبجل اعترافه على نفسه، وشرع هذا المورد لمن اقتدى به أو حاول الجرى على سبيله، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما الجاحظ، فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل داره، أو شن على كلامه الغارة، وخرج وعلى كتفه منه الكارة"^(٢) ؟

(١) لذلك آتتصررت فى الفهرس الأبجدي الأول من الفهارس الملحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى آتتصرت بها أو نقلت عنها أو أشرت إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) رأى هذه الكلمة ابن فضل الله العبرى صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الروافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكارة ما يحملها الرجل على ظهره من اليااب . وهى تقارب التى نسيها الآن فى مصر "بقجة" . كلمة تركية، وعربيتها الفصحى "بكجة"] .

كتاب التاج

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأب في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فيلسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بترًا أو يمسخونها مسخا. وكأني بهم قد تماثلوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمرُّ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علقته عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفتُ إليه في "تكميل الروايات"^(١).



لكنَّ العجب المُعْجَب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب ، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعرِ على اسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين، مع شدة التنقيب والبحث، وهذاومة التقلب والحِثْ.

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج"^(٢).

من اسم هذا
الكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الالفة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .
(٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج العروس" : "الحرث تفثيش الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبد الله : أحرثوا هذا القرآن ، أي قدشوه وتؤروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين لحرث الأرض ولحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une science و Cultiver une terre . كما تراه في أحد الروايز الفتورافية (٣) مع أنه هو المكتوب على ملرة النسخة المحفوظة بخزانة طوب نبو، كما تراه في أحد الروايز الفتورافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الروايز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب نبو] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضائها -
مُشكلها .



فَرِغْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد تَوَّه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفها
الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضاً؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" .
ثم رجعتُ إلى ثَبَّتْ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي^(٢)، وراجعتُ ما كتب
عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات"^(٣)، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" .
ونظرتُ فيما أورده كاتب جلبي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أر في كل ذلك أثراً لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني
وجدتُ لياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلبي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً
عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلتُ أن الكتاب واحدٌ، وله آسمان .

أُكِّدُ ذلك الظنَّ عندي وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة النائية الباقية
من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانه
"كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . ورنه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشقيطي بدار الكتب
العثمانية . تطلب الصلة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فثأته كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذي تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجوليوث ، المستشرق الإنكليزي

(٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطبر

المذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة

جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لـ بالفتوغرافية صديق الشيخ فرانسيسكو قداد

D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (Im'adibé Chabot) المستشرق

الفرنسي ، فأتخفى بصورة توغرافية منقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨)

فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بعضهم في طزتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع فوله "في أمور الرئاسة"^(١).

وقد حصلتُ، بحمد الله، على صورتها الفوتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوى على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتها . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دذا نصها : "وكان في المنقول منها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار لإطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان . أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وأبن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

مرد بالتحقيق
في سم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طزة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آستمد ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ لليلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفوتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خلُف من العنواين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“. بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئاً على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان فى ضاعيفه وشيايه كتب أخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل فى تلك الخزنة نفسها .

لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قبو، قد اقتصر على ما رآه فى صدر الورقة الأولى ؛ وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه“ دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً . وذلك لأنه لم يرد فى طرة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاص له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغير“ وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وافقنى الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قبو، واحداً واحداً، كما أتيج لى منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

هو الكلام على
أسم التاج
والكتب المشابهة
بهذا الاسم



وهناك باب للتظني، ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة^(١).
وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها عناوين مختلفة. بل هو نفسه يسميها
بأسماء، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل^(٢).

وبعد، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مولعا بأبن المقفع، ومُعجبا به وبآثاره.
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعاً لذلك الكتاب
العظيم، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان"^(٣)؟

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين.
فاختاره نفر من صدور الصدر الأول، وعنونوا به بعض كتبهم، مجازاة لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم".
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أنتمها الفرس في السير والأسماء
الصحيحة التي للملوكهم"^(٤).

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت. فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب"، وباسم "طبقات
الأدباء". ومثل ذلك كتاب المقرئ، فإن اسمه "المواعظ والأعبار"، وهو مشهور باسم "الخطوط".
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون؟ وأشباه ذلك كثيرة جدا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث، أو كما يقول الجاحظ: "كل من كان كلما يترافها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب". أنظر كتاب الحيوان (ح ٣ ص ٧٣).

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان: "من هو الجاحظ، وما هي مصنفاته"؟ وسأشرها فيما بعد.
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية. وذكره صاحب كتاب الفهرست. وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancev في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢).
(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أنزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج لأبي عبيدة المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب المهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٠، ١١ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن تينبة في كتاب "عيون الأخبار"] .
(٢) ذكر القفطي في كتاب "إساء الرواء على أنباء النحاه" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" (أطهر السحة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأثير في "نزهة الألباء" ولا السيوطي في "بني الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن التميمي (ص ٥٢) وابن خير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" في مادة (ح م ر) لم يذكرأ له غير كتاب الديباج . وما ينبغي أن يدعى إليه أن العبارة التي قلها صاحب "تاج العروس" عن جرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) راها واردة بنصها تقريباً عن "كتاب الديباج" أيضاً في كتاب "الكامل" للرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضاً مع زيادة وقص طيفيين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التحريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد القفطي وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم اتبعه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن النقول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاهيم العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يجعل على العاقل أن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيراً في مثالبهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لابن الراوندي، المتوفى سنة ٣٠١هـ. [رقعه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(١) في كتاب سياه "السبك"^(٢)].
 - ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤هـ. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتوج في العدل والسياسة"^(٣).
 - ٥ - كتاب التاج، لابن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥هـ.^(٤)
 - ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع.^(٥)
- هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره.^(٦)

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيهقي في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦، ٢٠٦٦، ١٣٢٤٢٠، ٦٦٦٦ من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فآلفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الخفية، تاج الحرة للعرى، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المذكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج الملئ، تاج المفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت بما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلبة ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كعبة العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح وجزأبي مفرق، تاج المعارف وتاريخ الخلاف، تاج المفرق في تحليلة علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزاة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، آتلم الخ.

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

فن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحواً من ٣٦٠ مؤلفاً، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريباً فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئاً من أسمائها فى "مرآة الزمان" .

ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جداً من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شك مُريب .

نظرة فى أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجوعته قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته وبجائته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، ألهم إلا فيما لا يؤبه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرُ آداب وأخلاق لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاصٌّ بموضع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

كتاب التاج

نعم، فلقد كانت وظيفة الملاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دونها الفرس في آيينهم وقوانينهم^(١)، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سائحة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي الببابة الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) الببابة معناها : الحد، الوجه، المصلحة، الشرط، القيل، النوع . وأستعملنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الملاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : "ليس لديك من بابة الكتاب، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا" . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : "وقد أيقنا أنها ليس من بابته" . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أيانا تاجيم بن مقبل، هذا محل الشاهد منها :

بني عامر، ما تأمرؤن بشاعر * تحيّر بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلبيين الأولين من الشطر الثاني من البيت الأول (كما صحف وعرف ومسوخ وشوّه في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصى) فأوردتها هكذا "يحيّر بابات" ولكن الصحيح ما أوردته هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول في مادة (ب وب) مثل رواية وقد فسره بقوله : معناه تحيّر هجائيا من بابات الكتاب .

وقال الملاحظ أيضا في كتاب البهلاء : "أنت من ذى الببابة ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه الببابة" (ص ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٤) =

للمحافظ

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينتقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يماثلها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سماتهما.

= ومثل ذلك (في فتح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة لندن ٤ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إنما أزدى بقدرى أننى «لست من "بابة" أهل البلد...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا ذال الناس : من باقى، فعناء من الوجه الذى أريده ويصلح
والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الناية".

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق مالهند" : وبسببه أقول فيما هو باقى منهم ... (ص ١٢).

وفى "شفاء الغليل" أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتورية بدية فى أشعار راقية . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظل : فشى، يجى، وشى، يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧).

(١) أنظر ص ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١

كتاب التاج

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرابة على طبعه وتجزئته.

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "اليان والتبيين". فقد نراه في تضاعيفها يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كما كانت له شهرة أو تجددت لديه الفرصة، بل كما تراى له شق ضئيل يفضي به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدم له في بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بله نجد ما هو أبلغ.

أف تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "اليان والتبيين"؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٢). ومثلها كتاب "البخلاء" في موضع واحد أيضا^(٣).

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢٤ ج ٣ ص ٥١ ج ٤ ص ٦٩ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و(ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ من ص ٥٣، ٥٤) و(ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سيرة وبند الأدي، نراها بنصها وحررها تقريرا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الملاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرة واحدة - إلى المتقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان آتبع عمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أثار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الملاحظ . وقد أشرتُ إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حليتُ بها صفحات هذه الطبعة ، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نجث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثراً محسوساً ملموساً نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الملاحظ . فهذا المسعودي ، قد استحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولا أضطر لنقل حكم الملاحظ ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل أكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢) .

وهذا البيهقي ، هذا حذو المسعودي . ولكنه تحبّط عند ما نقل حكم الملاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه^(٣) .

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٤ و ٣) فيها ، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

كتاب التاج

وهذا صاحب "مخاسن الملوك". سطا تلى "التاج" فنقله كله تقريباً : تارة بالحرف وغالباً بالإختصار . وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط ، غير أنه - بها في آخر الأمر فذكره وسماه بأسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها ^(١) .

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها ، كما يقول الجاحظ ، قائماً في العقل مُطَرِّداً في الرأي غير مستحيل في النظر ^(٢) - فإنها ، والحق يقال ، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذى يحسن التسليم به والسكوت عنده ، لأنها لا تتضمن القول بالمنع ولا الدليل الذى تتلج به الصدور . ونحن إنما نتلمس البرهانات الثيرة الناصعة ، والمجج الظاهرة الساطعة ، والشهادات القائمة الالامعة ، التى ينتهى إليها العلم ، ويقف عندها اليان .



وحيث أن فلاسبيل لإزالة الإبهام وأستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا أستفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب ، لأن قولهما هو الفصل الذى لا نقض فيه ولا إبرام . أعنى بهما : محمد بن إسحاق النديم ، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير . فكان حقا علينا أن نساألهم ، فعند جهينة الخبر اليقين .

مراجعة الميون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذى ألفه العلامة أبى النديم ، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ فى ليبسك ، مدينة العلم بألمانيا . ولكننا لا نرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد .

إستفتاء أبى النديم ،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها .

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧) .

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالحافظ ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدراجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة^٢. وقد ثبت ذلك مثل وصح النهار، بأمور ثلاثة :

أولها - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإحصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "أخصى" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل ، وهو كما يرون . فتأية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصاغاني . وهو مجاز" . ولتأني نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسب إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "إختص فلان بالأمر وتخصص له إذا أقرد" . فإن كان أخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جار بناهم ، ولكننا دفعنا الابس المائق بأختياؤهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ٣١٥) ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٢٠ و ٣٧٦ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

كتاب الساج

ثانيا - أن الأستاذ هوتسما Houtsma دثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فلشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا تفتة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثا - (وهو أبهها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(١). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلّقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أفرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراندي، الناشي، أبوعل الجبائي، الرمانى، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (TVZKLA) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، ورّاق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بـخزانة يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوبرلي .^(١)

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُبسط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصبغة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فاحرة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة .^(٢) ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالي للكلام آخر تقدّم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسنّية بالتدكار الجامع للأقار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع لآل .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة. وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هوتسا هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بَلَّة في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . وَلَكِنْ أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيب : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أترى إلى أن تُتَّج لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تفریط الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد أستوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد أستوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول “ ؟

استفتاء أبي حيان التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٦٩٠٥٨) في ترجمة الجاحظ .

بحسب
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع.

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفاتها، ونقول:

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم: الفتح بن خاقان، ومحمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ.

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا!

التعريف بالفتح
ابن خاقان

١ - الفتح بن خاقان. هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراماً شديداً. وكانت له خزنة حكيمة لم ير الناس أعظم منها: كثرةً وحسناً. جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما استكتبه الفتح نفسه^(١).

وقد كان يشمل برعايته كثيراً من أكابر العلماء^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوكة^(٣). ومن كان في جملة المفضل بن سامة اللغوي المعروف^(٤).

(١) أنظر كتاب الفهرست، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب النابوية: في ترجمة الفتح بن خاقان).

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته.

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل).

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣).

كتاب الساج

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه .^(١) وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قلموها إليه - ومن جملتهم
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير" .^(٢) ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سياتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ بخطوطه بدار الكتب الخديوية ، ثمان واسمان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أغلاد مطبوعة كثيرة .

ولست الخدو طات من الطراز الأزل من حيث الصعة والضبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحشنا . ولا شبهة لنا في أنه من تصليف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يالها الملوك والأمراء والوراء والسادات . ونحن نعلم أنه كان فارساً مقداماً وأنه قتل أسداً ، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحترى .

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث .

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودى بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١) . ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢) . وهكذا الصفدى، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه : "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣) .

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه .

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢) .

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست .

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل) .

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“ . لأنه ربما يكون قد فاتهم ، هذا إن كان . ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح ، أو لمحمد بن الحارث ، أو لملاحظ .

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذى بأيدينا . لأن كتاب ”التاج“ يتضمن فى أوله وفى آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتوبيها بذكره ، وينادى صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١) . ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذى ألفه محمد بن الحارث أو الملاحظ باسم الفتح ، ثم تتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلى كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“ . ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم ، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود فى النسخة المطبوعة^(٢) .

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده .

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث الثغلبى (أو الثعلبى) الذى يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣) .

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير . وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الملاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

كلام عن محمد
ابن الحارث

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج .

(٢) فى نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر . مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التى ثبت أنها من تأليف الكوفى . أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣) .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨) .

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً
بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) وأحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف
محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ،
والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب
الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حيثئذ شأن
كتاب "البيستان" الذى ألفه رأس البقل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ،
ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي
صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن
النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة
فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

كتاب التاج

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمدوه في طبع "الروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهروست" في إيسك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذى بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فتمالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتجبلى به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفنا الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يبدى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب تجبلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطابع المتمكن ، والمعانى التى إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثناياه وأعطافه ، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصائغه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد ، ورب الكلام الذى له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تعرفا كثيرا ، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشى المتقدمة (٤٠) .

ورونق، وفيه قزة العين وجلاء الصدر . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند تُقَاد الألفاظ وصيارفة التثار والنظام وجهابذة المعاني .

والشاهد الصادق والجملة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجمل حُلَّة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهيج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحبب به إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يحارى المعنى : بطريقة تَهَشُّ لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب، وهنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا ، وترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه، ويحتاج إلى المضحك لمحاكاته، كما يحتاج إلى الناسك لعفته، ويحتاج إلى أهل المزمل، كما يحتاج إلى أهل الجدة والعقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم الخفي .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خصيس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير
ولا مؤوف ولا مرعى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة ذنبه كآبن حائك أو نجار ، ولو كان
يعلم الغيب مثلا .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأحراها بأحلافه أن لا يؤاخذ به بركة إن سبته ، ولا بلفظة
إن جلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والخذ في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حل وقسه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ
ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان من يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ ماله ، قاتله دونه ، وكان إذا شتم ، غضب
وأنصر ، وإذا تكلم ، أفصح بقل سقطة : فإذا كانت هذه صفة ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أتاها وبقصد
فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، ففدح في عزه وسامعانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقوة من أحسن
نوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية بجمامة خز سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ،
وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تعني يده منه . فنظر إلى هيئة ملائ قلبه ،
وكان جسيما ، فقال : " يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وجمامة ما تصلح إلا لواحد من الخلق " . فأنصرف فلم
يأت به حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من سماته ، والرجل من حامته وبطائنه : إما لجنائيه في صلب مال ،
أو لغيانته حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة
والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نكنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنائيات وبعد أول
بواد الغضب .

للملاحظ

ثانيا - إن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "الملاحظ".

فقد أعتمد الملاحظ على ^(١) ابن نجيم وعلى ^(٢) إبراهيم بن السدي بن شاهك وعلى محمد ^(٣) ابن الجهم وعلى ^(٤) صباح بن خاقان .
وكذلك شأنه في النقل عن ^(٥) "كَلِيلَة وَدِمْنَة".

أما المداينى والهيثم والشرقي بن القطامي، فالنقل عنهم كثير جدا في كل كتبه .
فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصدده .

ثالثا - إن الملاحظ مشهور بالتكرار والترداد. وهو أمر نشاهده أيضا في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

- (١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩) .
- (٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ج ٥ ص ١٠٣ ، ١١٩ ، ج ٧ ص ١٢) وفي "البخلا" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ١٢٩ ، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧) .
- (٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلا" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥ ، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٢٤ و ٣٥) .
- (٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦) .
- (٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨ ، ج ٧ ص ٢٩ و ٣٠) .

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧٠، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكيفية الشرب وكيفيته (ص ٨٩٠، ٤٩٠، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢٠، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧٠، ١١٢٠، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦٨٠، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالة على وجوب الاحتياط على الملك عند الدقومة (ص ٧٠٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب
يرأها المتأمل بغير عناء .

شارحه إلى كتبه
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

ولعل قائل يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك
العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى
في المقال . وأرثك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . والله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة
"الصيد والجوارح" ، و"الروضة والزهر" ، و"البستان" لا تختمل أن تكون موضوعا
لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب" . أما الذي له الحق
الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب
الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى
ضن بها علينا الزمان ؟

بمعمل التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء

كان لإرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسوداته وتجاريبه ، ثم أُنقطعت لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتاد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقطت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فقد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التعانف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فتصفحها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أحف آتباعي وسروري حينما عثرت في حملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرع فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسمىها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعى كلمة كلمة وحرنا حرفا . فألفت في "الحليّة"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي
أعتمدتها في طبعى، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحليّة"
من التحريف الذى قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحدا ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الرائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذى
يعينى منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التى فيها فائدة جوهرية، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هى التى أكتفيتُ بتحريرها في باب
عنونته باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيحات" حتى يكون "التاج"
متعليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لى وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (سـ) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير، فلا بد لى من أن أقول
في هذا المقام إننى أكلتُ كلاً من هاتين النسختين بالأحرى، وأتعبتُ نفسى كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن
تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأننى شمرْتُ عن ساعد الجسد ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ بكل
ما فى الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى
جاءت طبعى لكاتب "التاج" جامعة لكل ما جاء فى النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق،
ويستغنى بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيتاه قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لي أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثسوسكي . وقد كان قابلي بالقاهرة وفاوضته في شأن "التاج"
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكي يعرف قومتنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفاينهم في البحث عنها . وإلى
أشكره على هذه العناية، وأهنيّ على بلوغه في فن الإنشاء العربي هذه الغاية .

(كما تراه في الصفحتين التاليتين)

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى	محاسن الملوك	مروج الذهب	تنبيه الملوك
ج ٢ ص ١٢	ج ٨ ص ١٣	ج ١ ص ١١	ج ٢ ص ١٦
ج ٥ ص ١٢	ج ٣ ص ١٤	ج ٣ ص ٢٣	ج ٤ ص ٥٥
ج ٤ ص ٥٥	ج ٢ ص ١٦	ج ٣ ص ٢٩	ج ٢ ص ٥٩
ج ٢ ص ٥٧	ج ٤ ص ٣٣	ج ٥ ص ٢٣	ج ٢ ص ٥٧
ج ٢ ص ٥٩	ج ٣ ص ٣٧	ج ١ ص ٥٣	ج ١ ص ٦٥
ج ٣ ص ٧٨	ج ٢ ص ٤٥	ج ٣ ص ٥٥	ج ٥ ص ٦٦
ج ٢ ص ٧٩	ج ٤ ص ٥٥	ج ٢ ص ٥٦	ج ٢ ص ٩٩
ج ٤ ص ٨١	ج ٣ ص ٥٦	ج ٣ ص ٥٧	ج ١ ص ١٢٢
ج ٢ ص ٨٢	ج ٢ ص ٥٧	ج ٢ ص ٥٩	ج ٢ ص ١٨٠
ج ٣ ص ٨٣	ج ٢ ص ٥٩	ج ٤ ص ٥٩	ج ٣ ص ١٨٠
ج ١ ص ٨٨	ج ٣ ص ٧٣	ج ٢ ص ٦٠	
ج ٣ ص ٨٨	ج ٤ ص ٧٦	ج ١ ص ١١٢	
ج ٢ ص ٩١	ج ٣ ص ٧٨	ج ٣ ص ١٢٠	
ج ١ ص ٩٤	ج ٢ ص ٧٩	ج ٢ ص ١٣١	
ج ١ ص ٩٩	ج ٢ ص ٨٢	ج ٢ ص ١٣٢	
ج ٥ ص ١٠٠	ج ١ ص ٨٨	ج ٥ ص ١٣٥	
ج ٢ ص ١٠١	ج ٢ ص ٩١	ج ٤ ص ١٣٥	
ج ٢ ص ١٠٢	ج ١ ص ٩٥	ج ٤ ص ١٧٦	
ج ١ ص ١٠٤			
المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطسبري	الأغاني
ج ٢ ص ٦٥	ج ٧ ص ٢٠	ج ٢ ص ٣٧	ج ٢ ص ٨٢
ج ٢ ص ٦٧	ج ٤ ص ٨١	ج ٢ ص ١٤٣	ج ٤ ص ١٣٤
ج ٦ ص ٦٧	ج ٢ ص ٨٢		
ج ١ ص ٨٨			
ج ٣ ص ٨٨			
ج ١ ص ٩٧			
ج ٢ ص ١٠٠			
نزهة البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدر
ج ١ ص ١٩٠	ج ٥ ص ١٤	ج ١ ص ١٢٢	ج ٢ ص ٥٨
ج ٢ ص ٢٠٢	ج ٤ ص ١٦٩		

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجودة أصلها في خزانة طوب قهر بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجودة أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المجلد لثن، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندي يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندي .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور، خمسة
خمس.

الأرقام المكتوبة في العلة () على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى أعتمدتها في الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاقه وفهارسه ، فوضعت في أعلى الصفحات مثل
المعتاد، وذلك منعا للالتباس .

٣ — الحركات

» هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .

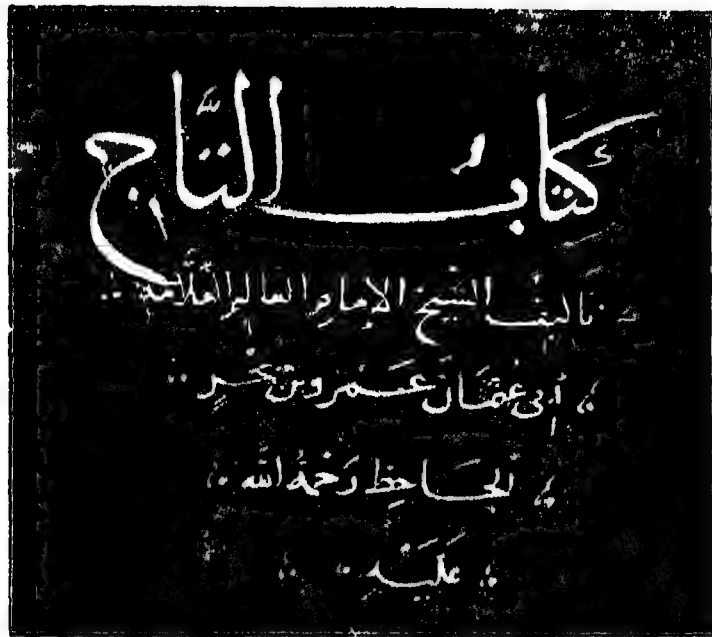
» » » » بكتريين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحين .

عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - ء -) لئى تكرين بمثابة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

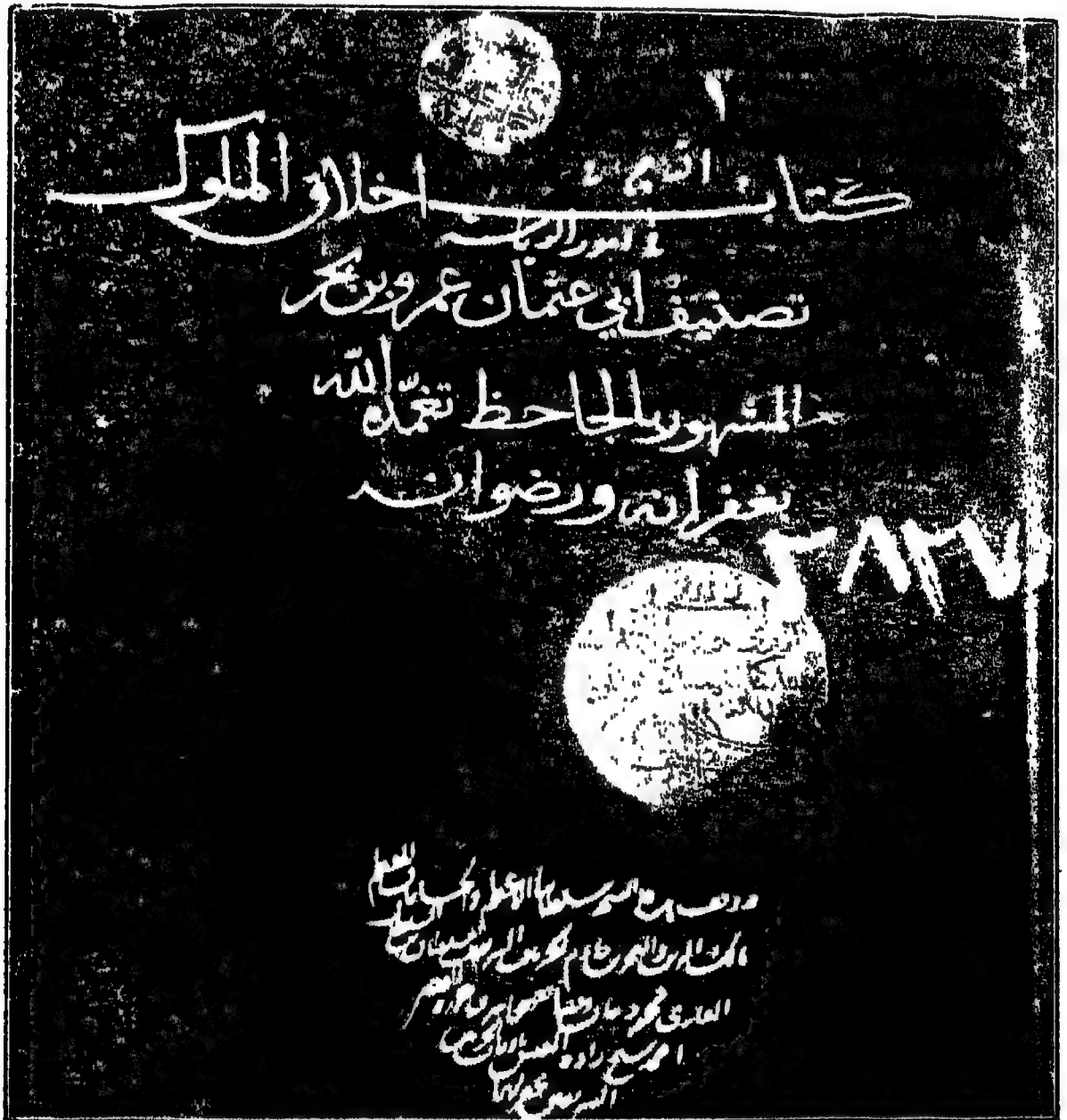
- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال ؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية ، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر ، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الرموز الأول)

تتمثل فيه طرقة السمة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سم)

وهذه النسخة محفوظة بمخزن طوب قيو بالقسطنطينية، رقم ١٣٣ أدب.



(الراموز الثاني)

تتمثل فيه طرة النسخة الثانية المحفوظة بخزانة أياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف ص ٥ في هذه الطبعة

أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ مَرْثَدَةَ بِكَ وَمَلَكُوكَ مَا كُنْتَ أَحَقُّ بِهِ
 مِنْهُ وَأَرَادَ بِكَ سَائِلًا مِنْ جَبَرَتِهِ وَعَتْوِهِ وَتَجَلَّه وَتَكِيدَهُ
 فَانْتَهَى عَنْ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ بِالْحَمْدِ وَبَقِيَ الْفَقْرُ وَبُحْبُوحُ الْبَرِّ وَتَعَلَّى
 بِالْمَوْتِ فَقَالَ سَبْرُ وَبِهِ لِلْمَلِكِ أَنْجَلُهُ إِلَى الْجَلِّ فَتَأَلَّى لَهُ
 كَمْ كَانَتْ أَرْزَاقُكَ فِي حَيَاتِكَ وَأَبْرُورُ قَالَ كُنْتُ فِي أَيَّامٍ مِنَ الْعَيْشِ
 قَالَ فَمَنْ زَيْدٌ فِي بَرِّ زَيْدِكَ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي دَرْزِي شَيْءٍ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرُورُ وَأَبْرُورُ فَانْقَضَتْ مِنْهُ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَادَّ عَاكَ إِلَى الْوُفُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ رِزْقًا
 وَلَا تَرْكُ فِي نَفْسِكَ وَمَا لِلْعَائِدَةِ وَالْوُفُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَمَنْ
 رَجَعَتْ فَأَمْرًا أَنْ يَرْجِعَ لِسَانُهُ مِنْ قَفَاهُ قَالَ يَحْقُوقُ مَا يَدْعُو
 أَنْ لَخُورِ جَعَلَ مِنَ الْبَيَانِ بِمَا لَا يَجِبُ وَحَسْبُ لِي
 مَسَاحُ بْنُ خَاقَانَ قَالَ حَدَّثَنِي لَيْلِي أَنْ أَبَا جَعْفَرٍ سَمِعَ أَنَّ ابْنَ رَأْسِ
 ابْنِ هَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَوْضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَاءَهُ صُرْ أُولَئِكَ
 الرُّؤْيَا فَضَرَبَ الرَّاسَ تَتَوَدَّ كَانَ يَدُهُ نَفَاكَ
 الْمَنْصُورُ لِلْمَسْبُوقِ وَجْهَهُ فَذُو الْمَسْبُوقِ انْعَدُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ

(الرموز الثالث)

يتمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

ويقالها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

٢٩

الآن ودرت نرسه فقلت لئند سبعين وكرثلوا قال شاكنا فامرت
بسبعين بدع وانصرف مك الموت من الدار قال وكذا الرشد
في اخلاق ابي جعفر عظميا كلنا الذي العاليا فانه كان يتواضع
ابي العباس والمديني ومن اخبرك انه رآه يشرب الماء فكلبه وكان
لا يضر شربه ولا خاس جواربه ومن تطاير لثنا فخر كحركة بين
الحركتين في القل والكثرة ومن بين خلفاء بني العباس من حمل
العقبتين مراتب ولبست علي ما وضعهم ارضيا وانو شدان وكان
ابراهيم وانجاح وزلزل في الطبقة الاولى كان زلزل يمزق فيغني
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن داود وعمر والعزال ومن
اشبههما والطبقة الثالثة اصحاب المعازب والزنج والظناير
وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوارهم ومولاتهم كان اذا وصل
واحد من الطبقة الاولى بابا الى الكثير لنفسه جعل لصاحبه الذين
معه في الصنعة نسيبا منه وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصونيا (وهي صفحة ٢٩ ،

ويقالها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو النوايين المفيد والمقاصد الجيد
ابو عثمان غروين نحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخر وهو الحليم
الحكيم احد على تنابح الآيه وتواثر نعمائه وترادف مننه واستوفته
بما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبه له ولا من يشبه
الذي جل عن الاجراء والتمييز والتحديد والتمثيل والمركبة والسكنول
والثقله والرواك والتصرف من حال الحالك لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي هذا انا على وضع كتابنا هذا مطايع فيها ان
الله عز وجل لما خسر الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومن لهم في البلاد
وغولهم امر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشتر
العامة وبغض الخاصة لما كانت تجمل الاقسام التي يجب للملك عليها
وان كانت متمسكة بحللة الطاعة حصنا اذ بها في كتابنا هذا لان نجعله

عياالك قزدت في العدة فقال كذبت فبعثت وقال يا نفس من
 أين علم أني كذبت فاقمت سنة لا أجترئ على كلامه ثم رفعت إليه
 رقعة أخرى في إجرأ الرزق فقال كم عياالك قلت أربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بجري على عياله كذا وكذا ولو لا أن يطول
 الجباب في اسحق وذكره وجيئنا مناقبه ليكننا عنه اخبارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وفيما ذكرنا كفاية والله اعلم بالصواب



هذا الكتاب من جلد
 نسخة المخطوطات
 ليرجع إلى تاريخها
 في فهرسها

(الرموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الخليفة

(أظهر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

كتاب التاج

للجاحظ

بمحقق أحمد زكي باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ»

أحمدته على تتابع آلائه، وتوابع نعمائه، وترادف منته، وأستهديه وأستوفقه لما^(١)
يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء
والتبعض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والثقل والزوال، والتصرف من
حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه ونبيّه! ابتعته على فترة من الرسالة وطُمُوس
من الهداية ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين، «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ
عَلَى الْكَافِرِينَ» والعرب، تَبْدُ أَوْلَادُهَا وَتَنَسَافِكُ دِمَائُهَا وَتَبَاحُ أُمُوهَا وَتَعْبُدُ آلَاتَ
وَالْمُزَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى. فصعد بأمر ربه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن ص ٥.

(٢) الوارد في ص ٥: «تنابح». ولما كان السياق يدل على التناهب واستباحة الأموال، فلذلك صححت

الكلمة بردها إلى مادة (ب روح). قال في لسان العرب: «وَالِإِبَاحَةُ شِبْهُ التَّهَيُّ، وَقَدْ اسْتَبَاحَهُ أَيْ أَتَيْتَهُ».

على أنني لم أعر هذا الحرف مستعملاً بصيغة التفاعل.

دينه، وجاء بما أعجز الحزب. والإنس أن يأتوا ^{بمثله} ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. “
فدسلى الله عليه ودي جميع المرسلين! وخصه بصلاة من نوافله دون العالمين!
وعليه السلام ورحمة الله وبركاته! (١)

أما بعد،

فإن الذى حدا أنلى وضع كتابنا هذا معان :

منها أن الله (عز وجل) لما خص الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكنهم في البلاد، وخولهم أمر السباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم وتقريظهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. يقال في محكم كتابه : “وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات : “
وقال عز وجل : “أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم.” (١٠)

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التى تجب للملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمسألة الطاعة - حصراً آدابها في كتابنا هذا لجعلها قلوقة لها وإماماً لتأديها. (٢)

وأيضاً فإن لنا في ذلك أجرين : أما أحدهما فلما نهينا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تعويم كل ماثل عنها ورد كل نافر إليها.

ومنها أن سعادة العامة في تجهيل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك :
”سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المبالك.“

(١) الفقرتان المحصورتان بين نجمين * مأخوذتان عن ص ٥.

(٢) في ص ٥ لتأديها.

ومنها أن الملوك هم الأمم، والرعية هم البناء، وما لا أس له مهديم.
ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة^(١)
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصير عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضّلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضيع ولا خامل؟

بلي قال تعالى حكاية عن مضي منهم : "وَرَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُوا
السَّيْلَ." وقال تبارك اسمه : "اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ."
وقال جلّت عظمتة : "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي جَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ."
وقال جلّ وجلّ : "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ."
وقال تقدست أسمائه : "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْيُنَ أَهْلِهَا أُنْثَى."

وقال تبارك وتعالى : "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."
وقال عز وجلّ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعني خلقه وأشدّهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره : "إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى."

(١) فسرهما في صم بالشجاعة. وحينئذ تكون ماثلة للفظه Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صم : طبعنا.

فَلْيَتَفَهَّمِ الْحُكَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةَ الَّتِي وَصَلْتُ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِيفَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَيْبَانَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي نُجَيْمٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّنَا" قَالَ: كَتَبْنَا ^(٢).



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهُمَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آدَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ ، وَقُلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ ، وَجَعَلَهُ الْجُمُعَةَ بَعْدَ مُجْمَعَتِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَرَأَيْنَا - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْأَدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ تَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا ' .

إهداء الكتاب

هَذَا أَمِيرُ الْفَتْحِ بَنِي خَاقَا

وَعَلَى طَلِبِهَا مَثَابِرًا ، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا رَاعِبًا ، لِيَبْقَى لَهُ دُرَرُهُ وَيَحْيَا بِهِ سُلُوكُهُ وَيُظْهِرَ بِهَا الظَّلَامَ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ !

(١) فِي صَمِّ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مُقَدِّمٍ عَنْ أَبِي نُجَيْمٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ [

(٢) فِي هَامِشِ صَمِّ : "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُتُبٍ : أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مَرْثَةَ" . وَأَنْظُرْ كِتَابَ التَّفْسِيرِ ،

وَأَنْظُرْ "الْمُسْتَرْفَ فِي كُلِّ فَرْقٍ مُسْتَرْفٍ" لِلنَّبَشِيِّ (ج ٢ ص ٤٤) .

الفاحشة^(١)

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصِف أخلاقه، بل نعيِّزُ عن نهاية ما يجب له لو رُمِّسنا
شرحها . وأيضاً فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكليف وأغور ذهن
وأحد فكر، فاعلمه أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم، ولا يُحيط بها فكر. وأنت تراها
تتزايد منذ أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلاً، وبالجمسم معارضة^(٢) .

- ولعل قارئاً يقول: إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض وانزعُ هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عياناً وتشهده عينك^(٣)
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سيرة من مضى وسيرة من شاهد .
وبالله التوفيق !

(١) وضعت هذا العنوان للفقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وتُشهِد عليك بيانا .

باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وانصرافهم

(١) إن كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا يتأذى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استنداه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها. ثم تتحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أومأ إليه بالعود، قعد؛ فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أمري.

الواسط
سلامهم وقعودهم
وانصرافهم

١٠ وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان تأثياً عنه. فإن استنداه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقفت أيضاً، فإن استنداه، دنا نحواً من دُتوه الأول، ولا ينظر إلى تعقب الملك في إشارة أو تحريك جارية، فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيحه.

١٥ وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق عن يمينه أو شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً لللك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أى الداخل.

(٢) صم: نقت.

(٣) هكذا في سم، صم. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نزوجها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صم: عن.

ولا كلام. وإن استنداه، دنا خطى وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استنداه، دنا خطى أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقيعا أو جائيا. فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع التهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو منسلك لا يحاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

٧

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبعية والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطى ويعانقه، ويأخذ بيده فيقعد في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحتسه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت ضغائن بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادي والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للوار وداعية إلى التعارب.

استقبال الملك
للسايرين له
وتدعيمهم

٨

وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطى يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سره : "مقنعا" بدون إيراد "جائيا" التي عليها. وأقنع الرجل رأسه نصبه أو لا يلفظ يمين ولا شمالا وجعل طريقه موازيا. (قاموس). [أنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صم : الشريعة.

(٣) صم : خدمه.

وقد قلنا إن من حقِّ الملك أن لا يُطيسلَ أحدٌ عنده القعود. فإن أخطأ غطى
في ذلك، فَمِنْ إِذْنِ الملك له بالانصراف أن يلاحظه. ^(٢١) فإذا عَوَفَ ذلك فلم يَقُمْ، كان
ممن يحتاج إلى أديب، وكان الذي وصله بالملك ظالماً له ولنفسه.

10

10

20

(٢) في سره ، ص ١٠٠ : "فنأذن له الملك بالانصراف أن يجعله" . وقد صححت الرواية ليعظم الكلام .

باب في مطاعمة المملوك

تخفيف الأكل
بمضرة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحده وأنيق به حتى طاعمه - أن لا ينسقط بين يديه في مطعمه. فإن في ذلك خللاً منمومة:

منها، أن أنبساطه يدل على شرهه؛

ومنها، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز؛

ومنها، أن فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدّها وكثرة الحركة.

❦

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد، إلا أن يكون الأكل كميسرة التراس أو حفص^(١) الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فاما أهمل الأدب وذوو المروءة، فإنما حظهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأئس الذي خصهم به.

(١) أورد المسعودي هذين الأسمين هكذا: "ميسرة القمار" و"حاتم الكيال". وسمى طابع الابنيسى أولها "ميسرة البراش". وقد أوردنا، مما والرابع الإصفهاني، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكلة تكتسب بالاشارة إلى مواطنها للرجوع إليها. نذكر فقط أسماءهم بالترتيب، أهم: أبو الحسن بن بكر المتألف الشاعر، أبو العالي، أبو ميرة، أحمد بن أبي خالد الأحول، أحمد بن أبي ذؤاد، إسحاق العماني، بسرة الأحول، بلال بن أبي بردة، الجاج بن يوسف الثقفي، حصص (أرحام) الكيال، دروان، دروي القصاب، زهقان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي)، المادل الأيوبي (سلطان مصر)، عبيد الله بن زيد بن أبيه، عمرو بن مقدبرك، قاسم القمار، قف الملقم، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصمعي، مزود، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي)، ميسرة (البراش أو التراس أو القمار)، هلال بن الأسعر، هلال بن سعد المازني، هلال بن مسهر التيمي، وزوجته، الواثق (الخليفة العباسي). (أنظر "المقد العريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦، و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢، ج ٦ ص ٢١٥-٢١٨، ج ٧ ص ١٧٠، ج ٨ =

- * قال: وحدثني إبراهيم بن السندی [بن شاهك] ^(١) عن أبيه، قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا ببنائه، وقال للفتى: ^(٢) أدته. فقال الفتى: قد تغديت، فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن لخطاه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إنا الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شتم أغضيت على ما فيها، وإن شتم سألته وأتم تسمعون. قالوا: فسأله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف، فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذا ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سدة خلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل".

== ص ١١٠؛ و"كتاب الخلا" للجاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأعاني" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧، والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في مآزل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبري سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بذائع الزهور" لأبي إياس (جز ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرنبي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأعاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المداخي كتاباً في "أخبار الأكلة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعراً.
- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كما في "الحاسن والمساوي"] .
- (٣) أي الفتى. [وروي الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة.
- (٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص. وقد أوردتها صاحب "الحاسن والمساوي" بعبارة أخرى (ص ١٧٢).

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الخزائي^(١)، قال: "كنت أحضر على مائدة إسحاق^(٢) ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أخي الأبرد والناقدى. فكنت أعد على مائدته ثلاثين^(٣) طائرا. فاما الحلو والحامض والحار والبارد^(٤)، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأ من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما تكسر الخبز بأظفارنا. "قلت: فما كان ينشطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى نتهب.

وكذلك يجب للملك أن لا يشره أحد إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الأكل^(٥) أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء؛ ويكون أيضا ممن يقصر بعد الأكل^(٦) ويطيل المندامة، ويعمل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء^(٧).

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الجدد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصفير.

عقوبة الشره
عند الفرس

(١) سر: عبد الرحيم. ورواية ص: ربما كانت أحم، فقد ذكر الطبري رجلا بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصمعي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق وهو الذي سيرد ذكره كثيرا في هذا الكتاب.

(٣) سر: "الخزائي قال كنت أعد على مائدة ثلاثين". والتكميل عن ص.

(٤) ص: والبارد.

(٥) أى: نسيب منه. يقال: إنه لقليل الرز، من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) يتيه.

(٧) ص: "هؤلاء، ولا يكون إلا من يقيم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة واختصار في "بحاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشرف لا للشرف".

١٠

١٥

٢٠

والملك - وإن بسط الرجل ل طعامه - فمن حقه على نفسه وجب الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ما تهوى طبيعته ، فإنه من عرف بالشره ، لم يجب له اسم الأديب ، ومن عرف بالهم ، زال عنه اسم التمييز .

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً ، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه ، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضيقه نفسه ، إذا رأى ما يشتهي من بسطه لها .

وحسب الرجل - إذا أتحفه الملك بشحفة على مائدته - أن يضع يده عليها . فإن ذلك يجرته ويزيد في آدابه .^(١)
^(٢)

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقسمها ، نظر إليه معاوية فقال : هل كان بينك وبينها عداوة ؟ فقال له الحسن : هل كان بينك وبين أمها قرابة ؟^(٣)
^(٤)

بين معاوية والحسين
أبي علي بشأن
دجاجة



- (١) صه : ويجب على الرجل .
(٢) أي يكرهه .
(٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب المقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك . (ص ٢٩)
(٤) صه : "بين يدي سيد حليل دجاجة" .
(٥) صه : "وبين أمها" .

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلق عليها قوله : "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك ، والحسن أعلم من بالآداب والرسوم المستحسنة" . (ج ١ ، ص ٢١٣)
(٦) تفدى رجل مع بعض الرؤساء ، فقدم إليه جدياً ، فغصص فيمن فيه . فقال له الرئيس : إنك لتزقه حتى كأن أمه يلهجك ! فقال له : وأنت تشفق عليه كأن أمه أوصتكم . فخلج وأقطع . (أنظر "مطالع البدور" في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعده ملكته

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا قَدْ قَرِحَ فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَمَعَاوِيَةُ لَمْ يَفْلُ هَذَا الْقَوْلَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْظُمُ عَلَيْهِ قَدْرُ الدَّجَاجَةِ.

فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ، وَهُوَ يَكْتُبُ إِلَى أَطْرَافِهِ وَعَمَّالِهِ ^(٢) وَإِلَى زِيَادٍ بِالْعِرَاقِ بِإِطْعَامِ السَّائِلَةِ وَالْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْحَاجَةِ، وَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعُونَ مَائِدَةً يَنْتَقِسُهَا وَجُوهُ جُنْدِ الشَّامِ؟ وَلَكِنْ عِلْمُ أَنَّ مِنْ حَقِّ الْمَلِكِ تَوْقِيرَ مَجْلِسِهِ وَتَعْظِيمَهُ. وَلَيْسَ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ مَذْأَبٌ وَإِظْهَارُ الْقَرَمِ وَشِدَّةُ النَّهْمِ وَطَلَبُ التَّشَبُّعِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ وَبِحَضْرَتِهَا؛ وَعَلَى هَذَا كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ مِنْ لَدُنْ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابَكٍ إِلَى يَزْدَجَرْدَ ^(٣).

اختبار سابور لرجل
رشحه لقضاء القضاة

وَيَقَالُ إِنَّ سَابُورَ ذَا الْأَكْتَفِ ^(٤)، لَمَّا مَاتَ مُوْبَذَانُ مُوْبَذَ ^(٥)، وَصِفَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ كُورَةِ إِصْطَخَرٍ، يَصْلُحُ لِقَضَاءِ الْقَضَاءِ فِي الْعِلْمِ وَالتَّأَلُّهِ وَالْأَمَانَةِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا قَدِمَ، دَخَلَ عَلَيْهِ. وَدَعَا بِالطَّعَامِ وَدَعَا إِلَيْهِ. فَدَنَا فَأَكَلَ مَعَهُ. فَأَخَذَ سَابُورُ دَجَاجَةً فَخَصَفَهَا.

(١) معناه تبرج. وفي سـ: "قلح".

(٢) هو زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته. وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ والأدب. (أنظر "العقد الفريد" ج ٢ ص ٢ - ٦). وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة الأرائل ومسامرة الأواصر). ولذا ينسب كتاب في أخباره، ويكنى في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء لياقوت). وللهجيم بن عدي كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية، وذلك تصحيف من الناسخ أو الطابع، وإلا فلا خلاف في أنه زياد بن أبيه.

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها، وطائفة تقول بالروايتين. والصواب الكسر دون سواء، وهو الذي اعتمدته الإمام الذهبي في كتاب "المشبه في الأسماء"، وكذلك العلامة وشارحون في معجمه الفارسي العربي الإنكليزي.

(٤) تعريب شاه بور. وسماه العرب ذَا الْأَكْتَفِ لانه آتصر عليهم نخلع أكتافهم.

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام. وبقيت وظيفة الموذب أي القاضي إلى أواخر الدولة العباسية، للقيام بأمور المحروس الذين دخلوا في الذمة.

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه. ثم أومأ إليه أن كُل من هذه، ولا تخلطُ بها طعاماً، فإنه أمرٌ لطعامك. وأخفَّ على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كنعو ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور يلحظه.

- هـ فلما رُفعت المائدة قال له: ودَّع وأنصرف إلى بلدك! فإن آباءنا وسَلَفنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرَّه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسُّوقَة والوضعاء أشدَّ شَرهاً." فلم يَسْتَكْفِه على ما كان أحضره له (٢) ومن حقَّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرك يده معه في صحفة. ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كلِّ رجلٍ صحفةٌ فيها كالذي بين يدي الملك من طعامٍ غليظٍ أو دقيقٍ أو حارٍّ أو قارٍّ، ولا ينحسُّ الملك نفسه بطعام دون أصحابه. لأن في ذلك ضَعَة على الملك ودليلاً على الاستئثار.



عدم النظر للملك
عند مؤاكلته

التسوية بين الملك
و بين مدعويه

- (١) في سره: لم يستكفه. ولعلها محرومة عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيراً ما يستعمل الجساحط وصيره، استكفاء بمعنى ولاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به. [انظر ص ٥٠ ص ٧٠-١١ من هذا الكتاب]، وشبه أيضاً "كافي الكفاة" لونه كفاة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صبي) في ولية كانت لهم: قَفَّ بالباب، فأجَبَ مَنْ لا تعرف وأدخِلَ مَنْ تعرف. فقال: والله لا يكون أول شيءٍ استكفيه منع الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). وهذا. وربما يجوز أن تكون محرومة عن "يستكفه" أي "يجده كفواً". والذي في صه: "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن يغسل ويحدد". وليس للجملة بقية، وهي مبتورة ومشوّهة، كما ترى.
- (٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعداً بعض العاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك" والمكايد. وهي مختمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وغزل فيه عليه". ووردت أيضاً مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

- ومن حقَّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرتة يديه من خاصّته وِبَطانته، إلّا أن يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك أنفاً.
- ومن العدل أن يُعطى الملك كلُّ أحدٍ قسطه، وكلُّ طبقةٍ حقّها؛ وأن تكون شريعة العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه رعايتها والمثابرة على التمسك بها؛ وإيناسُ الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى يُسوّى في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامة.
- وليس أخلاقُ الملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يُشبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضّعة. فأما الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحلّون عن هذا المقدار.
- ومن حقَّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلَّ من الخاف بها حتى يتواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.
- ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمره كمنديل وجهه في النقاء والبياض، وأن لا يعاد إليه إلّا أن يغسل أو يُجَدّد.

غسل اليد
الملك

إيناس
الملك لك

١٢

مباينة الملوك
سواء

قيام الملوك
من

منشفة

- (١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.
- (٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في صم.
- (٣) في سم: "لا يشبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في صم.
- (٤) أراد "الحائنين" فوضع المفرد في موضع الجمع، استعمل "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.
- (٥) في سم: "غمره" بالمهملة. وصوابه بالمعجمة، والغمر بالتحريك زخم اللحم وما يعلق باليد من دمه. وهو مماثل ما نسيه الآن في مصر: فوطه الذفر. وليست هذه العبارة واردة في صم.

ومن حقّ الملك أن لا يُحدّث على طعامه بِحدِيثٍ جدّ ولا هزلٍ . وإنِ ابتدأ بِحدِيثٍ ، فليس من حقّه أن يُعارض بِمثله ، وليس فيه أكثر من الاستماع لحدِيثه ، والأبصارُ خاشعةٌ .

حديث الملك
على المتأدّة

ولشيءٍ ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قدّمت موائدهم - زمزموا عليها ، فلم ينطق ناطقٌ بِعَرَفٍ حتّى تُرفع . فإنِ اضْطُرُّوا إلى كلام ، كان مكانه إشارةً وإيماءٌ يدلُّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا^(١) .

زمزمة الفرس على
الطعام وامتناعهم
عن مطلق الكلام



(١) الزمزمة : تراطُّن العلوج على أكلهم ، وهم صُمُوتٌ ، لا يستعملون لساناً ولا شفة في كلامهم ؛ لكثرة صوتِ تديره في خياشيمها وحلقها ، فيفهم بعضها عن بعض . وقد زمزم الطبع ، إذا تكلف الكلام عند الأكل ، وهو مُطَبَّقٌ فيه . وقال الجوهري : الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم - زاد ابن الأثير [في النهاية] : صوتُ نغنى (عن تاج العروس) . وذلك يرادف قول القرنسبين Marmotter .

١٠

قال في مروج الذهب : ” ذكرنا أن كيومرث هو أول من أمر بالسكوت عند الطعام ، لتأخذ الطبيعة بقسطها ، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء . وتسكن النفس عند ذلك ، فتدير لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يؤدّي إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ حقّ الطعام . فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء للقبالة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها . وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب ، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التنفّذ إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك ، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية . وإذا كان ذلك دائماً ، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميزة الفكرية لهذا الجسد المرقّ . وفي ذلك ترك للحكمة ونروج عن الصواب . “ (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك .

١٥

وبمناسبة الزمزمة ، نروى ما حكاه ابن النديم في كتاب ” الفهرست “ (ص ١٩) عن الجاحظ في ” البيان والتبيين “ إن ” لزنج خطابة وبلاغة على مذهبه وبلغتهم ، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حنّ بهم الأمور ولزّتهم الشدائد ، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق ، ثم تكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة ، فيفهم عنه الباقون . قال الجاحظ : وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه . والله أعلم “ .

٢٠

وكانوا يقوون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم. فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشتغل رُوحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جارحة بقسطها من الطعام، فيفتدئ بها البدن والروح الحية انية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، آخذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل^(١) كثيرة هي في آيينهم تركاً ذكرها، إذ كانت ليست من جلس كتابنا هذا.

(١) رسم : وفي ترك الكلام فضائل .

(٢) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها . ومعناها القانون والمادة . (وأنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القياض في تصحيح ما استعمله العامة من العرب والمسلمين والأغلاط" مانصه : "آيين بمعنى العادة . وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة . أجمعى عربيه المولدون . وفي الكشف . ليس من آيين الملوك استراق الظفر . " وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه : "أى في سورة النمل . قيل لذي القرنين : بيث على العذر ! فقال : ليس من آيين الملوك استراق الظفر . وقال مهياري في قصيدة له :

يَجْمَعُ الْخَرِيْتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهَوَّلَ بِأَخْذِهَا آيِيَهُ

وهاتان العبارتان متقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للمفاجي . والخريث هو الدليل البصير بالطريق . وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والأتراك . وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف ونشارد من مانصه :

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرع). Mode, form, manner.

ولأبى هذا الاسم ذكره صاحب المهرست . وكلام الجاحظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والعادات والأمطلاحات المقررة عندهم . والى "آيين الأكامرة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحدثني بعض المُحدِّثين قال: قال بعض الأمراء سواظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي] إذا كنتم عنده؟^(٣)
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن آستماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عيديه،^(٤)
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.

قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصّر كل رجلٍ عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يُؤتى بالحيوان،
فيتضايق ويتسّع، ويقصر ويمتهد. فإذا استغنى، خوى^(٥) تحوية^(٦) الظليم ثم أكل^(٧) أكل
الجامع المقرر.

قال: والجارود هذا هو الذي قال: "سوء الخلق يُفسد العمل، كما يفسد الخلل^(٨) العسل."

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً. وهو أول من جازى القضاء. كان يقول: إن الخصمين يتقدمان
إليّ فأجد أحدهما أخفّ على قلبي من الآخر، فأقضى له. (مخاضة الأوامل ومسامحة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدسده الزمة والحطية. وأظن ترجمته في خزنة الأدب البغدادي (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
في "الأغانى" و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسها).

(٢) المحدث البصري. مدوّق. توفّي سنة ١٢٠ (تهريب التهذيب للمافظ الصقلاني ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبري.

(٤) في الأصل وهو صمد: فنأخذنا.

(٥) انلوا وانلوا: الجوع. وانلوى وانلوا: خلل الجوف من الطعام. وخوى وخوى: نتاج

عليه الجوع. وخوى الطائر تخوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى
الأخير هو الذي أرادته الملاحظ، لأنه في كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة وقصص في الألفاظ والمعاني (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المصنوعة بين نجمتين * مقولة عن صمد.

باب في المناداة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل ندماءه طبقات ومراتب، وأن يُخصَّص ويُعَمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات^(١).

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن^(٢).

وهذه أخلاق الملوك أن يحضروهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حال يجد إلى حال هزل، ومن صحح إلى تذكير، ومن هوى إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرة وتُحط أخرى، وتُعطي مرة وتُحرم أخرى، فلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة^(٣) والنصفة عند المعاشرة، ما لموا الطاعة ورعوا حقها.

(١) كذا في ص، سم. [والسياق يقتضى معنى المراتب.]

(٢) ص: والنبل.

(٣) ص: المفتى. قال في "هاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى أصناف الرجال كحاجته إلى أصناف الأموال، وجب أن يتخير لمسامرته من يكون طيب الأعراف، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو بصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) ص: المرتبة.

وليس من حقِّ الملك أن يَرَحَّ أحدٌ من مجلسه^(١) إلا لقضاء حاجة. فإذا أراد ذلك، فمن الواجب أن يلاحظه. فإن سكت الملك، قام بين يديه ثم لاحظته. فإن نظر إليه، مضى لحاجته. فإذا رجع، قام مائلاً بين يديه أبداً، وإن طال ذلك، حتى يُومىء إليه بالعود. فإذا قعد، فمقبياً أوجائياً. فإن نظر إليه بعد قعوده، فهو إذنه له بالتمكُّن في قعوده.

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها، إنما هذا إلى الملك. إلا أن من حقِّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له، ولا يجاوز به حدَّ طاقته ولا وسع استطاعته، فيخرج به من ميزان القسط وحدَّ القصد: لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه، وهو يعد إلى إحيائها سبيلاً.

كيفية الشرب
وكيفية موكبته
للك، وعليه العدل

- ١٠ ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته، حرصه على إحياء نفسه، إذ كان بهم نظامه.



وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني^(٢) محصورة، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً، لأنها داخلية في أخلاق الملوك.

طبقات الندماء
المغنيين عند الفرس
وفي الإسلام

- ١٥ (١) كذا في س، صـ "يرج أحد من مجلسه" بتعدية يرج بمن. والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه. على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يملكون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا. فقد ورد في التبريزي "لم يرج من مكانه" و"ما برحت من مكان كذا" (شرح الحماسة للطبيب التبريزي طبع أوربته ص ١٦٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بأرج من بايها" (ج ٢ ص ١٣٧). وفي "الحماسن والمساي" قوله: لا أرج من بغداد (ص ١٩٣). [أنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب].

- (٢) سبه: قد مقنما. [أنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب].

- (٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لإبي الفرج الأسفهاني. فقد توفى الجاحظ سنة ٨٢٥ هـ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦. ولا بد أن الجاحظ يعني كتاباً للفرس أو سوزراً آخر =

ولنبداً بملوك الأتاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعندهم أخذنا قوانين الملك والمملكة وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، والزام كل طبقة حفظها والاقتصار على جديلتها.^(١)

كان أردشير بن بابك أول من رتب الأندماء وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم ثلاث طبقات:

== من أسفار الاغانى التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته. هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الاغانى ولم يقيد بشئ آخر من حيث ذكر المؤلف أو غيره. قلعله هو نفس الكتاب الذي يشير إليه الجاحظ. لان المسعودي فرغ من مروج الذهب في سنة ٣٣٦ هـ قبل وفاة أبي الفرج الاصفهاني بعشرين سنة. وهو لم يعرفه المسعودي ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغت.

ويشخص مما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع: أولاً - أن إبراهيم بن المهدي المعروف بابن سبكتة (وهو جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الاغانى. وهو أول كتاب في هذا المنى وصلنا خبره، غير الذي يشير إليه الجاحظ والمسعودي؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وطلح بن العرواء فألفوا له كتاباً في الاغانى وضموا فيه المائة الصوت المختارة؛ ثالثاً - أن كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الواثق، فأمر إسحاق بن إبراهيم الموصلي بتذييعه وتوسيعه. وقد روى صاحب الاغانى (أبى أبا الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسحاق بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه، وأورد جملة من قريد ذلك في مقدمة كتابه. ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه.

(١) "صم: وعندهم أخذنا آيين المملكة" وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب. (٢) هذه الكلمة وردت في صم مهمة من النقط هكذا: "جد طبا". ووفقها كلمة "كذا". وقد اعتمادنا رواية صم. وفيه تفسيرها بقوله: "شأ كتبها". وهذا التفسير مقول عن القاموس.

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب قلعه المسعودي في "مروج الذهب" بالحرف الواحد تقريباً، ولم يشر إلى أنه نقل هذه البيانات عن التاج للمحافظ. وقد جرى هو وغيره على هذه العادة في كثير من العبارات، كما ستراه فيما يرد عليك من الحواش. وقد زاد في هذه العبارة التي نحن بصدها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً، وضم إليها معلومات أخرى. (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٩، وطبع بولاق سنة ١٢٨٢ ح ١ ص ١١٧ - ١١٨)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوَّفٌ ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم النيب مثلاً.

- وكان إردشير يقول: "ما شئ أضُرَّ على نفس ملك من باشر سنيئ. أو مخاطبة وضيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأدب، الحسيب كذلك تنفسد بمعاشرته الدنيء الخسيس، حتى يقادح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرت بيطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرت بالتتن فحملته ألمت له النفس وأضرَّ بأعلاقها إضراراً تاماً." (٤)

(١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (المصباح) [حاشية عن صمد]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم": "إن المعجم لا تضع أسم أسوار لأصل الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier".

(٢) هذه الكلمة وردت في صمد فقط. [ومعناها مصاب آفة].

(٣) الأبنة: العيب. (قاموس)

(٤) هذه العبارة مقولة عن آبن المقفع في "الآب الصمير" وفي "كيلة ودعه".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتاب والمنجمون؛

والقسم الرابع الزُّراع والمِهَّان وأضرابهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئ أسرع في انتقال الدول ونزول الملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الموضع إلى مرتبة الشريف، ويحط الشريف إلى مرتبة الموضع".

مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلا

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحداقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خط الاستواء. ١٠

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه، خص.

(٢) أردشيرين بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبد يعني كبير القضاة الشير اليوم بقاضي السكر. (عن محاضرة الأرائل وسامرة الأمان).

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهمة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مِهَّان" مثل كاهن وكُتَّان وصانع وصنَّاع]. وصل هذا الوجه الثاني ضبطها في صه.

وكان الذى يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب^(١) الونج^(٢) والمعازف والطناير^(٣). وكان لا يزمر الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المُنغنين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يزمر على المغنى إلا من كان معه في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضعية إلى طبقة

احتفاظ الفرس بهذا الترتيب

(١) في سه، صه : وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب تقول الونّ بتشديد النون. وهى الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للخوازمي). وررى في كتاب الملاهى بيتاً للأشعري، وهو:

ومستقى صينى وونّ وبربط * يجاربه صنّج إذا ما ترنّما
وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الونج هو عود الطيب، معرب"، فأنظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد عود الطرب. فصحفها التاج وقات الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختصر"، لأين سيده (ص ١١ - ١٥)، فتعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزى من أنهم أدخلوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولا - ورد هذا اللفظ في شعر ذى الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:

"من الطناير يزهر صوته يملّ في لحنه عن لغات العرب تحجيم".

ومعلوم أن العرب أبدعوا فتح الأندلس في سنة ٨٩٢. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانين لأنقال اللفظ من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرضاه الناس منه.

ثانيا - إن الأسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربى بأداة التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائعا عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقى في لغتهم بهذه الصيغة العربية. وهذا رأى الأستاذ ليناردى الإيطالى في معجمه المسمى Le parole italiane derivate dall'arabo وهو رأى راجح، أيدهاه بشرح صحيح، لبدوى فتح فصيح، ثبت في المعايير الفيج، وماب بين القيصوم والشيخ. (أنظر ترجمته في الاغانى ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة. إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثّر فيه، فيأمر الزامير من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى، فيأبى ذلك. حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراسخ والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول: إن كان ضربى بأمر الملك وعن رأيه، فإنه سيرضى عنى إذا صحا، بلزومى مرتين.

١٦

معاينة أردشير
لنفسه لمخالفة
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمتاعمة، فاحدهما يُميل^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً. وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر. فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام. فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره، دعا بالزامير فخلع عليه وجزاه الخير، وقال: "أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به. فهذا ثواب صوابك^(٣). وكذلك العقوبة لمن أخطأ. وعقوبتى أن لا نزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والحب". فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما.

وما ذاك إلا حثاً على لزوم مستهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العائمة بالسياسة الباقية والأمر اللازم.

(١) جمع مذبة. وهى آلة لطرد الذباب، وهى التى نسميها فى مصر بالمنشدة. أما المراسخ فمروقة، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها فى أيام الدولة العباسية وما بعدها فى كتاب "مطالع البدور فى منازل السرور".

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صم : يميل.

(٣) سم : "فهذا مرأب هذه عمره"، وهى رواية صحيحة تشابه التى اخترناها فى المتن من صم

لأنها مختصرة مفيدة.

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جُور بن يَزْدَجَرْدَ ، فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسَدَنَة بيوت النيران على ما كانت ، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطرَبَه - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة الأولى ، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية . فأنسد سيرة أردشير في المغنيين وأصحاب الملاهي خاصة . فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان ، فردَّ الطبقات إلى مراتبها الأولى .

اعتلال هذا النظام أيام بهرام جورد وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لَدُنْ أردشير بن بابك إلى يَزْدَجَرْدَ محتجب عن الندماء بستارة . فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً . لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع ، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع .

احتجاب ملوك الفرس عن الندماء ومقدار المسافة بين الطبقات

- ١٠ وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نُحْرَمَ باش" ^(٢) . فإذا مات هذا الرجل وكُلَّ بها آخر من أبناء الأساورة وُسِّمَ بهذا الاسم . فكان "نُحْرَمَ باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله ، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : "يا لسان ! احفظ رأسك" ^(٣) ، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك ! " ثم يزل .

- ١٥ (١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرد أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للثعالبي (صفحة ٥٤٤) .

(٢) سم : "نُحْرَمَ باش" . وصحنا عن صه وعن المسعودي الذي قال : "وتفسير ذلك : كن قريحاً" .

(٣) في سم : "يرفع" . والتصحيح عن صه وعن المسعودي .

(٤) سم : "يعرب" . والتصحيح عن صه وعن المسعودي .

(٥) صه : الرأس .

فكان هذا [فعلهم] في كل يوم يجلس فيه الملك للهويه، ولا يجترى أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حتى تحرك الستارة، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه، ويقول: افعل يا فلان كذا، وتنفى أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: أطراقا وإخبانا وسكوت طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رقعة ويرفعها قبل شغلي فأفهم ما فيها».

(١) صه : يفيض .

(٢) سه : تحوّل الستارة فيؤمر .

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب . (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن الجاحظ .)

(٤) قال في أساس البلاغة : كانا في نقاب واحد : أي كانا مثلين وتظهيرين . وفي سه : في نصاب واحد .

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا .

(٦) كذا في سه ، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب] . والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" وفي "النتيجه والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط ، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر . وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن .

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر . وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا . وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية . قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده . يؤيد ذلك ابن الأثير والتمالي . والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تعبريف من الناصح للفظه "الأصفر" .

(٧) سه : تنقل .

وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ أَمْرِي، وَعَقِلَ صَحِيحٌ وَفَكْرِي جَامِعٌ. “فَتَنَ سَأَلَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ حَاجَةً، ضَرَبَتْ عَقَبَهُ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ هَذَا. وَكَانَ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَلَا يُعْطِي مُبْتَدَأًا. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَلَكَ بِهَرَامٍ جُورًا، فَكَانَ يَقُولُ لِلنِّسَاءِ: “إِذَا رَأَيْتُمْنِي قَدْ طَرَبْتُ وَنَحِرْتُ مِنْ بَابِ الْحَدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ، فَسَلُوا حَوَائِجَكُمْ. “وَكَانَ يُوَكِّلُ بِحَوَائِجِهِمْ صَاحِبَ السَّتَارَةِ. فَكَانَ إِذَا مَسَّكَ، مَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ بِرِقَاعِهِمْ، فَأَخَذَهَا صَاحِبُ السَّتَارَةِ، فَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَصَمَّهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ: “أَنْفِذُوا كُلَّ مَا فِيهَا. “فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا بَلَغَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَوَائِلِ فِي إِقْطَاعِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنٍ أَوْ طَلِبِ مَنَحَةٍ ^(١) أَلْفَ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تِبَاعًا.



١٠. وَكَانَ إِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمْ فِي رَقْعَتِهِ مَا لَيْسَ يَحُوزُ لِمَثَلِهِ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِفْرَاطِ - لَمْ تُقْضَ لَهُ حَاجَةٌ، وَتَمَّى جَاهِلًا، وَلَمْ تَتَّخِذْ لَهُ رُقْعَةً بَعْدَهَا أَبَدًا.

- ثم لم يكن ذلك بعد في أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك. فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، واستخف بآيين المملكة، وأذن للنساء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه ^(٢) والرد عليه.

التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك

وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف.

أول خليفة شتم في وجهه. هزلًا

(١) ص: "منحة"، وهي المنحة أيضا.

(٢) ص: "وداعل".

(٣) ص: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ وص ٢٣ وص ٧٧ من هذا الكتاب) ٢٠

قلتُ لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للنساء والمنعنين؟^(١)

(١) في ص: لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وابو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها. فتقصيتُ كلَّ من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الملاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين: أحدهما (وهو الذي يتبادر الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت الجيد في الفناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصبي (حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد عفا.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصبي، لأنه من ذوي قرابة طاهر بن الحسين: قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من نراسان، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عاين التاريخ الإسلامي. فكيف يكون إسحاق المصبي قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والصلوات؟ (أنظر ص ٤٣ من هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فما أشبه بأن يكون هو الراوي لخبر، لولا أن عبارة الملاحظ مضطربة متوشة بحيث إنها لو بقرت على حالها كما هي واردة في ص، ص (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدو علامات الترقيم) لكان من المتعذر معرفة وجه العيوب أن نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصص تضمنت خبراً فيه تحقيق لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنتهي بخبر هو إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤). وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونظراً ويرفع له رأسه تها وكبراً. كيف وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبلة. فكان المقول والمتهم أن يقول الراوي مدلاً معجبا: "فضميتُ وقبلي".

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم. يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠. فقد روى إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع المهدي. (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر ينص تقريباً وارد في عبارة الملاحظ (ص ٣٦). لكن الطبري رواه بصيغة الغائب ومصدره بقوله: "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمير (الوارد في حديث الملاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً، إحداهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "المقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

قال: «وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ وَمَرْوَانُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ وَهَشَامُ وَمَرْوَانُ»
 «وَأَبْنُ مُحَمَّدٍ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّدْمَاءِ سِتَارَةٌ، وَكَانَ لَا يَظْهَرُ أَحَدٌ مِنَ النَّدْمَاءِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ»
 «وَالْخَلِيفَةُ، إِذَا طَرِبَ لِلْمَغْنَى وَالْتَدَّهُ حَتَّى يَتَقَلَّبَ وَيَمْشَى وَيَحْرُكُ كَتِفَيْهِ وَيَرْقُصُ»
 «وَيَتَجَرَّدُ حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا خَوَاصُّ جَوَارِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرْتَفَعَ مِنْ خَلْفِ السِتَارَةِ»
 «وَصَوْتُ أَوْ نَعِيرِ طَرِبٍ أَوْ رَقْصٍ أَوْ حَرَكَةٍ بَزْفِيرٍ تَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ، قَالَ صَاحِبُ السِتَارَةِ:»
 «وَحَسْبُكَ يَا جَارِيَةُ! كُنْتُ أَتَيْتُ! أَقْصِرِي! - يُؤْمِ النَّدْمَاءُ أَنَّ الْفَاعِلَ لَذَلِكَ بَعْضُ»
 «الْجَوَارِي.»

«وَأَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَحَاشَوْنَ أَنْ يَرْقُصُوا وَيَتَجَرَّدُوا»
 «وَيَحْضُرُوا عُرَّةَ بِحَضْرَةِ النَّدْمَاءِ وَالْمَغْنَيْنِ. وَعَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا»
 «وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فِي الْمَجُونِ وَالرَّفِثِ بِحَضْرَةِ النَّدْمَاءِ وَالتَّجَرُّدِ:»
 «مَا يَبَالِيَانِ مَا صَنَعَا.»

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه باستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه بما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والاستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفته
 نفسه كما هو الممهود في كل كتبه وتصانيفه، عاد إلى الحديث الأصل مستملا لفظه "قال"، تنبيها للقارئ
 إلى رجوع ما أقطع ووصل ما أقفصل واستثنافا لما حدث به إسحاق بن إبراهيم (الموصل). لدينا كان المقام
 يدور الجاحظ للكلام عن نفس إسحاق (صاحب الحديث)، وضع لفظه "ويقال". فيذكر من عنده خبرا عن
 نفس إسحاق بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض لملاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصل شيئا
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظه
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".
 فذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين "كل سطر من السطور التي ورد فيها كلام دلتى السياق
 والبحث والاستقصاء على أنه من حديث إسحاق بن إبراهيم الموصلي الجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندى أنه من حشو الجاحظ واستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

(عمر بن عبد العزيز)

قلت: فعمر بن عبد العزيز؟

قال: «وما ظنُّ في سمعه حُرْفٌ غِناء، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا.»
«فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغِناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
«وكان ربما صفق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فأما أن»
«ويخرج عن مقدار السرور إلى البسُف، فلا.»

٢٤

قلت: خلفاؤنا؟^(١)

أحوال العباسيين
في الشرب واللهو

(السفاح)

قال: «كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم اجتمع عنهم بعد سنة.»^(٢)
«وأشار بذلك عليه أُمَيد بن عبد الله [الخزاعي]. وكان يطرب ويتهيج ويصيح من»
«وراء الستارة: "أحسنْتَ والله! أعد هذا الصوت!" فيعاد له مرارًا. فيقول في كلها:»
«"أحسنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تجدها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مُنَن»
«ولا مُلْه فينصرف إلا يصلِّة أو كُسوة، قلت أم كثرت.»^(٣) وكان لا يؤخر إحسان»
«وُحْشِنَ لغد، ويقول: "العجب من يُفرِّح إنسانًا، فيتعجل السرور ويجعل ثواب من»
«وسره تسويفا وعدة!" فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحد من»
«حضره إلا مسرورا. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله. غير أنه يُحكى عن بهرام جور»
«وما يقارب هذا.»^(٤)

١٥

(١) ص: خلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٦

(٣) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجال أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر المهارس في الطبري و ابن الأثير)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

٢٠

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور)

ووفأما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء. ووَكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها. فإذا غنَّاهُ المُنغِّي فاطربه، حَرَّكَتِ الستارة بعضُ الجوارى فأطَّلَعَ إليه الخادمُ صاحبُ الستارة. ووفيقول: قل له: "أحسنْتَ! بارك الله فيك!" وربما أراد أن يُصَفِّقَ بيديه، فيقوم عن مجلسه ويدخل بعضُ حُجَر نِسائه، فيكون ذلك هناك. وكان لا يُثِيبُ أحداً من ندمائه. ووَغيرهم درهم، فيكون له رَتِّماً في ديوان. ولم يُقَطِّعْ أحداً من كان يضاف إلى مُلْكِيَّة. ووَأو صَحِيحٍ أو هَزَلٍ موضعٌ قَدِّم من الأرض. وكان يحفظ كلُّ ما أعطى واحداً منهم ووَعشر سنين ويحسبُه ويذكره له.

*وَكان أبو جعفر المنصور يقول: "مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعَ إِلَيَّ، فَقَدْ كَفَأَ؛ وَمَنْ أضعَفَ، كان مشكوراً؛ وَمَنْ شَكَرَ، كان كريماً؛ وَمَنْ عَلِمَ أن ما صَنَعَ إِلَيَّ نَفْسَهُ صَنَعَ، لم يستطِ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم. ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيتَه إلى نفسك ووقيتَ به عِرْضَكَ. وأَعْلَمُ أَنَّ الطالبَ إِلَيْكَ الحاجَّةَ لم يُكْرِمَ وجهه عن مسائلتك، فأَكْرِمَ وجهك عن رَدِّه." (١)

(المهدي) ووَكان المهديُّ في أوَّل أمره يَحْتَجِبُ عن الندماء، متشَبِّهاً بالمنصور نحواً من سنة. ووَثم ظهر لهم. فأشارَ عايشه أبو عَوْنٍ (٢) بأن يَحْتَجِبُ عنهم، فقال: «إليك عني، يا جاهل!»

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص ٥٠. وهي استطرادٌ أجنبيٌّ من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاء حسن في تمهيد الأمر لبني العباس. دخل ببجوده دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها، وفيها قتله. روى فيها ومنه السلاح والأموال والرقيق. فولَّاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شبان سنة ١٣٣ = ٢٠

«ولنعم اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سُرِّي. فأما من وراء وراء، فما خيرها»
 «ولدتها؟ ولولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلّا أني أعطيهم من السرور»
 «بمشاهدتي ينل الذي يُعطون من فوائدهم، جعلت لهم في ذلك حظاً موفراً». «وكان»
 «وكثير العطايا، يواترها. قل من حضره إلّا أغناه. وكان لينّ للعريكة، سهّل الشريعة،»
 «ولذيذ المتأدّة، قصير المناومة، ما يملّ نديماً ولا يتركه إلّا عن ضرورة، قطع الخنا،»
 «وصبورا على الجلوس، ضاحك السنّ، قليل الأذى والبذاء.»

«وكان الهادي شِكْسَ الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيّ الظنّ. قل»
 «ومن توقّاه وعرف أخلاقه، إلّا أغناه. وما كان شئٌ أبغض إليه من ابتدائه بسؤال.»
 «وكان يأمر للغنى بالمسال الخطير الجزيل، فيقول: «لا يُعطيني بعثها شيئاً»، فيعطيه»
 «وبعد أيام مثل تلك العطية.»

== إلى سنة ١٣٥٠. وهو الذي أمرا أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي محلها الآن جامع آبن طولون. وبقي
 هو هناك دار الإمارة ومسجداً عُرف بجامع السبكي. ولذلك سمي المكان كله بآبهم العسكر من ذلك الوقت،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠. ولكن الخليفة مات، فلهاء أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أو عاون بركة شهراً. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الحوارج. فهزموهم وقتل منهم جماعة غفيرة،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاثين سنة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الراوندية. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، استعمله على خراسان سنة ١٥٩ ثم عزله عنها سنة ١٦١. (أنظر
 الأغاني وآببن الأثير وأبي المحاسن تفرى بردى، في فهرسها)

(١) صم : وأفرها.

(٢) سم : قصير المأومة والملايلة.

(٣) سم : النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذ بن الطبيب
 سوكان أول يوم دخل عليه مُعَاذ ^(١) وكان حاذقا بالأغاني عارفا بها: مَنْ أطربني اليوم
 منكم فله حُكْمُهُ، فغناه ابن جامع غناءً لم يحرّكه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِمِي أَجَمَعْتُ بَيْنَا * فَإِنَّ تَقُولُنَّ أَيْنَا ؟

- ٥ فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: «أَعِدْ بالله، وبجياتي!» فأعاد،
 فقال: «أنت صاحبي فَأَحْتِكِم» فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، حائط عبد الملك بن
 مروان وعينه الخزانة بالمدينة! قال: فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما
 جمرتان ثم قال: «يا ابن الخناء! أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأنتي حكمتك
 فأقطعتك! [أما والله] لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك،
 لضربت الذي فيه عيناك!» ثم سكت هنيئة. قال إبراهيم: فرأيت ملك الموت قائما
 بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الخزازي، فقال: «خذ بيد هذا الجاهل،
 فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ماشاء!» فأخذ الخزازي بيدي حتى دخل بي بيت

(١) صه: مَنْ.

- (٢) "تقولها" هنا مثل "تقلنا" معنى وعملاً. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.
 وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضا (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأثافي، وإنما هناك حكاية أخرى وفيها الأبيات بأكملها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)
 (٣) أي بستان.

(٤) النبيوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

- (٦) هو عبدل هارون الرشيد. وكان من ندما. الهادي وهو أول العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قتيلا على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأثافي ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة. فقال: دعني أؤامره. قلت: فأخذ سبعين. قال: حتى أؤامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فإني إلا أن يؤامره، فعرفتُ غرضه، فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأنك! قال: فأنصرفتُ بسبعائة ألف، وأنصرفتُ ملك الموت عن الدار.^(٣)

قال: ^(٤) وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمثلها كلها إلا في العطايا، ^(٥) والصلوات والخلع. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدى. ومن خبرك أنه رآه ^(٥) وقط وهو يشرب إلا الماء، فكذبته. وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه. وربما ^(٦) وطرب للغناء فتحتك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة.

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للغنم مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أي ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا اسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم. (٢) في سه، صه: شارك. وفي الطبري: "قال الآن جئت بالحق، فثأنتك!" (سلسلة ٣ ص ٥٩٦) (٣) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار ألقاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للوف. (٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن "إلا" هنا معناها "غير"، كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أراده محدث الجاحظ: لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب إلا غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه [واقطر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التي منعه الطبيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان . فكان إبراهيم [الموصل^(١)] و[إسماعيل
أبو القاسم] آبن جامع وزلز [منصور الضارب] في الطبقة الأولى . وكان زلز^(٢)
يضرب ، ويُغنى هذان عليه .^(٣)

(١) الأسماء والكنى والألقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني
لابن الفرج .

(٢) كان زلز هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد . وقد اشتهر في أيام
المهدي والحصادي والرشيد . ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين ، فأشتهرت
باسمها : واشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها . قال فيها فطويه النحوي :

لَوَأْنْتُ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرَا * مَلَاَحَةً مَانَحْصِيهِ بَرَكَةُ زَزَلْ ،

لَمَّا وَصَفَا سَلَمَى وَلَا أُمَّ جُنْدَبٍ * وَلَا أَكْثَرَا ذَكَرَ الدَّخُولَ لِحَقْوِيلَ .

وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

غضب عليه الرشيد لحبسه ستين . وكانت أخته تحت إبراهيم الموصل ، فقال إبراهيم فيه :

هَلْ دَمَرْنَا بِكَ عَائِدٌ يَا زَزَلْ * أَيَّامَ يَفِينَا الْعَدُوَّ الْمُبْطِلُ ،

أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَسْكَارَةِ آمِنٌ * وَانْخِرْ مُنْشِعَ عَلَيْنَا مُقْبِلُ ؟

يَا بُوْسَ مَنْ لَقِدَ الْإِهَامَ وَقَرَّبَهُ ! * مَا ذَا يَه مِنْ ذِلَّةٍ ، لَوْ يَسْقِلُ ؟

مَا زِلْتُ بِعَدْلِكَ فِي الْمَعْرُومِ مَرْدَدًا * أَبْكَى بِأَرْبَعَةٍ كَأَنِّي مُنْكَرُ .

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس . (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣
و ٢٥٢ ؛ وأنظر شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٧ ؛ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أي أصحابه الاخوان وهم إبراهيم الموصل وآبن جامع . والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠ ،

أن إبراهيم الموصل وزلز وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلز وزمر برصوما وغنى إبراهيم :

مَحَا قَلْبِي وَدَاغَ إِلَيَّ عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي .

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ ، وَكَرَّ نُزْرًا * إِلَيَّ ، صَرِيْنَتِي وَقَطَعَنَ حَيْلِي .

فطرب هارون حتى وشب على رجلاه وصاح : يَا آدَمَ ! لَوْ رَأَيْتَ مَنْ يَحْصُرُنِي مِنْ وَلَدِكَ الْيَوْمَ ، لَسَرْتُكَ ! ثم جلس =

والطبقة الثانية سليم بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمر الغزال ^(٢) ومن أشبههما.
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والويع والطناير. وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم. وكان إذا وصل واحدًا من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيبًا منه، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضًا
نصيبًا. وإذا وصل أحدًا من الطبقتين الأخرتين بصلة، لم يقبل واحدًا من الطبقة
العالية منه درهمًا، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه.

(١٩)

قال: "وفسأل الرشيد يومًا برصوما الزاهر، فقال له: يا إسحاق! ما تقول في ابن
"جامع؟ فحك رأسه [و] قال: نَحْرُ قُطْرَبِلْ، يعقل الرجل ويذهب العقل. قال: "و
"فما تقول في إبراهيم الموصلي؟ قال: بنسأنا فيه خوخ ومُتْرِي وتَفَاح وشوك ومُتْرُوب. "و
"قال: فما تقول في سليم بن سلام؟ فقال: ما أحسن خضابه! قال: فما تقول
"وفي عمرو الغزال؟ قال: ما أحسن بنانه!"

قال: وكان منصور زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالجلس. فكان إذا جلس
العود، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله، لم يملك نفسه حتى يطرب.

== وقال: استغفر الله!

وفي المقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزالا كان يضرب على إبراهيم، يعني الموصلي.

(١) صه: سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية).

(٢) في سه، صه: "الغزال" بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية). وقد اعتدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥).

(٣) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي وادى الحكاية للملاحظ.

(٤) سه: "نياه". وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزاهر ذكر إبراهيم الموصلي وابن
جامع، فقال: "الموصلي بنسأنا تجده فيه خلل والهامض، وطريا لم ينضج، وتأكل منه من ذا ومن ذاء وابن
جامع زرق عسل، إن فتحت فم خرج عسل حلو، وإن خرفت جنبه خرج عسل حلو، وإن فتحت يده خرج عسل
حلو: كله جيد."

(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس. ينتهي نسبه إلى زيد مائة. وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. وكان
آية في الجدة والوقار. (أنظر ترجمته في آين خلکان والأغاني وغيرهما)

- (١) قال إبراهيم : فغيت يوماً على ضربه ، نططاني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فغيتي زلزلي وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فاه بغير لفظ إلا عرفت غرضه ! فكيف أخطئ وهذه حالي ؟ فإذاها صاحب الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغمتني ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سُنْدُ ، لم يخلق الله أضرب منه يعود ولا أحسن بحسباً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فعمله عرف فضله وتغيت على ضربه . فإن زلزلاً يكادني مُكَايِدَةُ الْقُصَّاصِ وَالْقُرَّادِينَ . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحمل على البريد ، فألقى ذلك زلزلاً وغمه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سوَّيت . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يُدفع إلى أحيد عودُه فيحتاج إلى أن يحزكه لأنها قد سوَّيت وعُلِّتْ مثالها مُشَاكِلَةً لِلزَّيْرَةِ على الدقة والغلط . قال : فلما وضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزل ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغيت عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جَسَّ العود ، ما مالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذني حتى قبل رأس زلزلي وأطرافه ، وقال : مثلك - جعلتُ فداك ! -

- (٢) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من أسطرادات الجاحظ أيضا .
 (٣) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صـ .
 (٣) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار وأحكما فتلاً (في عود الطرب) .
 فكان المؤلف قال : وعُلِّتْ مثاله مُشَاكِلَةً لِمُثَالِهِ . قال المفضل بن سلة النعوي في كتاب الملاحى مانصه :
 "ويقال لأوتاره [أي العود] المهابض واحدها محبض وهي الشرع واحدها شرعة . فها الزير ، والذي ياله المَحْتَى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والم . ويقال للتي يسميها الفرس دساتين ، العتب . وكل ذلك قد جاء في الشعر ."

لَا يُتَمَنَّى وَيُسْتَعْمَلُ بِمِثْلِكَ يُعْبَدُ. فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ.

* وَكَانَ مَنْصُورٌ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْحَى النَّاسِ وَكَرَمِهِمْ. نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحِلُّ لَهُمْ اخْتِارُ الزَّكَاةِ. فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ. ^(١)

وَوَكَانَ إِسْحَاقُ بَرَصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ
لَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَزْمُرُ عَلَى غَنَاءِ ابْنِ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ
لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلْ؟ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَزْمُرُ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.
وَوَلَمَّا أَنْ أَكُونَ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَزْمُرُ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لَصَاحِبِ
السَّتَارَةِ: ارْفَعْهُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى؛ فَإِذَا قُمْتُ، فَأَدْفِجِ الْبِسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.
وَوَفَّرُفِعَ إِسْحَاقُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبِسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى
مَنْزِلِهِ آسْتَبَشَرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخَوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ نَبْطِيَّةً لَكَّاءَ ^(٢). فَخَرَجَ بَرَصُومًا عَنْ مَنْزِلِهِ
وَوَلِبَعْضَ حَوَائِجِهِ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يُسَيِّئْنَ أُمَّهُ بِمَا خُصَّ بِهِ دُونَ أَحْبَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا. ^(٣)
وَوَفَاخَذَتْ سِكِّينًا وَجَعَلَتْ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبِسَاطِ، حَتَّى أَتَتْ عَلَى
وَأَكْثَرِهِ. فَجَاءَ بَرَصُومًا فَإِذَا الْبِسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَائِينِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صَنَعْتَ؟
وَوَقَالَتْ: لَمْ أَدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَخَذْتُ الرَّشِيدَ بِذَلِكَ، فَضَحِكُ وَوَهَبَ لَهُ آخَرَ.
وَوَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْتًا، فَكَادَ

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين *، * منقولة عن ص.

(٢) التي لا تقيم العربية لعجمة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو هيثم سعيد بن وهب البصري. كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

يطير طرباً، فاستعاده عاتمة ليله، وقال: «ما رأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهبك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسرها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنا أسرها بهذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون عليّ.» قال: «فلم لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألفي ألف أهون عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم.^(١)

قلت لإسحاق: فالخلوع، أين كان من ذكرت؟^(٢) (الأمين)

قال: «ما كان أعجب أمره كذا! فاما تبدله، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد.»
 «وكان لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، تحرقها كلها وألقاها عن وجهه حتى يقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهم للأموال إذا طرب أولمّا. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
 «وأنصرف به، وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أمانى، ولقد غشاه»
 «إبراهيم بن المهدي غناء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فقبل رأسه. فقام»
 ١٥

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه.

(٢) يعنى الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقايل. لقرب عهدهم بجلعه وأشتهاره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإن الأتراك لا يسمون السلطان عد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا بأسم "الخلوع".

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأغانى ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى رارى الحكاية وهو إسحاق وهو إبراهيم الموصلى.

«إبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيته»
«يوما، وعلى رأسه بعض غلمانه، فنظر إليه فقال: وَيْلَكَ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن»
«تُغسَل. انطلق، نلُحْدُ ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك.»

(١)
ولقد حدثني علوي [الأعسر وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف] عنه
قال: لما أحبط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه، كما عنده ففتته جارية له بفناء
تركت فيه شيئا لم يُجد حكايته. فصاح: يا زانية! تغتني الخطأ! خذوها! فحملت.
وكان آخر العهد بها.

(المأمون)

قلت: فالأُمون؟

قال: «وَأقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الفناء. ثم سمعه من وراء»
«حجاب، متشبها بالرشيد. فكان كذلك. سَبَعَ جميع. ثم ظهر للندماء والمفتين.»
قال: «وكان حين أَحَبَّ السماع ظاهرا بعينه، أَكْبَرَ ذاك أَهْلُ بيته وبنو أبيه.»
ويقال إنه سأل عن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي فغمزه بعض من خضر، وقالوا:
ما يُفادر تيبا وبأوا^(٢). فأمسك عن ذكره. قال: بلخاء زُرْزُر يوما فقال له: يا إسماعيل،
نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إسماعيل: فغَنِّ هذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان المأمون بعد مجلسه لتفريق الأوزاق، فكان إسماعيل هذا أَوَّلَ مَنْ يدخل عليه في طائفة
الرزاء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء والمعلمين، ثم الشعراء، ثم المفتين، ثم الرماة في المَهْدَفِ. (من ذيل
أمالى القائل ص ٩٠)

(٣) البأر هو الفخر والكبر واليه. قال حاتم الطائي:

لما زادنا بأرا على ذى قسابة * غنا، ولا أزدى بأحسابنا الفقر.

رأى هذه القصة أيضا في المقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

بِاسْرَحَةِ الْمَاءِ قَدْ سُلِّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْلُودٍ؟

لِحَاثِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا تَحْرَاكَ بِهِ * مَخْلًا ^(١٤) عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ ^(١٥).

فلما غناه به زُرْزُور، أطربه وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سه، صه وفي "الأغانى" والطبرى و"معجم الأدباء" وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصح والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جميلة المنظر. [ويسمونها أهل شقيط (آتيل). وفي أ شاعروهم "ذو السرح" وهو موضع يسمى عندهم باللغة البربرية "إنواتيل" وهو ترميز له كما ترى. استغذت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى.] ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ وح ٢ ص ٢٨٦؛ وج ١ ص ٥٣٦ و ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢)
- وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شيبوا بالنساء. فقال حميد ابن قورق في ضمن قصيدة له:

تَرَانِي إِنْ عَلَّتْ قَمِي بِسَرْحَةٍ * مِنْ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقِ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ مَرَحَةً مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرَاحَاتٍ الْعُضَاءُ تَرُوقُ

- (وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).
- هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" اليشبي الذين نحن بصددهما وقال كفى بالسرحة البائنة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة س رح)
- (٢) في صه: "حيام" وكذلك في الأغانى (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٥ ص ١٠٦)
- وقد أورد هذه الحكاية باسم طويه بدلا من زُرْزُور وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.
- (٣) ممنوع أى مطرود.
- (٤) في الأغانى في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".
- (٥) استحسن الأحممى هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي، لعاتبها". (عن الوسيط في تراجم أدباء شقيط للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطى، طبع القاهرة سنة ١٩١١: ص ٣١١)

قال: عبدك المحفوق المطرح، ياسيدي، إسحاق، قال: يحضر الساعة، بجاءه رسوله، وإسحاق مستعد، قد علم أنه إن سمع الفناء من مجيد، مؤد أنه سيبعث إليه . بجاءه الرسول، حدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مديده إليه ثم قال: أدن مني! فأكب عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مضيقاً إليه ومسروراً به .



مسألة
الملك لندائه

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، و[لا] سيمًا إذا غلب أحدهم على عقابه، وكان غيره أملك به منه بنفسه .

(٣٥)

وللسكر حد إذا بلغه نديم الملك، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذ به بزلته إن سبقته، ولا بلفظه إن غلبت لسانه، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

حد الإغضاء
سر الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رعى بها في مهو، وإن أرا: أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

مواطن
المعاقبة عليها

فأما إذا ذنير بعريف مديان وما يتكرر، وكان إذا رام أحد أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غضب وانتصر، وإذا تكلم أفصح وقيل سقطه: فإذا كانت هذه صمته ثم جاءت منه زلة، فعلى محمد أمها وبقيصه فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه، قدح في عزه وسلطانه .

(١) الصبر للمحافظ .

(٢) روى صاحب "معجم الملوك" هذه القصة الفاظ الجاحظ خمسة . (ص ٦١)

(٣) لاشك أن أداة النفي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس * ولا سيما يوم بدارة جليل * وأشد أئمة الله أن من أهمها قد أخطأ . (أنظر التيسيل وشرحه وخاتمة الأثر في باب الاستثناء، وأنظر البيان الوافي في "تاج العروس" (مادة س وي) . | وأنظر أيضا ص ١٥٧ من هذا الكتاب .

(٤) أي لنفسه .

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز أهل الجرائم عفوياً جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقوموا كل ميل ويدغموا كل إقامة.

الاعتصام في العقوبة



ومن أخلاق الملك، أن لا يشارك بطانته وبنا ساءه في مس طيب ولا مجر. فإن هذا وما أشبهه يرفع الملك فيه عن مساواة أحد. وكذا يجب على بطانة الملك وقربائه أن لا يمتسوا طيباً إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

تفرّد الملك الطيب والتعبد بخدمتهما

وليس الطيب كالطعام والشراب للذين لا بد من مشاركة التمداء فيهما. فاما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحاشته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه. وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيهما أحداً. وإن البهاء والعز والأبهة في التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القرارة" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهرى إلى المسألة. ووافقه الأكتيون ومنهم الحريرى في "درة القواص" ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القرابة". ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأنظر التفصيل في تاج العرويس، مادة ق، رب)

(٢) الخاصة هي العامة، وأيضا أخصاً. الرجل من أهله وولده وذوى قرأته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا
شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يترتبوا يزي^(٢) ينهون الرعية عن مثله .

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع
التاج على رأسه، لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب رنجان متشبهاً به .
وكان إذا ركب في لئسية، لم ير على أحد مثلاًها . وإذا تخطت بجائهم، فخرأهم على أهل
المملكة أن يقتتوا بمنزل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه .

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك . وطاعة أهل المملكة أن تتحاشى أكثر زى الملك وأكثر
أحواله وشيئيه، حتى لا يأتى إلا بد لما منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص . كان إذا أعتم بمكة لم يعتم أحد بعمته
مادامت على رأسه .^(٤)

وهذا الججاج بن يوسف . كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يمتري أحد من
خلق الله أن يدخل على رأسه مثلاًها .

وهذا عبد الملك بن مروان . كان إذا لبس الخلف الأصفر، لم يلبس أحد من
الخلف خفاً أصفر حتى يتزرعه .

(١) في سه، صه : يفعل .

(٢) صه : أمثل .

(٣) حالة من حالات اللبس .

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة
كتبي . قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا) : " وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعتم بمكة .
فإذا أعتم لم يعتم أحد بلون عمامته " . وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه
ذو العمامة وإن " أحيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر . والأمة والأحاح
واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجمهرة " .

(٥) أى قلنسوة طويلة عالية . وكان هذا النوع من القلائس خاصاً بالأمراء ، وبالقضاة أيضاً (كما تدل
على ذلك عبارة البيهقي في " المحاسن والمساوي " ص ٢١٣) .

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس^(١) . دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد^(٢) [بن علي] وعليه مبطنة مكوّنة من أحسن ثوب في الأرض، وقد أتمّ على رأسه رصافية^(٣) بعمامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خُفّ أصفر، وفي يده عكازة ابنوس ملوّح بنهيب، وفي إصبعه فصّ ياقوت تضيء يده منه. فنظر إلى هيئة ملائكة^(٤) قلبه، وكان جسيماً، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصبّح إلا لواحد من الخلق^(٥)، فأنصرف فلم يأت به حتى مات.

وحدثني أبو حسان الزبدي^(٦) (وذَكَرَ الفضل بن سهل قد رُحِمَ عليه) وقال: وجّه إلى في لبسة - وقد أُوِيَتْ إلى فراشي - رسولاً فقال: يقول لك ذو الرياستين:

- (١) أي من عهد قريب من المؤلف. [وأنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
- (٢) من أكابر رجالات بني العباس وخصوصاً في دولة المأمون والمعتصم والواثق.
- (٣) هذه العبارة توضح لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes . فيؤخذ من كلام الجاسقظ هنا وما يليه بأربعة عشر سطراً أن الرصافية هيّة عمّة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده . ويؤخذ من كلام ابن خلّكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضاً . ذكر ابن خلّكان أن عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا، وقال إنه كان على رأسه رصافية . وقد روى صاحب الأغاني هذه الحكاية بمبرّضها تقريباً (ج ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسوته . فذلك دليل على أن الرصافية نوع مخصوص من القلائس المعممة .
- (٤) صم : فنظر إليه بهيبة .
- (٥) يعني الخليفة .
- (٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين آمنهم المأمون بخلق القرآن . وهو من أهل الفتوى والرواية . وقد ولّاه المتوكل قضاء مديرية الشارقة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لَا نَعْتَمُ غَدًا عَلَى قُلُوسَةِ إِذَا حَضَرَتِ الدَّارُ^(١). قَالَ : قَبِيتُ وَاجِبًا ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا يَرِيدُ
بِذَلِكَ . وَغَدَوْتُ ، وَغَدَا النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمِرَاتِبِهِمْ . بَغَاءَ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى
مَنْ فِي الدَّارِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْعُدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَيَعْتَمُ عَلَى قُلُوسَةِ ، فَأَنْزِعُوا
عَمَائِكُمْ !

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ قُرَيْشٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ ،
وَجَّهَ إِلَى الْمَأْمُونِ رَسُولًا فَأَتَيْتُهُ . فَبَعَثَ يَسْأَلُنِي عَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَمْوَالِهِ ، وَيُسْكُوهُ إِلَى ،
وَيَقُولُ : كَانَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَفْعَلُ كَذَا . فَكَانَ فِي تِلْكَ الشَّكَايَةِ أَنْ قَالَ : وَكَانَ إِذَا رَكَبَ
بَرًّا ، رَكِبَ فِي رُصَافَةٍ^(٤) .

عدل الملك
في مجلس الشراب

* وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ النَّدَمَاءِ قَدْ بَلَغَ غَايَةَ مَجْهُودِهِ فِي الشَّرْبِ وَأَنَّ
الزِّيَادَةَ بَعْدَ ذَلِكَ تَضُرُّ بِيَدِنِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَأَنْ لَا يُكَلِّفَ فَوْقَ
وَسْعِهِ . فَإِنَّهُ مَنْ تَجَاوَزَ حَقَّ الْعَدْلِ عَنِ الْخَاصَّةِ ، لَمْ تَطْمَعِ الْعَامَّةُ فِي إِنْصَافِهِ^(٦) .

٣٩
مكالمة
النَّدَمَاءِ لِلْمَلِكِ

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يَكْتَلِمَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّدَمَاءِ مُبْتَدَأًا وَلَا سَائِلًا لِحَاجَةٍ ، حَتَّى يَكُونَ

(١) يَعْنِي قَصْرَ الْخِلَافَةِ . وَالْحِكَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاقِعَةَ حَصَلَتْ بِمَرُو ، لِأَنَّ الْعُضْلَ بْنَ سَهْلٍ قُتِلَ فِي يَدِهِ
(سِرْحَنَ) عِنْدَ عَوْدَةِ الْمَأْمُونِ إِلَى بَغْدَادِ .

(٢) ص : الْحَسَنِ .

(٣) ص : مَرَس . وَأَقْرَأَ الطَّبْرِي (سِلْسِلَةَ ٣ ص ٦٥٢) فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَسْمُ هَذَا الرَّجُلِ . وَكَانَ مِنْ
خَاصَّةِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ حَدَّثَنِي الْخَلِيفَةُ عَنْ أَخِيهِ الْقَاسِمِ هَذَا . (الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي ص ١٨٧)

(٤) مَتَّى أَطْلَقَ الْكُتَّابُ هَذَا الْأَسْمَ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ مَرَّ النَّاجِيَانِ ، لَا مَرَّ الرُّؤُفِ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَكْبَرُ .
دَائِرَةُ تَرْجُمَانٍ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ عَامِلًا عَلَيْهَا لَا يَبِي .

(٥) تَأَنَّفَ الْمَأْمُونُ لِأَنَّ أَخَاهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ التَّشَبُّهَ بِهِ ، وَلَمْ يَرَاعِ الْوَاجِبَ فِي تَرْكِهِ يَتَمَرَّدُ بِالرُّصَافَةِ وَبِغَايَةِ
مُلْكِهِ ، وَلَوْ أَنَّ الْقَاسِمَ حَقًّا فِي لِبْسِهِ لَأَنَّهُ هُوَ أَيْضًا ابْنُ الْخَلِيفَةِ .

(٦) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ النِّجْمَتَيْنِ * * * مَقُولَةٌ عَنْ ص .

- هو المبتدئ بذلك، فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدّم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يآذّن له في الدخول، حتى يكون الملك يتبدى ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يطلأ بساط الملك.
- وكان شيرويه بن أبرويز يقول: "إنما تُعذّر البطانة برفع حوائجها إلى الملوك عند ضيق تكون، أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تنابع أزيمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسدّ خلّتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراة العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذى حداه على ذلك الشرّ والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديراً أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُنقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يمين باحسان سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن



من الملوك ينصّبهم عند الضرورة فقط

- (١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فردّ الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في محلى بغير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع بجمهورية مصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة هجّ الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٢ وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي دؤاد المنوف سنة ٥٢٤ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا. (أنظر آيين خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) سه: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويُذَكِّرُه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

وحدثني محمد بن الجهم^(١) وداود بن أبي داود قالوا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالوا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(٢)



عدم المعاقبة
في حال الغضب

ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يُعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التمدي والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سَكَنَ غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سَلَّته الشريعة ونقلته الملة.^(٣) فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب وليتها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكّر القصاص منه على بال. فأما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٤)

(١) كثيراً ما يروى الملاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحيوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في مئة المأمون حيناً أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حيناً أفضت إليه الخلافة. (طبري سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢)

(٣) هذه الجملة المحصورة بين التعمتين * منقولة عن صـ. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)

(٤) سـ: الأئمة.

(٥) سـ: "فأما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذا الرواية أيضاً وجه وجيه. والضمير جامع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بمحضرة الملك كالذنب بمحضرة السوق، ولا الذنب بمحضرة الحاكم^(١)
كالذنب بمحضرة الجاهل، لأن الملك هو بين الله وبين عباده، فإذا وجب بمحضرة
الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيافة والتأنيب^(٢) في الفساد.



ومن حق الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطائفة وخاصته بذلك.
فإن أوما إليهم أن لا يرحوا، لا يقعد واحد منهم حتى يتوارى عن أعينهم.
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام.
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك.

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملة، بل تقعد الطبقة الأولى أولاً، فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية، فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة.
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً. فمن الواجب أن يقعد من كل طبقة رأسها
ثم هلم جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً.



ومن حق الملك أن لا يدنو منه أحد - صغير أو كبير - حتى يمس ثوبه نوبة إلا
وهو معروف الأبوين، في مركب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول.

(١) هكذا في س، ص. ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التأنيب بالمشاة التحية: التهايت، الإسراع في الشر (قاموس).

(٣) المركب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضع رأيي لها، إما لتصحح رأيي
إليه أو لأمر يسأله عنه، فمن يتق الملك أن لا يتكلم أحدا يدنو منه حتى يفتش أولا،
ثم يأخذ بضيقه آثان، أحدهما من يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ماعنده وقبل
منه الملك ما جاء به، فمن يتق على الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر
في حاجته - إن كان له - ليرغب ذرو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتترب
بها إليهم.

+

الاستماع
لحديث الملك

ومن حق الملك، إذا حدث بحديث أن يصرف من حضره فكره وذنه نحوه.
فإن كان يعرف الحديث الذي يحدث به الملك، أسمعته استماع من لم يدر في حاسة
سمعه قطه ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك
أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملك حقه بحسن
الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالفن إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرب وأشبه
منها إلى فوائد السوقة ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والفاية التي إليها تجرى، الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت.
قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملهن: جلسي ما فهم عني؛ وثوبي ما استرني؛ ودأبي

(١) في سر: "الاستماع وإن كان لم يعرفه" فللفن "وقد أكلت موضع اليأس وصحبت
العبارة بناء على ما في صه وعمل ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل،
وزيادة وقصان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها ما قاله حكما، اليونان. لعله هلهل هو والملاحظين
نخاع آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد ما. [حاشية في صه] ورأية سر: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب.

ما حملت رجلي^(١)، وذكر الشعبي^(٢) ناساً، فقال: "ما رأيت مثلهم أشد تناقداً في مجلس ولا أحسن فهماً عن محدث".

وقال سعيد بن سلم [الباهل] لأmir المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلا على أحسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بظرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجه الحزبية". قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يمد عندك من حسن الإيفاء إذا تحدثت، وحسن الفهم إذا حدثت ما لم يمدّه عند أحد فيما مضى ولا يظن أنه يمدّه فيما بقي".^(٣)

وفما يحكى عن أنوشروان أنه بينما هو في مسيره له (وكان لا يساره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن ألفت يميناً، دنا منه صاحب الحرس، وإن ألفت شمالاً، دنا منه المؤد، فأمره بالحضار من أراد مسيره) قال: فألفت في مسيره هذا [يميناً]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان، فأحضره. فقال: حدثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة. فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فخأته أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيره على شاطئ نهر. وترك الرجل - لا قبله - على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته. فزلت إحدى قوائم الدابة، فالت بالرجل إلى الهر فوق في الماء ونقرت دابته. فابتدرها حاشية الملك وغلماؤه، فازالوها عن الرجل، وجذوه فخلوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأغتم لذلك أنوشروان، ونزل عن دابته، وبسط له هالك. فأقام حتى

(ما حصل لرجل كان أنوشروان يساره)

٤٣

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرد (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمين * مقولتان عن صـ

(٣) هو يفتح الخاء والزاي اسم جيل (قاروس). المتعارف الآن عند الفرنج ضم الخاء. وأما "قاروس" فهو

تفدى في موضعه ذلك. ودعا بتياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطئ حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحن. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: إقبال الملك^(١) على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم، وهذه الفائدة^(٢) وتدير هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه راجحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد^(٣)، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جلته]^(٤)، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض، كان قد أبقى لي الملك ذكراً مثلياً مخلداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسر الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

فخشا فله جوهرها ودرا رائعا ثميناً، وأستبطنه حتى غلب على أكثر أمره.^(٥)

وهكذا يحكى عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوى، أنه بينما هو يسير معاوية

(مارقع لأن شجرة
الرهاوى حينما
حادثه معاوية)

(١) في س، ص: "منها" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٢) في س، ص: "ومن هنا هذه" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودي.

(٣) الزيادة عن المسعودي.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية بتمامها وبحرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سير الملوك

من الأعاجم. ونسبها إلى شيرويه بن أبريز، وقال إن الرجل هو بُندار بن بُرشيد (بن ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦).

ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكابد" (ص ٢٧ - ٢٩). وأختصرها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم للناس الحج وليأخذ له البيعة ويطرد عامل على

عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحر مره أو مرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة

من العرب (أظهر تاج العروس في مادة ر ه و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بأسبانيا الصغرى فهي

الرهاوى؛ بضم الراء.

١٠

١٥

٢٠

آبن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم نزاعة وبنى مخزوم وقريش. وكان هذا قبل.
الحجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الملكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع
ببيعيره على رابية ثم أومأ بكنهه^(٢) إلى الفريقين، فأنصرفوا.^(٣)

قال: فبينما معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر
عائر فادماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما مسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟
قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدثه عن جرمان يوم كان لني مخزوم وغيرهم من قريش". وفي بعض نسخه:
"جرمان". [والصواب نزاعة كما هو وارد في س، صه].

(٢) س: "بكنه" صبه: "بكفه". [والتصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجد لها غير الملاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبيه الملوك"
وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت
الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق
سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٣ طبع العلامة وستفيلد في مدينة ليك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في س صه غير. وفي صه غير. [وهذه الكلمة كثيرا ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضعون
"غابر" وأخرى "غابر" وأخرى "غابر". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة المهمزة.
قال صاحب تاج العروس في مادة (ع و ر): والعائر من السهام ما لا يدري راميها وكذا من الجبارة...
والجمع العوائر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن س صه أقرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا تقع
اليقين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "حتى ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب.
وذلك من باب التشدد في التأنيم والتحرج. وإذا كان قائل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في اليقين من يروى
بمجرد كلام لغيره؟ ولعلهم أرادوا عدم جرمان اللسان بمثل هذه الآتيان

أمير المؤمنين أَلَمَانِي حَتَّى غَمِرَ فِكْرِي وَغَطَّى عَلَى قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَبَهَنِي
أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلَفٍ من العطاء، وأخرجك
من عطاء أبناء المهاجرين، وَكُجَاةِ أَهْلِ صِفِّينَ^(١)! فأمر له بنخمائة ألف درهم، وزاده
في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلدته وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاويةُ ممن لا يُخَادَع ولا يُبَارَى.^(٣)
..... ولئن كان بلغ من بلادة يزيد بن شجرة وقلة حِسِّه ما وصف به نفسه، ما كان
يُجْدِرُ بنخمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أَظُنَّ ذلك حَنِيَّ عن معاوية، ولكنه
تغافل على معرفة، لَمَّا وَقَّاه حَقُّ رِيَاستِهِ.^(٤)

[ويروى عن معاوية أنه كان يقول: "السُّرُّو التَّغَاوُلُ"^(٥)]

(١) ص: حماة.

(٢) روى هذه القصة في "تنبيه الملوك" بالفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"
باختصار (ص ٢٠). وأوردتها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) ص: يحارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كاجرت عاده. ولكنه حينما أَضْطُرَّ
لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بُدًّا من الإشارة إليه بطريق
الوصف والتصميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكتب في هذا المعنى وغيره"
ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أوفى مواضعها. (مروج الذهب ج ٦،
ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات ص. [ومعنى السُّرُّو السَّخَاةُ في مروة. فيكون المراد من هذه
المقولة أن الظاهر بالفلة هو من دلائل السخا المزوج بالمروة. وسترد هذه المقولة أيضا
صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(ما وقع لأبي بكر
الهدل حينما حدثه
السفاح)
❦

وكذلك جُيِّعَ عن أبي بكر الهذلي أنه بينا هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث القُرس، فعصفت الريح، فأذرت طَسًا من سطح إلى مجلس^(٢)
أبي العباس، فأرتاع ومن حضره. ولم تحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هذلي! لم تُرْعَ مما راعنا! قال: يا أمير المؤمنين،
إن الله عز وجل يقول: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ». وإنما للره قلب^(٣)
واحد. فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحادث بحال. وإن الله،
إذا أنعم بكرامة أحدٍ وأحب أن يبقى له ذكرها، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته. وهذه كرامةٌ خُصِّصَتْ بها، مال إليها ذهني وتُسِفِلَ بها فكري.
فلو أنقلبت الخضراء على الغبراء، ما حَسَسْتُ بها ولا وَجَعْتُ لها إلا بما يلزمني في نفسي^(٤)

- ١٠ (١) اسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لأبن رسته ص ٢١٣). وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح، وله بحضرته مناظرة بديعة في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها وكان مناظره ابن عياش المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وماشيته في الصفحة التالية)
أوردتها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكلمها في ص ١٩٠). وهو من الضعفاء
في الحديث، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣).
- ١٥ (٢) أي أوقعت الريح طسا. وفي ص: «فأوردت طسا»، وقد رواها صاحب «مطالع البدور»
(ج ١ ص ١٩٢). والذي في المسعودي: «فأذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس».
وأنظر «شذرات الذهب» (ج ١ ص ٢١٧). وقد روى الزاغبي الاصفهاني في «محاضراته» (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه، فقال: كان أبو القاسم الكمي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طستٌ فترزلت منه عرصة الدار. فلم يلفت أبو القاسم عن الأمير. قال الأمير لا يصلح
لوزاني إلا هو.

(٣) في المسعودي: «بحادثة».

(٤) ص: البيضاء.

(٥) ص: توجعت.

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك ، لأرفعن منك ضبعا لا تطيف به السباع ولا تحط عليه العقبان .^(٢)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتوفى يقول : لم يتقرب العائمة إلى الملوك بمثل^(٣) الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل^(٤) حُسن الاستماع .

(كلمة ابن عيَّاش المتوفى)

(١) الضمُّ (بضم الباء) العضد . والجملة هنا تخاية ، بمعنى لا نؤمنُ بأسمك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) . وفي المسعودي : "صعبا" . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتدليل في الألفاظ وزيادة وقصصات (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بطريق يسير صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالات المنصور العباسي ، وكان من النساين . ويعرف بالمتوفى لأنه كان ينصف لحيتته . (ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سني ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوما ، فقال له : تعرف ثلاثة حلقاء أسماؤهم على العين ، قلت ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العائمة إن عليا قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، يمين عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملح ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فات .] فقال المنصور :

إذا سقط عليه ، فإذني ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنبا . وقد روى المسعودي هذه المحادثة بتفصيل أرفى (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته بالطف سباق (ح ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد

منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله

ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أباسلم الخراساني

(وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [وأنظر ص ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ح ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وكان [أبو زُرعة] رَوْح بن زَيْبَاع^(١) [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت أن يُمَكِّنَكَ الْمَلِك من أذنه، فَاُمَكِّنْ أذَنَكَ من الإصغاء إليه إذا حدث^(٢).

(كلمة روح بن زيباع)

٤٧

وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصنئ إلى حديثي^(٣).

(كلمة أسماء بن خارجة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكِّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحِلْمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ،^(٤) والإصغاء إلى حديثه.

(كلمة معاوية)

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمى "رَوْح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فإنه بالغم. وروح بن زيباع الجُدَامِي من رجال بني أمية. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأنزله، وباع لابن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح واليا عليها، بعد أن أُلْقِيَ خطبة جلد بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في آين الاثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند أبيه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأبيه وزيد بن سمير ومشيرو حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصائل لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (العقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية طريفة أوردتها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صمعة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية طريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بشير أحمى عبد الملك بن مروان واليا. أوردتها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها السعدي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أصحاب الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "فوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن خارجة شيئا للسلطان (العقد الفريد ج ١ ص ٤١).



آداب أهل الزينة
بعد المضاحكة

ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنسانا أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يمر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



تكر أخلاق الملوك

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يفضب على الرجل من حمايته، والرجل من حاقته ويطانته؛ إما لحناية في صلب مال، أو لحيانة حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلًا، ثم لا يظهر له ما يوجب حقه حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الحنانيات وعند أول بوادر الغضب.



صبر الملوك على
مضض الحقد حتى
تجيب الفرصة

فاما الملوك وأبناؤهم، فليست تُقاس أخلاقهم ولا يُعابَرُ عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سمِّه ونحره، فتطول بذلك المسدة وتمتد به الأزمنة. وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعتز لم يكن

(١) المصروع والأقياد. وفي "الأغانى": أنت تخصم لهذا الخضر وقتلته له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم : تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرقة. والمراد به هنا ما يغازيه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صل الله عليه وسلم) بين سمري ونحرى". تعنى بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الاقتراب والاتزان، كما نقول أيضا: بين سمه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم : وهو له. سمه : ويقولون.

بين هذه القِتلة وبين الأُخرى بعدها بعشرين سنة فرقاً. إذ كان لا يخاف تأراً، ولا في المَلِك وَهْنًا.

(معاينة أنوشروان
لمن خانه في حريمه)

ولمّا يذكّر عن سيرة أنوشروان أت رجلاً من خاصّ خدمه جنّياً جناية أطلع عليها أنوشروان، والرجل غافل عنه، وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة. فلم يدرك كيف يقتله : لا هو وجدّ أمراً ظاهراً يَقْتُلُ بمثله الحكمُ فيسِفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على المَلِك والمملكة، ولا وجد لنفسه نذراً في قنسله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه مبلّغهم. فدعا به بعد جنانيته بسنّة فاستخلاه وقال: قد عزّبنى أمرٌ من أسرار ملك الروم، وبى حاجة إلى أن أعلمها، وما أجذنى أسكنُ إلى أحد مُسكوني إليك، إذ حللت من قلبي الحبل الذي أنت به. وقد رأيتُ أن أدفع إليك مالاً لتحميل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعثت ما معك، حملت منى في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلى. وفي خلال ذلك تُصنّى إلى أحبارهم وتطليع طلعٌ ما بنا حاجةً إليه من أموالهم وأسرارهم.

فقال الرجل: أقفلُ أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك حجة الملك ورضاه. فأمر له بمالٍ، وتجهز الرجل ونرج تجارة. فأقام ببلاد الروم حتى باع واشترى وأيقن من كلامهم ولقنهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم. ثم أنصرف إلى

(١) سَوزَه الأمر اشتد عليه، أما به منه ثم.

(٢) أى: وتعلم أمرهم الذي يحسن في حاجة إلى معرفته.

(٣) أى فهم وحفظ سرية.

(٤) صه: أسرارهم.

- أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدمه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والترّيب بتجارته ، ففعل حتّى عُرف واستفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل
في جام من جاماته التي يَتَرَبُّ فيها ، ويُجَعَل صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجَعَل مخاطباً
للكم ومشياً إليه من بين أهل مملكته ، ويُبنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يُسِرُّ إليه ^(١) . ثم وَهَبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا
الجلام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، فعكس ، وإن لم يملكته بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاقته . " فجاء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ ركبائه ،
فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يَتَّخِذَ بذلك عنده يدًا . وكان الملك يقدّم ذلك
الغلام ، وكان من خاص غلمانته وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
صاحب خزانته ، وقال : "احفظه ! فإذا صرّت إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه
عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجلام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عُضُوا عُضُوا وجارحة جارحة . فقال : "أخبرني ، هل يُصوّر
مع الملك صورة رجل خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آتية الملك
صورة لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك آثنان يتشابهان

(١) صه : يسه .

(٢) الفرز هو الركب من جلد مخروزم .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كانه هذا في الصورة، وكلاهما يدعى الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! فقام. فتأملته قائماً، فوجد صورته قائماً في الجلام. ثم قال: أدبراً
فأدبر، فتأمل صورته في الجلام مُدبراً. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجلام مقبلاً.
فوجدتها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يهتري الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكك، إجلالاً له وإعظاماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
إذ كانت تأخذ مُدبتيها فتدفنها، وأنت أهديت إلينا مُدبتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟
قال: لا. قال: قربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متطلعاً على أموره
متبعاً لأسراره؛ بل أنت ملكٌ وتُدعى ملكاً إذا قُدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
وسقى الخمر حتى إذا نَمِل، قال: إن من سُنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشاناً. فأمر أن يُصعد به إلى صَرْج
كان يُشرف منه على كلِّ مَنْ في المدينة، إذا صعد. ففُضِرَتْ عُنُقُهُ هناك، وأُلْقِيَتْ
جُثَّتُهُ من ذلك الصَّوْح، ونُصِبَ رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المقرد بصوت الحراسة
— إذا ضَرَبَ بأجراس الذهب — أن يقول، إذا مرَّ على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سره: تنجي.

(٢) روى المقرئ من ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً، وقد أخذ رأسين من الفم
فطبخ أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فألقى رأس الفم الآخر وأخذ السكينَ بضمه ورمها في البالوعة.
بلغها الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطول هذه القضية أهل
القصر، فأمروا بجملة جامعا" (الخطوط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) صه: يأمر بالموذ يضرب.

فَوُكِّلَ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ تُقْتَلُ، إِلَّا مِنْ تَعَرُّضٍ لِحَرِّ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ. ”

فلم يدْرِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَاذَا أَرَادَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ. ^(١)

فليس في الأرض نفسٌ تعبر على مَضَضِ الحِلَقِ ومطالاةِ الأيامِ بها صبراً للملوك. ^(٢)
ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوى الجِأِ والتميز في العمل عليها والمقابلة بها حتى تخرج على وزنٍ واحدٍ وينظم مؤتلف.

وكذلك يُحكى عن عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق، أنه أقام ^(٣)

٥٣
تكملة عبد الملك بن
مروان بن
نازك الملك

(١) روى صاحب ”تبيين الملوك“ هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في ”الاشتقاق“ لأبن دُرَيْدٍ (ص ٤٩) مانعه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشدق، وهو الذي يلقب بلعيم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذِيانَ قَتَلَ لَعِيمَ الشَّيْطَانِ ”وكذلك تَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ“. قتل عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، منسل المسعودي (ج ٥

ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تملك على تردد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرِّح به الجاحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بعد أن اتفق معه على أن يجعله وليَّ عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، نقض الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو وليَّ عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلف من خالد بأمر سبب، وحرَّبه أمر عمرو وهو يصاربه. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: ”إنك لتطعم نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل“! فأجابته عمرو: ”استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أوردتكم الغفلة. زحرت عما راقت طبعه، وندبت إلى ما تركت سيده. ولو كان ضعف الإيمان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذلُّ عزيز. ومن قريب يدين من صريع بني وأسير غفلة“. قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله. فمرة يرجئه، وأخرى يهيم به، ومرة يحجم، وأخرى يقتلهم، حتى قتله، على أخبث حالاته.

وحدثني قثم بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني مسرور الخادم: قال: أشهد بالله! لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبه، وهو يقول في مناجاته ربه: "اللهم! إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى". ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست.

(تكية الرشيد
بالبرامكة)

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبعطائه رأسه إلى حرمة له، صغرت أم كبرت. فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبعطنه حتى بدت أعمارؤه، وكم من

مراعاة حرم الملك

== (ج ٢ ص ٤٤) إنه سمي بالأشدق لأنه كان مائل الشدق. وأنظر التفاصيل في المواضع التي نهينا عليها. [وأنظر الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدق وأنه كان خطيباً موقهاً "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٢١-١٢٢ وأنظر أيضاً ص ١٨٤-١٨٥ مه].

(١) سمه: راود.

(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذري والأغانى في فهرسها)

(٣) في الأصل: "حسين". ولا نعلم أن الرشيد غاد ما خلاصاً بهذا الاسم. ولذلك أبدلناه بمجاده المشهور وهو: "مسرور". في ذلك أيضاً رواية "تنبيه الملوك والمكايد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.

(٤) سمه: مع.

(٥) في "تنبيه الملوك والمكايد" ما نصه: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لسه. وما بدأ على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد في بعض بني جبه، فسمعتهم وقد ألتزم المستجار من الكعبة وهو ينفذ يميناً وشمالاً، وكنت بين أستار الكعبة لم يرني. وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى". مراراً كثيرة. فلما سمعته، طار عقل ونشيت أن يعطى بي، فيكون ذلك سبب هلاكى. فاقبلت أعموداً، ولم أزل أحتال حتى استلكت من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذي استخار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مرّفته السباع وتمشّشته^(١)، وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديا قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء، وكم من جمجمة كانت تُصان وتعلّ بالمسك والبان^(٢) قد أُلقيت^(٣) بالعرّاء، وغيبت^(٤) جثتها في الثرى بسبب الحرّم والنساء، وانلّختم، والأولياء! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قطّ حتى يراه بحيث يهوى^(٥) منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب، إذ كان من ألطف مكايده وأدقّ وساوسه وأحلّ تربيته!

(١) أى مصّت عظمه. وفي س: "تمزقه السباع وتمشّشته". وفي ص: "تمزقه السباع وتمشّشته". وفي "الحاسن والأضداد": ونهسته.

(٢) أى تطيب مرة بعد أخرى بالمسك إلخ، علّه بالخناء يعلّه ويعلّه "الكامل للبرد". والعليّة المرأة المطيبة مليا بعد طيب "قاموس". وفي ص: قتل. وفي نسخ "الحاسن والأضداد": قتل، تعل، تغدا. [وأظهر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والمحاكاة ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب أسم البان على شجرتين مختلفتين. فالأولى هي المساء أيضا بشجرة الخلاف، وهي التي يسم بها الشعراء وبشبهون قوام المحبوب بقضبانها. وهي كثيرة بمصر. والخلاف نوع من الصفصاف (Saulo) أو هو غيره. ويطلقون أسم الخلاف في مصر على زهرة مما يشبه رطباً ويستعمل مثل الورد والنسرين والنيلوفر (نهاية الأرب، في الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع؛ وحسن المعاصرة). وفي "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٢" أن البان والخلاف من الفواكه المشهورة وأنها نوعان.

أما أسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca*. والشجرة الثانية هي التي عنها الجاحظ. تشبه الأثل ولها ثمر كأنه الجوز فيه حب كالفسق، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط. وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضا. ودهنه يدخل في تركيب قنّاس الطيب والأعطار والفوال. وتوجد شجرته ببلاد العرب. واسمه العلمي (*Guilandina moringa*) واسمه العام المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية. (راجع آبن البطار وترجمته إلى الفرنسية في الكلمات التي ذكرناها)

(٤) صه: نبذت.

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط.

(٦) في نسخ "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل تاريته، أجل بواقته.

فعلَى الحكيم المحبُّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أَنْ يطلبَ
دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلاً؛ ويدفع مفارقتها لكل شئ يقع فيه
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَطَبٌ يُتلف، ولا يَتَّكِلَ على خِيَانَةِ خَفِيَّتِ
أو بَقَرَةٍ حَفِيَّتِ بها أحدٌ من أهل السَّفَهِ والبَطَالَةِ. فَإِنَّ تِلْكَ لَا تُسَمَّى سلامة، بل
إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكم من فَعْلَةٍ قد ظَهَرَ عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمنة بها، قَدَّرْتُ^(٥) من كان قد أحسنَ بها الظنَّ حتى تركته كأَمْسِ الذاهِبِ،^(٦)
كَأَنَّ لم يكن في العالم!



ومن حقِّ الملك - إذا أيسَ بإنسانٍ حتى يُضاحكه ويُهازله ويُفَضِّلَ إليه بستره
ويُخَصِّصَه دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أَنْ لا يرفعَ إليه طَرَفَه،
إعظاماً وإكراماً، وتجيلاً وتوقيراً؛ ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
وليكنَّ غرضُه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
بمحضرة الملك

٥٥

- (١) يَكْنَى بالنسيم الدقيق عن النَّفْسِ؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سَمَ : مفارقتها بكل - صَمَ : مفارقتها بكل - [وربما كان الأصوب ما وضعناه في من الكتاب :
"ويدفع مفارقتها لكل شئ انخ" أي يحول دون ارتكابها لأى أمر تكون عاقبه مشكوراً فيها بين السلامة
والهلاك] قال في تاج العروس : "قارنه مقارنة وقرافاً : قاربه . ولا تكون المقارنة إلا في الأشياء الدنيئة ."
(٣) صَمَ : غضب .
(٤) سَمَ : تسمى .
(٥) الفعل ما هورَدَى مثل أوردى ، بمعنى أهلك . وفي صَمَ : فأوردت .
(٦) أَمْسِ الذاهب ، وأمس الدابر ، وخبر كان : كلها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في د ب ر)

خض الصوت
بحضرة الملك

تأديب الله
للمصاحبة

ومن حق الملك أن لا يرفع أحدٌ صوته بحضرة. لأن من تعظيم الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بحضرة، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزه وسلطانه.

وهذا أَدَبُ الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فقال عز من قائل:
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.“ فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَقَدْ آذَاهُ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وكان قومٌ من سفهاء بني تميم أَتَوْا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: يا عجم!
أُخْرِجْ إِلَيْنَا نَكَلِّمَكَ. فَنِمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أَدْبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ”إِنَّ الَّذِينَ يَسْأُدُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ.“^(١)

ثم أَتَى عَلَى مَنْ غَضَّ صَوْتَهُ بِحَضْرَةِ رَسُولِهِ، فقال جل اسمه: ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى.“^(٢)

(٥٦)

فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بحضرة، وإذا قام عن مجلسه:
حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْمَلَأَ، وَهَنٌّْ وَلَا خَلَلٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، فِي صَغِيرٍ أَمِيرٍ وَلَا جَلِيلِهِ.

حرمة مجلس الملك
في شيبه

وكانت ملوك الأعاجم تقول: إِنَّ حُرْمَةَ مَجْلِسِ الْمَلِكِ إِذَا غَابَ كَحُرْمَتِهِ إِذَا حَضَرَ.

(١) أنظر قصة هذا الوعد في كتب السيرة النبوية، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦).
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩).

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧).

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها . فَمِنْ حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن الفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمِّيَ ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيئته وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سُمِّيَ ذا وجهين، وكان عند الملك متقوصاً متصنعاً^(٢).

الرفقاء مل مجالس
ملوك السج عند
غياهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصّة نفسه وإما في توكيد ملكه . فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقّه على الملك أن يخلع عليه خلعاً في قرار داره، وبحضرة بطائته وخاصته . وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقّه أن يخلع عليه بحضرة العامة، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأحدثه وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه .

موطن المكائلات



وليس من العدل أن يُقرّر المحسن بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلع على شرب أو هوى . فاما إذا كانت لأحد المعنيين اللذين قدّمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل خيالات أو قضاء دين أو إحسان، كائناً ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها .

بيان المكائلات
وخصوصها
وعصومها

(١) أ، و، ق، هـ .

١٥

(٢) صه : مقصياً . [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مَقْصِي" إذ لا يقال "مَقْصِيَا" في أسم المفعول . وأنظر القاموس وقرحه في مادة ق ص و]

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح
والأخلاق، لا الصفراء تغلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يغمره ويكثر بوله
وزقه وتشاويه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد
مزاجه. فأما الدموى^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه^(٢)
حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



ومن حق الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنازل الطريق
وقطع المسافة، دليلاً بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والنعاس، قليل السعال^(٣)
والعطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمُحَادِثَةِ، قصير المياومة^(٤)
والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والسائر
من المثل، متطرقاً من كل فن^(٥)، آخذاً من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم
أهل الجنة، حذثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛
وإن ذكر النار، حذره ما قرب إليها. فزهده مرةً، ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

آداب النديم في
المزاملة، وعلومه.

(١) صم : الدين .

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموى"

(٣) صم : ومثاره .

(٤) صم : قصير الملايلة .

(٥) صم : متصرفاً .

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالحرّاً إذا أصاب هذا، أن لا يفارقه إلا عن أمرٍ تنقطع به العصمة وتجب به النعمة^(١).



ومن حقّ الملك، إذا خرج لسفرٍ أو تزوّج، أن لا يفارقه خلعُ للكساء، وأمّوالُ للصلّات، وسيّاطُ للأدب، وقيودُ للعصاة، وسلاحُ للأعداء، وحمّةُ يكونون من ورائه وبين يديه، ومؤنّسٌ يُفَضِّي إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره وسُنّة شريعته، ومُلمٌ يَقْصُرُ ليلَه ويكثُرُ فوائده.

مدة الملك في خروجه
لسفر أو تزوّج



وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أوّلها وآخرها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تمتثل هذا وتفعله.

ولسندماء الملك ويطانته خللاً يُساوون فيها الملك ضرورة. ليس فيها تقصن على الملك، ولا ضعة في الملك. منها: اللَّيْبُ بالكُزّة، وطلب الصيد، والرّمي في الأغراض، واللّعب بالشطرنج، وما أشبه ذلك.

خلال الندماء

ومن الحقّ على الملك أن لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النّصفه في هذه الأقسام التي عدّنا.

مساواة الملك
للملاعب

ومن حقّ الملاعب له المشاحة والمكالبه والمساواة والممانعة وترك الإغضاء والأخذ

حق الملاعب
على الملك

(١) في "القاموس": "الحرّ الخلق". ومنه: بالحرّ أن يكون ذلك. وفي "الصّاح": "ويحدّث الرجلُ الرجل فيقول: بالحرّي أنت يكون". [والمعنى هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً توفّرت فيه هذه الصفات فالأخرى والأجدر والاختق به أن لا يفارقه إلا في الحالة التي نصّ عليها المؤلف.]

(٢) سه: "التيمة".

(٣) صه: المماقة.

من الحق بأقضى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلاماً رقيقاً ولا معارضةً بما يُزيل حق الملك ولا يصيحُ يعلو كلامه ولا يُخبر^(١) ولا قذف ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة^(٢). فقمره تربه. فقال له سابور: ما أمرتك؟ فقال: أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة. فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فردّ غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأيسف لذلك سابور وقام فدعا ببرقع، فتبرقع. ثم جثا لتربه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحد لعبة على حكم غائب؛ فمن فعل قدمه هدر^(٣).

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعير، وتوبيخ في مثل ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخاطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا أخرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل ترب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.



آداب الملاعب
بالكرة وغيرها

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدياته على دابة

(١) التغير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا الترب كانت عادته وديته أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك ، وصوبلجانه على صوبلجان الملك ، وأن يعمل جهده في أن لا يُخس حظه ولا يفتر^(١) في مسابقة ولا مراكزية ولا ألتفاف كرية ولا سبي إلى حد ونهاية وما أشبه ذلك . وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج .

سمعت محمد بن الحسن بن مصعب يقول : " كان لي صديق من بني مخزوم ، وكان لاعبا بالشطرنج . فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر ، فقال : أحضره . فقلت للمخزومي : تبياً للقاء أبي العباس . وكان متصرفاً كثير الأدب . فغدوت به ، فدخل . فلما وقعت عين أبي العباس عليه ، وقف . فرآه من بعيد ، ثم أنصرف من غير أن يكلمه . فقال : هذا رجل من أهل الأدب ، فأعده به ولاعبه الشطرنج بحضرتي

لمبة الشطرنج
بمحبرة عبد الله
أبي طاهر

(١) صحه : ولا يمين .

(٢) اضطرب اسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب . فورد في "الحسين" وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي "المحاسن والمساوي" ص ٢١٧ . ورد في صحه : "الحسن" وكذلك في الأصناف وفي سفي موضع آخر [أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب] . أما الطبري فأورد الاسمين ، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجل "محمد بن الحسين" وأويا . ولا أدري من أين له هذه التفرقة ، فإن متن الطبري لا يفيدها . والظاهر عندي أنهما شخص واحد .

أولاً — لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقاً ، ولو كان رويًا — كما يزعم صاحب فهرست الطبري — — لكان من الراجح وقوع اسمه في تخاب الأغاني ؛

ثانياً — لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي اليمين الذي فتح بغداد باسم المأمون . ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف . فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب ، وإلا لكان عنه . ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد . فهو من عصبة عبيد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجله . وقد كان بصيراً بالبناء والنعم ، وكان من الملتجئين . وذلك لأن أبا الفرج الإسفهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان ، ويشتهر بلقب الأمير . (ابن الأثير ج ٦ ص ١٠١ و ٢٠٦) و (الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٥٣ و ١٠٢ و ٩ ص ٦٢ و ج ١٠ ص ٩١)

حتى أبوره وعائشه حتى يخرج إلى باب الهزل والشتيمة. فلما قعدنا، دارت لي عليه ضربة^(٢)، فقلت: خذها، وأنا الغلام البوشنجي^(٣)! وهو ساكت. ثم دارت لي عليه ضربة أخرى، فقلت: خذها، وأنا مولى مخزوم! فسكت. ثم دارت عليه ضربة^(٤)، فقلت: خذها يا ابن مخزوم، في حريم مخزوم! فسكت. وأستؤذن لرجل من آل عبد الملك ابن صالح، وكان خاصاً بأبي العباس، فأمر بالإذن له. فلما دخل الهاشمي وقعد، قال [لي] المخزومي: ليس فيك موضع شرف ولا عز، فأفانرك! أنت بوشنجي بمن داني! ولكن قل لهذا الهاشمي: فإفانري حتى ينظر ما يكون حاله. فأما أنت، فمن أنت حتى أفانرك؟ فضحك أبو العباس حتى خفص برجله^(٥)، وأمر له بخمسة دینار وقربة وآتسه.

❦

آداب الندماء إذا
أخذت الملك سنة
من النوم

ومن أخلاق الملك، إذا غلبته عيناه، أن ينهض من حضره من صغير أو كبير، بحركة لينية خفيفة، حتى يتوارى عن قرار مجلسه، ويكون بحيث يقرب منه إذا أتته. ولا يقولن إنسان في نفسه: لعل الملك إن هب من ستيه لا يسأل عني، أولعله أن يمتد به النوم أو يعرض له شغل. فإن هذا من أكبر الخطأ. وقد قتل بعض الملوك رجلاً في هذه الصفة.

(١) البور الاختبار والامتحان كالأبصار. قال في تمانض جريرو والفردق (ص ٣٥٤): "وهذا كله أبقار منه للناس ليدعوم إلى خلعه".

(٢) يظن بعض الجبهة أن هذا اللفظ ليس عربي، لأن بعض المتحذلقين مالوا إلى التثنية لفظاً ومعنى، دون أن ينظروا إلى الفرق بين الاسم والمصدر. والقاموس وشرحه وكل متون اللغة والملاحظ وأمثاله شهود عدول. وأنظرا بضارح القاموس في مادة هـ زل فقد صرح بأنهم اشتقوا الشتيمة من التثنية. وأنظرا البيان والتبيين ج ٢ ص ٦ [٣] إشارة إلى نشأ بجدية بوشنج من خراسان.

(٤) كلمة مركبة تركيباً إضافياً من كلمتين. وحذف حرف الألف من الثانية. والمعنى ظاهر. وهو شتيمة. ويضارع ذلك في حذف الألف، قول العرب: "لآب لك" أي لا أب لك، وقولهم: "وليته" (أنظر تاج العروس في مادة وى ل). وأنظر صفحة ١٣٥ من هذا الكتاب.

(٥) أي ضرب الأرض برجله كثيراً حتى كأنه يبحث فيها.

١٥

٢٠

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكم الملك وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطن عليه. وبالحرى أن لا يتعلم من عدل وتأنيب.^(١)



ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصاله منها - أنه الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ يساطه، ولو حضر مجلسه أزهى الخلق وأعلمهم.

إمامة الملك للصلاة



فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا سجود ولا قيام.

وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوما من صغير أو كبير أو شريف أو ضيع، فهو للكل أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائما، فإنهم لا يدرون أيريد تنقلا أو دخولا أو قعودا في مجلسه.

فإن قام لتافهة، فليس من حقه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته ليحدث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصطلون بإزائه، وهو قاعد. ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى حيث لا يراهم، فقصلوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلوا على مكاناتهم.^(٢)

(١) أنه تأنيب: عفه ولامه. (حاشية في صـ)

(٢) صـ: بالإقامة.

(٣) في صـ: "تنقلا" بالفتاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالفاء.

(٤) الحكمة المنزلة عند مالك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨)

آداب مسaire
الملك

(٦٤)

وقد قلنا إن من حقّ الملك أن لا يتدنّه أحدٌ بمسيرة. وإن طلب ذلك منه من يستحقّ المسيرة، فالذي يُعزّمه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً إليه، سايره، وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسيرته. ومن حقّه، إذا سايره أن لا يمسّ ثوبه ثوب الملك، ولا يذني دابّته من دابّته، ويتوشى أن يكون رأس دابّته بإزاء سرج الملك، غير أنّه لا يكلفه أن يلتفت إليه. ولا ينبغي له أن يتدنّه بكلام.

وإن كان لا يتقّ يلين حنان دابّته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأى له أن لا يسايره. فإن في مسيرته وشمّة عليه وعلى الملك. أمّا عليه، فإنه يحتاج إلى حركة متواترة تتبع بها نفسه ودابّته، ويخرج بها عن حدّ أهل الأدب والمروءة والشرف. وأما في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأمّا على الملك، فإنه وهن في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابّته، كان إنما يسير عند ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

سنة أكابر المعجم
عند تبيينهم للمسيرة

(٦٥)

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديريبد^(٢) وموبدان^(٣) وموبد ومن أشبه هؤلاء من خاصّة الملك، إذا همّ الملك بالمسير في زهية أو لبعض أموره، عرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (النية والإشراف للمعوى ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب الكتاب المقدس عند المجوس. وربما كان الصواب في هذا المقام: "ديريد" من كلمتين الأولى فارسية والثانية عربية بمعنى "كتاب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه المسعودي، اللهم إلا أن تكون الكلمة محرقة وتحتاج إلى التثقيف. [أنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبد فهو القاضي، وموبدان موبد هو قاضي القضاة. وموبد من أعاظ الفهلوية، وهي اللغة الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جزء ٦ ص ٣٧٥).

على راحة الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحاذنة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلادية أو كثرة شوره أو عثار أو جماج .
فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . وكان الرافض يمتحن دابة دابة من دواب
هؤلاء العظماء . فما أختار منها ركب ، وما نفى أريجى .

- وأيضا إن من حق الملك ، إذا سايره واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تحصن ^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

- وفيا يحكى عن ملوك الأعاجم أن قباد ، بيتا هو يسير والموبذ يسيره ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قباد . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول
ما يستدل به على تخلف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت يلف دابته في الليلة
التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قباد حتى أقرعن نواجذه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما ضمنت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزمة ^(٢)
أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك .

ما حصل للموبذ
أثناء مسيرته لقباد

١٦

- (١) تحصن الفرس صارحانا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تشب على الدابة التي تكون
قدامها كما يفعل الفحل . لتلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباي إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتابكي أزبك (منشئ الأزيكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . وفي أثناء الطريق شب فرس
الأتابكي على فرس السلطان ورفسه . بلجأت الرفة في قسبة ساق السلطان فأنكسرت ، فزل بشيبين وهو في غاية
الأم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (أنظر التفصيل في أين لماس ج ٢ ص ١٢٨)
(٢) معرب قباد . وفي كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتي حلوان وهازيون . وأقول إن حلوان هذه
هى مير التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
ومر من رأى . [أنظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .
(٣) رواها في "محاسن الملوك" بأختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف في "المحاسن
والمساوى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء سيارته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسايره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هانت فإنها عظيمة، وعقل ضعيف ناقص. فتبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، ولله أنت! قال: لإطعاعى هذا النائل أمه البارحة مكوثي شعير، فضحك معاوية، وقال: أخفشت، وما كنت فاحشًا! وحمله على دابة من مراكبه.

- (١) هو أبو السح الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للقاء أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان الممدودين، وأشارك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وريسان وأجنادين. وقد طلب من حل طيه السلام أن يدفع إليهم قتل عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حصن ثم تولاه لمعاوية، وهو الذي قسم منازط بين أهلها. وما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه أعزل مع ولده بن معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليزبون الشبهة فيتركمون أن ينقلوا إلى أوطع منها، مخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجليل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لانمان قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ٢١٨. وتاج الروس في باب الباء وفي باب اللام)
- (٢) اقتديت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. | وأظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب |.
- (٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

تعديل



فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْضِي أَعْيُنُهُمْ بِكُلِّ جُهِدِهِ . فَإِنَّ لِمَسَايِرَتِهِمْ شُرُوطًا يَجِبُ عَلَى مَنْ طَلِبَهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا وَيَحْفَظَ فِيهَا . وَقَلْبًا حَظِيًّا أَحَدُ مَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا مَقَدِّمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوءَةُ .

تعاير المعجم من
مسايرة الملك
المتصلة

فَمَا مَا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعَاجِمَ كُلَّهَا كَانَتْ تَسْطِيرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَثَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ بَطَائِنَتِهِ بَعِينَهُ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ طَيْرَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

ما حصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
المهادي

وَيُقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَعْدَ اللَّهِ بْنِ

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ بْنُ قَتِيبة بن مسلم الباهلي . كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمَهَادِي وَمِنَ الرَّشِيدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قَبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرَّشِيدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ . فَخَرَجَ الْخَزْرَئِيُّ لَهُ فُوزْمُوهُ وَفَعَلُوا إِلَّا قَاعِيلَ الْمَنْكِرَةِ الَّتِي لَمْ يَسْمَعْ بِظَهْرِ النَّاسِ . فَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ رَجُلَيْنِ فَأَمْلَعَا مَا أَضْدَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ مَرَّعَشَ فَأَغَارَتْ الرُّومُ عَلَيْهِ وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَهْرُكْ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ .

قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَعْرَابِيًا مَدَحَهُ يَبْتَنِينَ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَخْشِ ضِلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ .

لَنَا مُقَرَّمٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَسَّافٌ فِي رُجَّةِ كُلِّ جَوَادٍ .

فَمَا تَحْقُلُ مِنْهُ فَهَجَاءُ يَبْتَنِينَ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

لِكُلِّ أُنْثَى مَلِجٍ نَوَابٌ طَلَبَتْ ، * وَلَيْسَ لِمَلِجِ الْبَاهِلِ نَوَابٌ .

مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ ، وَالْمَدْحُ مَهْزَةٌ ، * فَكَانَ كَهَفَافٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

(إِبْرَاهِيمُ الْأَنْبَرِيُّ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ و "الْأَغْنَى" ج ١٧ ص ٣٢

وَج ٢١ ص ٢٣٤ و "عِيُونُ الْأَنْبَاءِ" ج ١ ص ١٥٤ و "أَمَالِي الْقَالِي" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامته، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشِيرُهُ دَابَّةُ عَبْدِ اللَّهِ في وجه موسى، وعبدُ الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضعَه، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثُر ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَّر في الإجتهد، ولكنه حُرِمَ حظُّ التوفيق^(٤).

وفيما يذكر عن عبد الله بن حسن أنه بينما هو يسير بأب العباس [السفاح] بظاهر مدينة

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وأتت بتصالهما على يد أحد المزورين من حيث لا يعلم ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة اشتكاها:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلِمَةٌ * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُعِكَ.

بِالْيَتِ مَا بَكَ بِي، وَإِنْ تَلَقَّتْ * نَفْسِي لَدَاكَ! وَقُلْ ذَاكَ لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤) وأنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ج ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧). [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب].

(٢) يستفاد من كلام الجاحظ هنا مصافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة وولّ عهده أن يسير قائد بحرية بين يدي كل منهما.

(٣) كذا في سمر، صر، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبدويه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يُشر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦)

ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧)

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترسيبه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا والنفس الزكية وإبراهيم نرجسا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبدويه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري الكامل للبرد بمقتضى فهرسهما).

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه، إذ أنشد عيسى :

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت، * وما حلّ في أكلاف عادٍ وجهم،
ومن كان أنأى منك عزّاً ومفخراً، * وأنشد بالجيش اللهم العرمم .

فقال أبو مسلم : هذا مع الأمان الذي أُعطيتُ ؟ قال عيسى : أعتق ما أملك إن
كان هذا لشيء من أمرك ! وما هو إلاّ خاطرٌ أبداه لساني . قال : فبئس الخاطرُ
والله إذن !^(٣)

❦

قدم تسمية الملك
أو تكتيته

ومن حقّ الملك أن لا يُسمّى ولا يُكَنّى في جدٍّ ولا هزلٍ ولا أنيسٍ ولا غيره .
ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك
وأصطلحت عليه ، ما كان جزاء من كنى ملكاً أو خليفة إلا العقوبة . على أن ملوك
آل ساسان لم يكتنّها أحدٌ من رعاياها قطّ ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبةٍ ولا تقريرٍ
ولا غيره . وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة .^(٤)

ما قاله الها
مسلم أنا

١٠

(١) صه : أدنى .

(٢) كثير التهود أو التهود بأمر الجيش والقيام بأعباءه

(٣) نقلها في "الحاسن والمساوي" (ص ٩٨) .

١٥

(٤) أظن ياقوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية ، ولم يذكر لنا شيئاً منها في أيام
ظلمتها على عهد الإسلام . وإنما استغفنا منه أنها بقرب النجف . ولذلك رأينا أن نثبت هنا ما جاء منها
في الأغانى (ج ٨ ص ١٢٥) يعرف القارئ مكاتبا التي دخلت الآن في خيركان . قال :

« كان بعض ولادة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية . فقال له رجل من أهلها ، وكان ماثلاً ظريفاً :

— أتعيب بلدة بها يُضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟

٢٠

— وبها ذا تُمدح ؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المشهور مَلِكًا

== بصحة هوائها ، وطيب مائها ، وزهرة ظاهرها . تصلح للنفث والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ،
وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم . وقد قدمنا - أصلحك الله - مُخَفَّفًا فرجحت مُثَقَّلًا ،
ووردتها مُثَقَّلًا فأصارتك مُكْتَرًا .

٥ - فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟
- بأن تصير إلى ، ثم أَدعِ ما شئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !
- فأصنع لنا سنيما [Une partie de plaisir] ، وأنرُج من قولك .
- أنفعل !

١٠ فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسبكها وما صيد من وحشها : من ظباء ونعام وأراب وحبّارى .
وسقاهم مائها في قلاهما ، ونعّمها في آئيتها . وأجلسهم على رُفُها ، وكان يُخَذُّ بها من الفراش أشياء ظريفة .
ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبداً إلا من مولديها ومولّداتها ، من خَدَمٍ ووصائف كأنهم التزلو ، لنتم لفة أهلها .
ثم غنّاهم حُتَيْنَ وأصحابه في شعر عديّ بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى قمدان لم يتجاوزهما . وحيّاهم برياحيها .
وقلّهم على نحرها - وقد شربوا - بغوا كهها . ثم قال :

- هل رأيته أسمنت على شيء . مما رأيته وأكلت وشربت وأقرشت وشمت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟
١٥ - لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بذلك ، ونصرتة فأحسنت نصرتة والخروج مما تضمنته . فبارك الله لكم
في بلدكم ! «

وكان ابن شبرمة يقول : "يوم ليلة بالحيرة خير من دواء سنتين" . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) .
وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق الضيصة لأبن رُسْتَه
ص ١٩٢ و ٢١٧) .

٢٠ وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وسمر من رأى .
وأنت عليم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه السنة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين . وناهيك
بها من أمصار رعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من يسده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد
والمباد كما يشاء !

أو خليفة وهو يُخاطَبه باسمه، كان جاهلاً ضعيماً خارجاً من باب الأدب.
(١) (٢)

ولولا أن الاصطلاح منعنا لإيجاب المنع من ذلك، كان من أول ما يجب.
ولا أدري لم فعل القدماء ذلك، كما أنى لا أدري لم أجازته ملوكها ورضيت
به، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شيء وترقى عنه.

وكانت الجفأة من العرب بسوء أدبها وغلط تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
وسلم) - خاطبوه ودعوه باسمه وكُنيتيه. فأما أصحابه، فكانت مخاطبتهم إياه: "يا رسول
الله!" و"يا نبي الله!"

٥٠

(١) صه: "الاضطلاع" و"بجانها" "الاصطلاح". وفي سه: الاصلاح.

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة. فهو أول من منع الناس أن ينادوه
باسمه. (مخاضة الأرائل ومسامرة الأرائس). ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخى بتطاول العهد، فعاد القوم
إلى ما كانوا عليه.

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يلحرون عند إلتئاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء،
فينخيرونها من التي لا يكون فيها اسم مشوش يشابه اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة (الأفاني ج ٥ ص ١٧٤).
وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال: كنت عند الرشيد، فأهديت له أطباقاً
ومعها رقعة. فلما قرأها، استغفره الطرب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية
عبد الملك بن صالح. ثم نبذ إلى الرقعة، فإذا فيها بعد البسملة: "دخلت، يا أمير المؤمنين، بستاناً عمرته بنعمتك،
وقد أينت أمهارة وفكهم. فأخذت من كل شيء (وعدد أنواعاً من الفاكهة) وصيرته في أطباق القضبان
ووجهته لأمر المؤمنين، ليصل إلى من بركة دعائه، ما وصل إلى من برة وتنهائه". قلت: يا أمير المؤمنين،
وما في هذا يقتضى هذا السرور؟ فقال: ألا ترى إلى قلعه، كيف قال: "القضبان"؟ فكنتي به عن
الخير وإن، إذ كان يجري به اسم أمنا.

٢٠

وهكذا يجب للولك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ^(١) ويا أمين الله! ^(٢) ويا أمير المؤمنين! ^(٣)

(١) لم يرش أبو بكر الصديق بأن يُسَمَّى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٣٧) فضلا عن أن يُسَمَّى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى أمه غلاهم على خلاف ذلك. قال الزبيج: حازان يقال للأئمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُنسَقُّ به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهنئة):

صاعتُ خلافتكم، يا قوم، فآتمسوا * خليفة الله بين الرقِّ والهد!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المتسمم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فلمل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسان بن ثابت يرى عثمان بن عفان.

إني رأيتُ أمينَ الله مضطهدًا * عثمانَ رهنا لدى الأحداث الكفين.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«رإنما يتساح بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْحِزَاءُ.

وكقول المرأة تخاطبه:

أحمدُ، وَلَدْتُكَ مِنْ كَرِيمَةٍ * فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ لَحْلٌ مُرِقُ!

رُوي أنه قدم رجل من الأعراب على عمر رضي الله عنه ومعه صبيته له وأهله، فقال مخاطبه:

يَا عَمْرُ الْخَيْرِ جُرَيْتِ الْجَنَّةِ * أَكُنْ بَنِيَّ وَأُمَّهُنَّ

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يكون عن حالي لتسألته =

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكان اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكنَّى عنه ويُجيبَ باسم أبيه. كما فعل سعيدُ.

== فقال عمر: متى؟ قال:

يومَ تكونُ الأعطياتُ جنةً * والواقفُ المسؤولُ ينهنه
لما إلى نارٍ وأما جنسه.

فنبذ عمر رضى الله عنه قيسه، وقال: هذا جنة ذلك اليوم!

وروى أن الرشيدَ جلس يوماً للظالم فرأى في الناس شيئاً حسنَ الهيئة. فلما تقوض المجلس، قام الشيخ وبيده قصته، فأمر بأخذها. فقال: إن رأيتُ أمير المؤمنين أن يأذن لي في قراءتها، فإني أحسنُ تميراً تلعللُ. قال: أقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كثيرٌ ضعيفٌ، والمقامُ عظيمٌ. فإن رأيتُ أمير المؤمنين أن يأذن لي في الجلوس؟ فقال: اجلس! اجلس. ثم قال:

ياخيرَ من جدتُ لرحلته * تُحبُّ الركابَ بهمه جالس!

يقول فيها:

لما رأيتُك الشمسُ طالعةً * جددتُ لوجهك طلعاً الشمس.
خيرُ السيرةِ أنتَ كلَّهم * في يومك الفادي وفي أمس،
وكذلك لم تنفكْ خيرهم * نمتي، وتصبح فوق ما نمتي.
لله يا هرون من ملك * عفت السرية طاهر النغم!
نمت عليه لريه يسم * تردداد جسدتها على اللبس.

(أردت قوله "لله يا هارون")

وبقية الشعر:

من عترة طابت أرومتها، * أهل العفاف ومبتلى القدس.
متهللين على أسرتهنم * ولدى الحاج مصاعب نخس =

ابن مَرَّة الكِنْدِيُّ، حين أتى مُعاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مَرَّة! ^(١)

وكما قال السَّيِّدُ بن أنس الأَزْدِيُّ - وقد سألَه المأمون عن اسمه - فقال: أنت السَّيِّد؟
قال: أمير المؤمنين السَّيِّد، وأنا ابن أنس! ^(٢)

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنو أبيه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مِنِّي، وولدتُ أنا قبلَه! ^(٣)

= إلى بطأت إليك من قَرَج * قد كان شَرَدَق من الأنس.

لما استخرت الله مجتهداً، * يمتُّ نحوك رحمة العنيس.

وأحتت حلك لا أجاوزه * حتى أغيب و ترى الرِّيس.

فلما أتى على آخرهما، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بمئة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المنيرة لمرضى الله عنهما: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذاك نبي الله داود! قال: يا خليفة رسول

الله! قال: ذاك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذاك أمر يطول! قال: ^{١٥}

يا عمر! قال: لا تجسّس مقامى شره! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المنيرة: يا أمير المؤمنين!

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة عبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد" ^{٢٠}
(ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

ألا تراه (رحمة الله) كيف تخلص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فاستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



ومن حقّ الملك أن يتنفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

الأمور التي يتنفرد
بها الملك في عاصمته

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأديب (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مرجوليت) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه . فقال : أبو زيد .
فمجبب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته ، وقد ذلك من سقطة . فلما خرج ، ترك
خاتمه في مجلسه عنده . فأبصره أحمد بن سهل ، فأزاد تعجباً من شفته . فأخذه بيده ونظر في نقش قصه ،
فإذا عليه : أحمد بن سهل . فلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه ، وأنه أخذ
بحسن الأدب وراعى جد الاحتشام ، واختار وصية التزام الخطأ في الوقت والحال ، على أن يتعاطى اسم الأمير
الاستعمال والابتدال ."

وروى آية عبدويه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي رائل : أيكأكبر ، أنت
أم، الربيع بن عبيد؟ قال : أنا أكبر منه سناً ، وهو أكبر مني عقلاً .
وقال معاوية لأبي الجهم المدني : أنا أكبر أم أنت؟ فقال : لقد أكلت في عرس أمك ، يا أمير المؤمنين .
قال : هند أي أزواجها؟ قال : عند حفص بن المنيرة . قال : يا أبا الجهم ، إياك والسلطان ! فإنه يفضض غضب
الصبي ويأخذ أخذ الأسد . (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢) . قال الجاحظ للهلب : أنا أطول أم أنت؟ فقال :
الأمير أطول ، وأنا أبسط قامته . (المحسن والأضداد ص ٢٢ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأول به أن يقتدى بماويس المقي المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان : أيكأكبر؟ فقال :
"بأي وأنت ! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . " ثلاث يوم أمراً . (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣) وبمخاضات الراغب ج ١ ص ١١٧) . أورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقاً لطيفاً ، فقال : فأظن إلى هذه وإلى معرفته بمخارج الكلام ! كيف لم يقل " زفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك " (أظن البيان والبيان ج ١ ص ١٠٤)

(٢) صر : " كانت صيغتهم غير صيغ العامة . "

فمنها الحِجَامَةُ، والقَصْدُ، وشرب الدواء. فليس لأحدٍ من الخاصة والعامة من
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله؛ بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاغل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يعالج به."

وليس الاقتناء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعلٍ من تمت طاعته وصحت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك آستهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يحد عنه مندوحة ومنه بدءاً، بالمهل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارقٌ للشرعية.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت. وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم ترك الحجامه
في هذا اليوم على ذكر! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنساءكم وغسل ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

٧٦

١٥

✦

ومن حق الملك - إذا عطس - أن لا يسْمَت؛ وإذا دعا، لم يؤمن على دُعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بتحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح؛ لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء
الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأمين
على دعائه

ومن حقَّ الملك أن لا يُعزِّيَه أحدٌ من حاشيته وحاشيته وأهل بيته وقرباته؛
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قارب الملك في العزِّ والسلطان^(١)
والبهاء والقدرة. فأما من دون هؤلاء، فينبهون عن التعزية أشدَّ النَّهي.

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيته وهو صغير، فجاءه الوليد
فعزَّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمي أمرتني بذلك. قال: ذلك يا بُنَيَّ
أهونُ عليَّ! وهذا العَمْرِيُّ من مشورة النساء!^(٢)

ومن أخلاق سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فأما سرعة الغضب، فإنما تأتى الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا ألفت النفس هذا العزَّ الدائم، صار أحد صفاتها.
فتتقعر حسَّ النفس ما لا تعرفه في خلقها، تفرَّت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفة وحمية.

وأما رضا الملك فبطيء جدا. لأنه شئٌ يمانعه النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جلس من أجناس الاستخذاء، وخلق من أخلاق العاتية.

(١) صه: والقرابة.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ٣٤) ونسبها بأن عبد الملك قال لابنه: "والله لتعزيتك إياي أهون عليَّ من قبولك
مشورة النساء!" [وهو أحسن من روايتنا]. ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبدالعزيز
عبرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأسا."

سرعة الغضب
وبطء الرضا

غضب السفاح
على أحد رجاله

٧٤

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره ليلة من الليالي. فقال له بعض شُباره: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولم ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمَن عليه، يا أمير المؤمنين، برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلت إنك يا أمير المؤمنين لما صفرت ذنبه، طمعت في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا يرضى.

وعلى هذا أخلاقُ الملوك وصليعُهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخزازي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قرياته أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه وبدنه. فتصاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يذُنْ منه أحدٌ ولم يَطْفُ به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إنك لك عندى يدًا لا أنساها ومعروفا ما أنكره. وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك. وما أنا ذا بين يديك ونصب عينك! فترني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنصَرَ. وفي المفضليات: وهي لو أنصَرَ من أودائنا * عبق الميك، لكأنت تنصِر. ومن شواهد النحاة:

نحو: يَطْلَى الفَرْعُ منها أَلْمُؤَرَّ * لو عَصَرَهُ أَلْبَانُ والمِسْكُ، أنصَرَ.

وكفى الجاحظ بأنصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا مصور اللسان" أى يابسه عطشا.

٢٠

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب].

(٣) أكثر العرب على ضم التون، كما في شفاء الغليل.

- (١) (٢) لا تجعلن نفسي وقاية نفسك، أو أسوقها في كل ما نكأها أو جرحها. فقال له عبد الله خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره في موقعة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم أمير المؤمنين ويخبره بآعذاره. فلما أصبح محمد وأفاه رسول أمير المؤمنين، فركب. فلما دخل عليه، قال: من أتيت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين، عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق ماله مع عشرين نذرا يهبها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك، أو أطلع عليه أو هم به أو أضمره أو أظهره. قال: فأتى الرشيد مليا مفكرا. وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسير ويشرق حتى زال ما وجهه. وكان قد حال لونه حين دخل عليه. ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا، يا محمد. قرره بالروح إلى الباب. قال: وأكون معه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فأنصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بحبل أمره، وأمره بالركوب رواحا. فدخل جميعا. فلما بصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة فخر ساجدا، ثم رفع رأسه فاستدناه الرشيد. فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه فقبل رجله وبساطه وموطئ قدميه، ثم طلب أن يأذن له في الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر، إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض الإعراض والانتقاض. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم. فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله يشكو أنرا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة

(١) أوجب وقوع النكاح بها.

(٢) أصابها بجراحة.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معشر الملوك ، إذا غَضِبْنَا على أحد من بطانتنا ثم رَضِينَا عنه بعد ذلك ، بَقِيَ لتلك الغَضَبَةِ أثرٌ لا يُحَرِّجُهُ لَيْلٌ ولا نَهَارٌ .



كتم الملك أسرارَه

ومن حقِّ الملك أن يكتم أسرارَه عن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق .

فإنَّ الملكَ يَحْتَمِلُ كُلَّ مَبْقُوصٍ ومَأْنُوفٍ ، ولا يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةً : صفة أحدهم أن يطمعن في مُلكه ، وصفة الآخر أن يُدَيِّعَ أسرارَه ، وصفة الآخر أن يُخُونَه في حُرْمِهِ .



فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تَلْبَسَ خَاصَّتَهَا وَمَنْ قَرَّبَ مِنْهَا عَلَى مَا فِيهِمْ ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ مِنْهُمْ إِذَا سَلَمُوا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ .

وكان كسرى أبرويز يقول : "يحب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في امتحان أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه" .

١٠

فكانت محنته في إذاعة السرِّ عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب العدل ، داخلية في باب الظلم والجور ؛ وللاخر أن يقول إنها بمن الحكماء من الملوك . وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته الصحاب والألفة والأفانق في كلِّ شيء وعلى كلِّ شيء ، خلا بأحدهما فأفضى إليه بسرِّ في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على قتله ، وأسرَّه بكتمان ذلك عن نفسه ، فضلا عن غيره . وتقدم إليه في ذلك بوعيده .

امتحان أبرويز
رساله في حفظ السرِّ

١٥

(١) قل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في ص .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة مسبوقة بلفظ آخر لابن جعفر المصور العباسي . (أنظرها في الحاسن والأضداد ص ٢٨ والحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

٢٠

(٤) في "حاسن الملوك" (ص ٥٤) مانعه : وأما كتمان سرِّ السلطان فهو ملاك الأمر ونظام المملكة وسبب بقاء الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وماحب سرِّه ، لم يفارقه في شيء حتى لا يبق عنه أحد . فإذا لم يبق أحد ، أمر أن تُرفع الستائر عن ليله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فأوضه بسرِّه .

(٧٨)

ثم جعل يحتمته في إذاعة سره ملاحظة صديقه في دخوله عليه ونروجه من عنده، وفي إسفار وجهه ولقائه للملك. فإن وجد آخر أمره كأوله في أحواله، علم أن الآخر لم يفيض إليه سره ولم يظهره عليه، فقربه وأجابه ورفع مرتبته وجابه، ثم خلا به، فقال: "إني كنت أردت قتل فلان لشيء بلغني عنه، فبحثت عن أمره فوجدته باطلاً." (١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزوار جانب وإعراض وجه، علم أنه قد أذاع سره، فأقصاه وأطرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنه أراد يحتمته بما أودعه من سره. فإن كان هذا من أهل المراتب، وضع مرتبته، وإن كان من الندماء، أمر أن يُعجَب عنه، وإن كان من أصحاب الأعمال، أمر أن [لا] يُستعان به، وإن كان من سدنة بيوت النيران، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه. ويقول: "من لم يصلح لملكه، لا يصلح لنفسه؛ ومن لم يصلح لنفسه، فلا خير عنده." ويقول: "إن القلب أعدل على القلب شهادة من اللسان؛ وقل شيء يكون في القلب إلا ظهر في العينين؛ إذ كانت الأعضاء مشتركة يتعلق بعضها ببعض." (٢)

امتناعه لرجاله في حفظ الحرم

(٧٩)

فأما يحتمته في الحرم، فكان إذا خف الرجل على قلبه وقرب من نفسه، وكان عليه يظهر التأله، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والقروج والأموال على ظاهره، أحب أن يمتحنه بيمينه باطنة. فيأمر به أن يحول إلى قصره ويُفرغ له بعض الحجر التي تقرب منه، ولا يحول إليها امرأة ولا جارية ولا حُرمة ويقول له: "إني أحب الأئس بك في ليلى ونهارى. ومتى كان معك بعض حُرمتك، قطعك عني وقطعتك عنك." (٣)

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سمه: إن القلب يظهر ما فيه في العينين.

فأَجْعَلْ مُتَصَرِّفَكَ إِلَى مَنْزِلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ خَمْسِ لَيَالٍ لَيْلَةً. “ فإذا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَآنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهَرًا .

- فَأَمْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمَخْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تُأْتِيهِ.
- فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَاكَ. وَأَنْ تُبَدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا. فَفَعَلَتْ وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتُحَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ. فَفَعَلَتْ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُجِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرُّ بِمَحَدِثِهَا. وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَصَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ. فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ: ” إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْتَزَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا. “ ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا. فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَتَقَاتْنِ بِالطَّافَةِ وَهَدَايَا. فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتَ فَلَانَةَ؟ قَالَتْ: أَحْتَلْتُ. فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ ^(١). ثُمَّ لَمْ تُطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَى فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا. وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحِكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ. فَدَعَاَهَا إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ. فَقَالَتْ: ” إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى خُطَى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ. فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ، فَأُظْهِرْ أَنَّكَ عَلِيلٌ، وَتَمَارَضْ. فَإِنْ

(١) أَيْ طَلَّتِ الْفُيْرَةُ لَوْنَهُ .

خيرك بين الانصراف إلى دور نسائك أو المقام ههنا إلى رجوعه، فأختر المقام وأخبره
أن الحركة تصعب عليك. فإذا أجابك إلى ذلك، جئت في أول الليل ولبثت عندك
إلى آخره. ^(١) فسكن الرقيع إلى هذه الأنسة، وأنصرفت الجارية إلى الملك فأخبرته
بكل ما دار بينهما وبينه. فلما كان الوقت الذي وعده أن يخرج الملك فيه، دعاه الملك.
فقال للرسول: أخبره أني عليل. فلما جاءه الرسول وأخبره، تبسم أبرويز، وقال: هذا
أول الشر. فوجه إليه بمحقة، فحمل فيها حتى أتاه، وهو مَعْصَبُ الرأس. فلما بصر به
من بعيد، قال: والعصاة الشر الثاني. وتبسم. فلما دنا من الملك، سجد. فقال له أبرويز:
متى حدثت بك هذه العلة؟ قال: في هذه الليلة. قال: فأى الأمرين أحب إليك؟
الانصراف إلى منزلك ونسائك ليمرضنك أو المقام ههنا إلى وقت رجوعي؟ قال: ههنا
أيها الملك أرفق بي، لقلة الحركة. فتبسم أبرويز، وقال: ما صدقت! حركتك ههنا،
إن خلفتك، أكثر من حركتك في منزلك.

٨٢

ثم أمر أن تُخرج له عصا الزناة التي كان يُوسم بها من زنى. فأيقن الرجل بالشر.
وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً حرفاً، فيقرأ على الناس إذا حضروا، وأن
يُنقى إلى أقصى حد المملكة، ويُجعل العصا في رأس رُمح تكون معه حيث كان،
ليحذر منه من لا يعرفه. فلما أُخرج بالرجل عن المداين، متوجّهاً به نحو فارس
أخذ مُدِيَّةً كانت مع بعض الأعوان الذين وُكِّلُوا به، فحبب بها ذكره، وقال: من
أطاع عضواً من أعضائه صغيراً، أفسد عليه أعضائه كلها، صفارها وكجارها.
فمات من ساعته. ^(٢)

(١) الرقيع والمرقمان الأحمق وهو الذي في عقله مَرَمَةٌ (صحاح) [حاشية في صه]. والمرمة

معناها هنا الاحتياج إلى التزيين والترميم. (أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "المحاسن والأفئدة" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتحنانه فبين
يطعن في الملكة



- وكان قد نصَّب رجلاً يمتحن به مَنْ قَسَدَتْ نِيَّتُهُ وطمعن في الملكة. فكان الرجلُ يُظهر التَّأَلُّهَ والدعاء إلى التخلُّى من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب الملوك. وكان يُقصُّ على الناس ويُنكِّمهم ويشوبُّ في خلال ذلك كلامه بالتعريض بذيِّ الملك وتركه شرائع ملته وسُنن دينه ونواميس آبائه. وكان هذا الرجل الذي نصَّبه لهذا أخاه من الرضاة وتربَّه في الصِّبا. فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتحن بذلك خاصَّته، أُخبر به. فيضحك لذلك أبرويز، ويقول: "فلانٌ في عقله ضَعْفٌ، وأنا أعلم به. وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني بسوء، ولا الملكة بما يُوهِّئها"، فيُظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه. ثم يوجِّه إليه في خلال ذلك مَنْ يدعوهُ إليه، فيأبى أن يُجيبه، ويقول: لا ينبغي لمن يخاف الله أن يخاف أحداً سواه. فكان الطاعن على الملك والملكة يُكثِّرُ انخِلَوةً بهذا الرجل في الزيارة له والأُنس به. فإذا خَلَوْا، تذاكروا أمر الملك، وأبتدأ الناسكُ يطمعن على الملك وفي صُلْب الملكة. فأعانه الخائنُ وطابقه على ذلك وشايعة عليه، فيقول له الناسك: "إياك أن تُظهر هذا الجبارَ على كلامك! فإنه لا يَحْتَمِلُ لك ما يَحْتَمِلُهُ لى. فحُصِرْ منه دَمَك!". فيزداد الانحراف إليه آمستامَةً وبه ثقة. فإذا علم الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة، قال له: ١٥
إني عاقِدٌ غداً مجلساً للناس أقصُّ عليهم، فأحضِرُهُ! فإنك رجلٌ رقيق القلب عند الذكر، حَسَنُ النية، ساكنُ الريح، بعيدُ الصوت. وإن الناس إذا رَأَوْكَ قد حَضَرَتْ مجلسي، زادت نياتهم خيراً، وسارعوا إلى استجابتي. فيقول له الرجل: إني أخاف هذا الجبار، فلا تذكُرْهُ إن حضرْتُ مجلسك.



وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصّة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوننا نحضر مجلس الناسك، متى جلس.
 فبكر الناسك وقصّ على العائمة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فاطهره^(١) والآنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فاقتله قتلة مخي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار^(٢) فإنه من قسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلة." ١٠

٨٥

تغافل الملك
 الصغائر

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء القرن بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. ومعه شرح واف
 في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جز ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراصد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "رشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأظن Dictionnaire géographique de la Perse, par
 Barbier de Meynard, p. 122, 569.

(٢) ص: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 ونقصها جدًا صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردها بالحرف تقريباً في "الحاسن والمساوي"
 (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

تغافل بهرام جور
من سرقة اللجام

وفيا يحكى عن بهرام جور أنه خرج يوما لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى راج تحت شجرة، وهو حاقن^(٢). فقال للراعى: احفظ على عنان دابتي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس. وكان بلاطه ملبسًا ذهبًا، فوجد الراعى غفلة من بهرام فأخرج من حُفّه سكينًا فقطع بعض أطراف اللجام. ورفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستعجيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعى حاجته من اللجام. وجعل الراعى يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام فقال: يا راعى! قدّم إلى فرسي، فإنه قد دخل في عيني بما في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤرهم أنه يتفقد حلية اللجام. فقترب الراعى فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعى: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (لموضع بعيد). قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلى، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومى هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحق بأن لا أعود إلى هاهنا أبدا. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبتهما لسائلي صربي، فلا تهمن بها أحدا.^(٥)

١٥ (١) عار الفرس أى ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه منقش. وفى ص. عاوته فرسه. [وفى هامش: ص: عاره يموره ويميره أى أمخذه وذهب به]. وأنت ترى أنت. رواية ص. عارية عن الصواب، وأن حاشيته فى الهامش لا محل لها فى هذا المقام.

(٢) أى أجمع البول فيه، فهو فى حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لا ترى لحاقب ولا لحاقن» أى لمن تشتد به الحاجة للإخراج من أحد السبيلين. يكون مضطرا لحبسهما.

٢٠ (٣) [أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب]

(٤) سر: طيه.

(٥) روى هذه الحكاية بحرفها فى "المحاسن والمساوى" (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجَان^(١)، ووضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بحيث يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فاخفاه في قبائه، وأنوشروان يلاحظه^(٢). فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا نتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام^(٣).

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد، وبدر الدراهم والدنانير للجوايز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرها، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجر يانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قبای) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabnai) للدلالة على التوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي ص: وبدر.

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ بِهِ الْمَجْلِسَ. فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحُجْرَتِهِ^(١)
سِرَاوِيلَهُ، وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!
إِنَّهُ قَدْ تَقَصَّ مِنَ الْمَالِ كَيْسٌ دَنَائِرًا. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مُحْسَبٌ لَكَ^(٢).

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سِيرِهِمْ وكتبِهِمْ.



وإِنَّمَا يَتَّقِدُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْفُرُّ
عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ
فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى قَالُوا فِي نَحْوِ مِنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي: "الْمَغْبُونُ
لَا مَجُودٌ وَلَا مُأْجُورٌ". فَحَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَى الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ، وَالْمَشَاتِمَةَ لِلْسَفَلَةِ وَالسُّوقَةَ،
وَالْمَقَازِفَةَ لِلرَّعَاعِ وَالْوَضْعَاءِ^(٣)، وَالنَّظَرَ فِي قِيَمَةِ حَبَّةٍ، وَالْأَطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ، وَأَخَذَ
الْمَعَايِيرَ بِالْأَيْدِي^(٤).

الرد على قولهم:
المغبون لا مجود
ولا مأجور

وإِلَّا خَرَى أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُونُ مَجُودًا وَمُأْجُورًا. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ:
إِغْنِيَّ. بَلْ لَوْ قَالَهَا، كَانَتْ أَكْرَمَةً وَفَضِيلَةً، وَفَعْلَةً جَمِيلَةً تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ عُنْصَرِ الْقَاتِلِ
وَطَيْبِ مَرْكَبِهِ.

(١) موضع التثنية من السراويل.

(٢) رواها باختصار صاحب "الخصائص والساوي" (ص ٥٠٦)

(٣) صه: "والمقازفة للزعانج والوضعاء".

(٤) جمع معيار.

(٥) سه: "مكرمة". | وهما بمعنى واحد |.

ولذلك قالت العرب: "السُّرُوُ التَّغَاوُلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا يُحَسَّ، إلا وجئت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها . وكذا أدبنا نهينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحُمُ اللهُ سَهْلَ الشَّرَاءِ، سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الْقِضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاضِي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المَغْبُونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

وقال معاوية في نحو من هذا: "لَيْتَ لَأَجْرُ ذَيْلِي عَلَى الْخُدَائِعِ."

وقال الحسن (عليه السلام): "المُؤْمِنُ لا يكون مكاساً."

كلمة معاوية

كلمة الحسن

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفيما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حبة أبيه لِمُتَرَهه^(٣)، فَبَسِطَ له في صحراء، فتفدّى مع أصحابه، فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُؤَاجَ^(٤) سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سره: "السُّرُوُ التَّغَاوُلُ". [وأظن الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور من السُفاح قوله: "التَّغَاوُلُ من مجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولذا عرهم:

ليس النبيُّ بسيدٍ في قومه * لكنَّ سيدَ قومه المتغاب.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) ص: "رَحِمَ اللهُ مَنْ سَهَّلَ الشَّرَاءَ وَسَهَّلَ الْبَيْعَ". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَهْلًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا أَقْتَضَى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لِمُتَرَهه.

(٥) الدُّؤَاجُ هو الخفاف الذي يُلبَس. ولعلَّ شبهة بالمحفلة المسماة الآن بِالْمُضَرِّيَّةِ. وأظن ما كتبه عليه درزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) ليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدر: مُجَدِّدٌ لَأَمِّ الْمُتَرَلَّاتَةِ دُؤَاجٍ كَانَتْ تَسْمَعُنَ، هُتَمُ الدُّؤَاجِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألق ما عليك ! فقال الأعرابي : " لا تعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فزكاته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عثرَ برجل سرق دُرَّةَ رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وُجِلَ إلى جعفر فلما بصر به ، استَحْيَا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدُرَّةَ مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لا تعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدُرَّة
سرق



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وريهم والاستئمان إليهم "تقدمة لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يَذْكُرَ الرَّجُلُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، بحضرة الملك مَنْ دُونَهُ .^(٢) فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعتُ حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضغ :

في السياق .]

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : "لأعمري ! لا ألقيه ولا أكرمه ! هذا كسوة الأمير وخلعته" . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فزكاته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عثرَ برجل سرق دُرَّةَ رائعة ، أخذها من بين يديه ، فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وُجِلَ إلى جعفر فلما بصر به ، استجيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لاتعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدرة
❦



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وإبرهم والاستئمانه إليهم . - - - مقدمة
لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمن دونه .^(٢) فإن كان الملك

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [روضتُ حرف العاء لمنع التشويش في الجملة ، والأخذ

ولذلك قالت العرب: "السُّرُ التَّغَاوُلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التقصّي إذا بُحِثَ، إلّا وجنت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحُمُ اللهُ سَهْلَ الشَّراءِ، سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ التَّقَاضَى!"^(٢)

٨٨

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجُرُّ ذيلي على الخلدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاساً."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفيما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حفاة أبيه لِمَتَرَه، فَبَسَطَ له في صحراء، فتغشّى مع أصحابه. فلما حان أنصرافه، تشاغل غلبانه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُورَاجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سره: "السرو والتغافل". [وأظن الحاشية هـ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفايح قوله: "الغافل من جبايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الفبي يسيد في قومه * لكن سيد قومه المتعاقبي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) صه: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) صه: لِمَتَرَه.

(٥) الدوراج هو الخفاف الذي يلبس. وله شبه بالملحفة المسماة الآن بالمُصَرِّيَّة. وأظن ما كتبه عليه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدر: عهد لأم المعتز ثلاثة دوراج كانت تستعملن، هُؤُمُ الدوراج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

فيه سيئة الرأي ، فليس من الوفاء أن يُعينه على سوء رأيه . فإن خاف سوط الملك وسيفه ، فأحسن صفاته أن يُمسك عن ذكره بخير أوشر .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل والثوب بالثوب .

ومنها - الحفظ له في خلفه وغياله ، ما كان في الدنيا ، حتى يجعلهم إسوة عياله في الجلب والخصب .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أولها وآخرها ، لا تمنع أحدا من خاصتها وعامتها شكر من أنعم عليها أو على أحد منها وتقريظه وذكر نعمه وإحسانه ، وإن كانت الشريعة قد قتلتها والملك قد سخط عليه . بل كانوا يعرفون فضيلة من ظهر ذلك منه ويأمرون بصلته وتعهد .

ويقال إن قباد^(١) أمر بقتل رجل كان من الطاعنين على المملكة . فقتل . فوقف على رأسه رجل كان من جيرانه فقال : ” ربحك الله ! إن كنت - ماعيت - لتكرم الجار وتصبر على أذاه ، وتواسى أهل الحاجة ، وتقوم بالنائبة ! والعجب كيف وجد الشيطان فيك مَسَاغا حتى حملك على عصيان ملكك ، فخرجت من طاعته المفروضة إلى معصيته ! وقديما ما تمكّن ممن هو أشد منك قوة وأثبت عزما . “ فأخذ الرجل

قباد وما دح الجاني على الملكة

(١) أنظر حاشية (٢) صفحة (٧٨) من هذا الكتاب .

صاحب الشرطة لنفسه . وأتتهى كلامه إلى قُبَادَ ، فَوَقَّعَ قُبَادُ : يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحساناً فَعَمِلَ به ، وَتَرَفَّعَ مَرَاتِبُهُ ، وَزَادَ في عِطَائِهِ .

(١٦)

* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ [الخنزومي] ، حين حُمِلَ رأس مَرَوَانَ [الجعدي] إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة ، فعقد له مجلساً وجاءوا بالرأس ، فقام سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ فأكبَّ عليه قياماً طويلاً ، ثم قال : هذا رأس .

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤) .

(٢) كان من إيجالات مروان الجعدي ، وأشترك معه في وقعة الزاب . (الطبري - سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤ ؛ والأغاني ج ١١ ص ٤٧٥ ؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥) .

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق .

- ١٠ ولد سنة ٧٢ وفيها سنة ٧٦ . تولى لثمان ورثه بعده من الخلفاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية سنة ١٢٦ . وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلفاء على يزيد بن الوليد . ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام وحارب سيان بن هشام ودعا الناس إلى ما يبعثه . وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة . وهو الذي سُمِّيَ يزيد ابن الوليد بالناقص . وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية . [وأظهر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب] .
- وهو المعروف في كتب التواريخ بمروان القنبر ، ومروان الحمار ، ومروان الجعدي . سماه العباسيون الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالقنبر . وقيل إنه لُقِّبَ بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه . (كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحروب . ويقال في المثل : "فلان أمبر من حمار في الحروب" . فلذلك لقب به) . وقيل إن العرب تسمى كل مائة سنة حماراً . (فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك) . وربما كان ذلك لقراره على حمار (يدلُّ على ذلك قول رُوِّية ابن العجاج في مدح النعمان :

٢٥

ما زال يأتي الأمر من أهله * من الجيب وعلى يساره ،

مُشَمَّرًا لَا يُصَلِّي بِسَارِهِ * سَهْمًا أَقْرَمَ الْمَلِكُ فِي فَرَارِهِ

= وَفَرَمَرَوَانُ عَلَى حِمَارِهِ .

(١) أبى عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوشب أبو العباس فطعن في
وأنصرف أبى جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه. فلامه بنوه وأهله،

= وأما تسميته بالجعدى فنسبة إلى أخذه (حين كان والياً على الجزيرة) بتعاليم مؤدبه الجعد بن
سويد بن قحطلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيون
نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة عليه. وكان الناس يذمون مروان بنسبه إلى الجعد. وكان الجعد
المعتزلة وأظهر حقه بخلق القرآن والقدر والاستعانة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا
يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا نافع له غيره، وإنما يقال إن الله خلقه مجازاً لا.
ومن قوله: "إن كان النظرا الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فضلاً لا فاعلاً لها". وقيل إنه كان
وعظه ميون بن مهران، فقال: "لَذَاهُ قُبَاذُ أَحَبُّ إِلَىَّ مَا تَدِينُ بِهِ! فقال له مهران: فذلك الله، وهو
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق
بقتله. لحبه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاماً فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأتم
من الحبس في وثاقه. فلما صُلِّيَ العيد يوم الاضحى قال في آخر خطبته: "انصرفوا وقصوا يقبل الله.
أريد أن أضحى اليوم بالجعد بن درهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا أخذ إبراهيم خليلاً! تعالى الله
الجعد علواً كبيراً!" ثم نزل وذبحه.

أقتر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظرا
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظرا "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والمصطلح
والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السعائى (ص ١٣١)؛ وأبن الأثير (ج ٥ ص
و ١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (ص ٨١)؛ والفرق بين الفرق لعبد
البندادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبيه.

(٢) أى في حقه.

عَرَضْتَنَا وَنَفْسَكَ لِلبَّوَارِ ! فَقَالَ : أَسْكُتُوا ، قَبِّحَكُمْ اللَّهُ ! أَلَسْتُمُ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْأَمْسِ بِحِزَانٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ مَرْوَانَ ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟ وَمَا كَانَ لِيغَيِّرَ عَنِّي عَارَ تِلْكَ الْفَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَّوْتُ يَوْمِي هَذَا مِنْ الْقَتْلِ ، مِتُّ غَدًا . قَالَ : جَعَلَ بَنُوهُ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ . فَاصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ فَإِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنَ جَعْدَةَ ! أَلَا أَبْشُرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَاللَّهِ ! مَا أَنْحَرَجَ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَلَهُوَ أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسٌ بَنًا رَجَاءً مِنْهُ بِمَرْوَانَ ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ ! ^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى يصير في قبره . ومنه قول كثير .

فَإِنْ تَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَّعِ الْهَوَىٰ . * بِالْإِبَّاسِ تَسْلُو عَيْكَ لَا بِالتَّحِيدِ .
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فُتُوًّا قَاتِلٌ : * مِنْ أَحْلَاكِ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْغَدِ .

يقال : فلان هامة اليوم أَوْغَدَ ، أى يموت في يومه أَوْغَدَهُ . ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ ، والمرضى إذا طالت عِلَّتُهُ ، والمحترمة لمدّة الأَجَالِ . وفي الحديث أن أبا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن وقش الأهماري وقد تخلف معه في غزوة أُحُدٍ : ” إِنِّهْنِ بَنَاتُ نَصْرٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْغَدِ “ .
(وكانا قد أَسَنَّا) . ومرجع ذلك لأعتقاد العرب في مسألة الهامة . (راجع ” الكامل “ للبرد ص ٢١١ و ٣٨٧)
وأظن ” الأغاني “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة بن صه . وقد رواها في ” المحاسن والمساوى “
(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن صباد إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن ابن وثن! تكتب إلى تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخونني بتفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالم إليك! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سألتك أبدا، وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدو الله علي وليه، ولا حزب الشيطان علي حزب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمتقربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتقربون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رعيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شبرويه ومادحه
على قتل أبرويز

وفيا يحكي عن شبرويه أن رجلا من الرعية وقف له يوما. وقد رجع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك، وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعُتوه وبُخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،^(١)

(١) أنظر في المسمودى مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب.]

(٣) ص: «جبروته». والحرية القهر والغلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي حطبة عنته بن غزوان: "وإنه لم تكن سوء إلا تناقضها حبرية". أى ملك غالب وعضوض. [أنظر "البيان والبيان" ج ١ ص ١٧٢.]

(٤) ص: بالإحنة.

ويقتل بالظن، ويخيف البريء، ويعمل بالهوى“. فقال شيرويه للحاجب: احمله
إلى . ففعل . فقال له : .

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنت في كفاية من العيش .

- فكم زيد في أرزاقك اليوم؟

- ما زيد في رزقي شيء .

- فهل وترك أبرويز، فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟

- لا .

قال - فادعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يترفع لسانه من قفاه، وقال: ”بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان
فيما لا يجب“ .

وحديثي . صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أى قصه . (صحيح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في ”الحسان والمساوى“ (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المقرئ . كان نديما لمصعب الزيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب .

وكان منعصبا للفرزدق وجور يفضلهما على الأختل (أغاني ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) .

وكان هو ومصعب جلسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) .

وقد أمتدحه إصحاق النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

إبراهيم بن عبد الله فَوَضَعَ بين يديه، جاء بعض أولئك الرَوَيْدِيَّةِ ^(٢) فضرب الرأس بعمودٍ كان في يده. فقال المنصورُ لِلسَّيِّبِ: ^(٣) دُقْ وجهه! فدُقَّ ^(٤) المُسَيِّبُ أُنْفَهُ. ثم قال [المنصور]: له: يا ابن الخنء! تَجِيءُ إلى رأسِ أبْنِ عَمِّي (وقد صار إلى حالٍ لا يدفع ولا ينفع) تضربه بعمودك، كأنك رأيته وهو يُريدُ نفسِي فدفعته عَنِّي. أُنْزِجُ إلى لعنة الله وأليم عذابه!

④

المنصور وما دح
هشام الأموي

ويقال إن أبا جعفر وجهه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: "فعل (رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا". فقال المنصور: "ثم، عليك لعنة الله! تَطَأُ بِسَاطِي، وتترسّم على عدوّي؟" فقال الرجل، فقال وهو مَوَلٌّ: "إن نعمةَ عدوك لَقِلَادَةٌ في عُنُقِي لا يترعها إلا غاسلي". فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

١٠

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرقة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتله في سنة ١٤٥. ولم أتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب في كتب التراخي واللغة من الوقوف على معناها أو تفويضها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابسى الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل بأنه من السَّيَّافَةِ (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

١٥

(٣) هو المُسَيِّبُ بن زهير الضُّبِّيُّ وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضة). كان على شرطة أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة مومى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: سَو.

٢٠

أنك نهيض حُرَّةً وِغْرَاسُ شَرِيف! عُدْ إِلَى حَدِيثِكَ! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا قَرَعَ، دعا له بمالٍ لِيَأْخُذَهُ فَقَالَ: "وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا بِي مِنْ حَاجَةٍ إِلَيْهِ! وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ آتِفاً، لِمَا أَحْوَجَنِي إِلَى وَقُوفٍ عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ. وَلَوْلَا جَلَالَةُ عِزِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِثَارُ طَاعَتِهِ مَا لَيْسْتُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ نِعْمَةً." فَقَالَ الْمَنْصُورُ: "مُتَّ إِذَا شِئْتَ، فَلِلَّهِ أَنْتَ! فَلَوْلَمْ يَكُنْ لِقَوْمِكَ غَيْرُكَ، لَكُنْتَ قَدْ أَبْقَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا مُغْلَبًا". وَيَقَالُ إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ مِنْ شَيْئَانِ^(١).

١٥

ومن حقِّ الملك - إذا حضره سُمَارُهُ أَوْ مُحَدَّثُوهُ - أَنْ لَا يُجِرَّكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَقَّتِيهِ مَبْتَدَأً، وَلَا يَقَطَعَ حَدِيثَهُ بِالْإِعْتِرَاضِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ نَادِرًا شَيْئاً، وَأَنْ يَكُونَ غَرَضُهُمْ حُسْنَ السَّمْعِ، وَإِسْقَالُ الْجَوَارِحِ بِحَدِيثِهِ. فَإِذَا فَرِغَ مِنَ الْحَدِيثِ فَنَظَرَ إِلَى بَعْضِهِمْ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ بِنَظِيرِ ذَلِكَ الْجَنَسِ مِنَ الْحَدِيثِ. وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ فِي غَيْرِ جَنَسِ حَدِيثِهِ.

الأدب عندما يتكلم الملك

وليس لمن حَدَّثَ الْمَلِكَ أَنْ يُفْسِدَ أَلْفَاظَهُ وَكَلَامَهُ، بَأَنْ يَقُولَ فِي حَدِيثِهِ: "فَأَسْمِعْ مِنِّي"، أَوْ "فَفَهِّمْ عَنِّي"، أَوْ "يَا هَذَا"، أَوْ "الْآخَرُ". فَإِنَّ هَذَا وَمَا شَبَّهَهُ عَنِ مَنْ قَائِلُهُ وَحَشْوُهُ فِي كَلَامِهِ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَسْطِ اللِّسَانِ وَدَلِيلُ عَلَى الْقَدَامَةِ وَالْفَنَاءَةِ. وَلَيْكُنْ كَلَامُهُ

الأدب في تحديث الملك

- (١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتديره وسياسته متبهاً لحشام في أفعاله، لكثرة ما يستحضره من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)
- (٢) سمه: ونخروج من بسط الزمان، صم: ونخروج يربط اللسان.
- (٣) القدامة التي عن الهبة، والكلام في ثقل وخطوة وقلة فهم.
- (٤) هي سوء الخلق. وسيرتها العامة في أيامنا هدم بقولهم: الفتاة. ومنها فلان غثوت.

٢٠

كلاماً سهلاً، والفاظه عذبة متصلة، وسقط تلامه قليلاً. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يصله بحديث آخر، وإن كان شبيها بالحديث الأول، حتى يرى أن الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أعرض] لشغل يعرض له، [فليس له] أن يمز في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا يخفف من فاعله ويخرج من الأدب. ولكن لينصت مطيقاً: فإن اتصل شغل الملك، ترك الحديث، وإن آتقطع فنظر إليه، فقد أذن له في إتمامه وإعادةه.

+

عدم الضحك من حديث الملك

ومن حق الملك أن لا يضحك من حديثه إذا حدث، لأن الضحك بمحضرة الملك جرأة عليه، ولا يظهر التعجب بفائدة حديثه. وإنما هذا إلى الملك، فإن ضحك الملك من الحديث وأظهر السرور به، فذاك غرض حديثه. وإليه قصد. وإن سكت، فلم يكن في الحديث ما يلهيه ويطر به أو يستفيد منه فائدة، كان قد سلم من العيب، إذ لم يضحك ولم يعجب.

+

عدم إعادة الحديث مرين على الملك

ومن حق الملك أن لا يعاد عليه الحديث مرتين. وإن طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الأيام، إلا أن يذكره الملك. فإن ذكره، فهو إذن منه في إعادةه.

١٧

كلمة ربيع بن زبياع في المعنى

وكان ربيع بن زبياع يقول: أقت مع عبد الملك سبع عشرة سنة من أيامه، ما أعدت عليه حديثاً.

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

- (١) وكان الشعبي يقول: ما حدثتُ بحديثٍ مرَّينٍ لرجلٍ بعينه قط.
- كلمة الشعبي في المعنى
- (٢) وكان أبو الهيثم يقول: ما رأيتُ أحداً أغزرَ علماً من أبي بكر الهذلي، ألم يُعدَّ عليّ حديثاً قط.
- كلمة السفاح
- (٣) وكان ابن عباس يقول: حدثتُ المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث. فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: قد اضطُررتُ إلى التكرار، يا ابن عباس!
- كلمة ابن عباس في المعنى
- (٤) قلتُ: ما هذا منها، يا أمير المؤمنين. قال: أما تذكر ليلة الرد والأمطار، وأنت تتحدث عن يوم ذي قار، فقلتُ لك: ما يومُ ذي قارٍ بأصعب من هذه الليلة؟
- (٥)

- (١) هو قبة العراق وأشهر من أن يذكر.
- (٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية.
- (٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب.
- (٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل، القرد من الكوفة. حدثت فيه معركة هائلة بين العرب والعجم قبل البعثة النبوية، وقيل بين غزو قنقذ وأحد. انتصر فيها العرب على العجم أنصاراً باهراً نتج به شعراؤهم وتحدثت به أخبار يومهم. ويسمى هذا اليوم أيضاً بيوم الحنو، ويوم حنودي قار، ويوم جوارقار، ويوم بطحاء ذي قار، ويوم قراقرة، ويوم الجبابرة، ويوم ذات العجوم. وكان من مواضع حول ذي قار. ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال.
- (٥) القار (بتخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الرمث) الذي تُغطى به السفن، وهو شجر مرّ أيضاً (عن تاج العروس). وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأسود)؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الرمث بسبب لونهما، وليس يستمد من الحكاية التي أوردناها إلا حفظ (مع ملاحظة المنصور على جليسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء، ولأنه ربما كان تسميتها بيوم ذي قار لبلاده بنزول الثلج وأن الموضع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة. والحقيقة أن اللفظ عربي صميم لأنه اسم ماء

مواطن إعادة
الحديث على الملوك

وكان الشرق^(١) بن القطامي يعيد الحديث مراراً. وذلك أن أكثر أحاديثه مضاحيك، وكانت تعجب المهدي فيستعيده.

= ليني بكر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض هذا المكان مما لا يقع فيه التلج. فوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام الفيلظ. يدل على ذلك قول التلي الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم: "أهلهم حتى يبقوا يرتساقطوا على ذئ قار، تساقط القراش في النار. فأخذهم كيف شئت" (ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد حديث التلي مع كسرى هكذا:

"... ياخير الملوك! ألا أدلك على غيرة بكر؟

... بل!

... أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يحلها الفيلظ ويدنيتها منك. فإنهم لو قاتلوا، تساقطوا عليك بما لم في واد يقال له ذوقار، تساقط القراش في النار." وإنما الذي أشار إليه المنصور هو اشتداد الأمر ورج الحال وأصطلام الحرب، كما كانت ليلة شديدة بردها ومطرها.

(أنظر التفصيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠-١٢؛ "والأخاني" ج ٢٠ ص ١٣١-١٤٠؛ "بالعقد الفريد" ج ٣ ص ١١٣-١١٦؛ "وآين الأثير" ج ١ ص ٣٥٢-٣٥٨؛ وأنظر "صبح الأعيان" ج ١ ص ٢٣٦؛ "وتاج العروس" في ق و ر.)

(١) سماء في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه فصح الزاء. والقطامي فصح القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحصين الكلبي. والشرق لقبه، كما أن القطامي لقب أبيه. كوفي وأمر العلم والأدب؛ واشتهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والديارين. ولكنه في الحديث معدود بن الضعفاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا اتم صنعة ولا أحسن الفاظا ولا أفكّه مجنسا ولا أعظم أبهة وقدرا منه. وكان عيسى بن دأب يتكئ في مجلس أمير المؤمنين.

= صاحب ستم. أقدمه أبو جعفر المنصور ليتم ولده المهدي. وقد سأل: "علام يوقى المرء؟ فقال: أصلح الله الخليفة! على معروف قد سلف، أو مثله يؤتف، أو قديم شرف، أو علم مطرف." "ضمه المنصور إلى المهدي حين خلقه بالري، وله معه هناك حديث ظريف عن الفريقين (ساقه في "مرورج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله قصيدة في الغريب. سأل رجل ذات يوم عما كانت تخرجه العرب في صلاتها على موتها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤن:

ما كنت وكراكا ولا بزرك * رؤيدك حتى يبعث الخلق ناعته

- لحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦ و "نزهة الألباء".
- ص ٤٢ - ٤٣ و "آمن قتيبة في المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زرك، وركاك). ١٥
- (١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه وديذنه ومادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). فان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأخبار العرب وأخبارهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الجبازيل ومعاشره أدبا وعلما وعدوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكمه، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن الاتزاع له. وهو من قلة الأخبار وتقاد الأشعار. ٢٠
- حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تبه على الخليفة أنه كان يبادمه ولا يتقذى معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتقذى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتد! فكان الناس إذا تقدروا تنحوا لفسل أيديهم، وابن دأب ينسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تبه ودائه عليه أيضا أن الخليفة كان يدعو له بما يتكئ عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) =

(1)

(5)

2

1.

40

2.

25

ولا يُجَرِّكُ رَأْسَهُ، وَلَا يَزَحِّفُ مِنْ جُلُوسِهِ، وَلَا يُرَاحُ بَيْنَ قَعْدَتَيْهِ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا يُقِيلُ عَلَى غَيْرِ الْمَلِكِ بِمَلَا حِظَّتِهِ، وَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ أَوْ يَفْهَمَ عَنْهُ سِوَاهُ.



- ومن حقِّ الملك - إذا تناب أو ألقى المروحة أو مَدَّ رجليه أو تَمَطَّى أو أَمَّا أو كان في حالٍ فصار إلى غيرها مما يدلُّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تَمَطَّى، قام سُمَّارُه.
- وكان الأَرَدَوَانُ الأَحْمَرُ له وقت من الليل وساعات تُحصى. فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حَضَرَه.

أمارات الملوك
الجلوس بالانصراف

- وكان يُسْتَأْسَفُ إذا دلك عينيه، قام من حضره.
- وكان يزدجرد الأثيم إذا قال: "شَبَّ بُسْدٌ" (١)، قام سُمَّارُه.
- وكان بهرام جور إذا قال: "نُعْرَمُ خُفَّتَارٌ" (٢)، قام سُمَّارُه.
- وكان قُبَاذ إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُمَّارُه (٣).
- وكان سابور إذا قال: "خسبك يا إنسان!"، قام سُمَّارُه.



- (١) ص: كَلَه. (بمعنى كلاله)
- (٢) لعل الصواب: "الاصفر". [رأى نظر الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ و صفحة ١٥١ من هذا الكتاب]
- (٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش ص: يقول ذهب الليل.
- (٤) جملة فارسية معناها: نام مسروراً (٥).
- (٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * مقولة عن ص.

وكان أنوشروان إذا قال: "قُوتِ أعينكم!" قام سُمَّارُه.^(١)
وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الصلوة!"^(٢) قام سُمَّارُه. وكان ينهى عن السُّنَمِ
بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُه.
وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه ومن حضره.^(٣)
وكان عبد الملك إذا ألقى المِخْصِرَةَ، قام من حضره.^(٤)
* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام من حضره.^(٥)
وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام من حضره.
وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبجملتك!" قام سُمَّارُه.^(٦)

- ١٠ (١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ فزید جرد يقول: شب بشد (أى مضى الليل)؛ وبرهام يقول: خُرم
خوش باد (أى تُكنى مسروراً)؛ وأبرويزميد رجله؛ وقباز يرغم رأسه إلى البهاء. (عن "مخاضرات الراغب"
ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربى الاقل عن المرحوم محمد عارف باشا فى حاشية "المخاضرات")
(٢) إذا قال قانت الصلاة. (فى "مخاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)
(٣) قال أصحابنا: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فتريد أن تجعل لنا علامة نعرف
بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتم!" وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!"
١٥ وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("المقدّم الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)
(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.
(٥) فى المسعودى (ج ٥ ص ٢٥٧) وفى الراغب فى الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتم"
وكانت سادات العرب يقولون بجليتهم: "إذا شتمت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير؛ كما
فى الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)
٢٠ (٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن صـ.
(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مس عارضيه وتساب، قام شتماره.

وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره.^(١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإنما

أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حق الملك أن لا يُعاب عنه أحد، صغراً أو كبراً.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك

تحريش الملك بين
رجالہ



فمن الملوك من يُدبر في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ آثان

أستويا في منزلة عند الملك والجاه والتبعية والعز والحظوة عند السلطان فاتفقا، إلا كان

ذلك الاتفاق وهناً على المملكة والملك، وفساداً في تديره. وذلك أنهما إذا اتفقا، وهما

وزير الملك، كانا - متى شاأ أن يتفصلا - أبرم الملك ويحلّ ما عقد ويؤهياً ما أكد -

قدراً على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في ص - وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين.

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون

بها من مجلسه إذا أراد، كسرى. وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون. وتبعه الملوك.

فكان فيروز الأصغر يدلك عينه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء. وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول:

العزة لله!، وعبد الملك يلقى المروحة من يده. وحدث بهذا الحديث عند بعض البهلاء. وسئل ما أمارته، فقال:

إذا قلت "يا غلام، هات الطعام!"، وأتظر أيضاً "محاضرات الراغب" (ح ١ ص ١٢١)

أُثبتَ في نظام الملك وأؤكد في عزّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئاً، أراد الآخر
خلافه. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعا على نصيحة الملك، شاء أم أبى. وآثرها
كلُّ واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم لملك تديره وتم له أمره.^(١)

وهن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه
العلّة، بل ليعرف مهابت كل واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط
في حوائجه والتسحب على ملكه.



أدب السفير

ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح العطرة والمزاج، ذا بيان وعِبارة،
بديراً بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوقاً للهجة، لا يميل
إلى طمع ولا طبع، حافظاً لما أُحِّل.^(٢)

وعلى الملك أن يمتحن رسوله بحنة طويلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كاد السقاج، إذا تعادى رحلان من أصحابه وطلانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله،
وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطح الرحلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه.
ويقول إن الصنية القديمة تولد الصداوة المحضة ويحمل على إظهار المسألة وتحمي الأمل التي إذا استمكنت
لم تبق. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطبع: الشين والغيب. ومن الحديث: "استميدوا بالله من طبع يدي إلى طمع". "أخذ حُرّة بن
أزبة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يدي إلى طبع * وعة من قوام العيش تكفي.

(عز، تاج العروس)

والفة البلغة من العيش. ٢٠

سنة ملوك العجم
في اعتبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من تجعله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تختزنه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاضة الملك ومن في قرار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه: فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن آنفتت أو آنفتت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك. فإن آنفتت كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يريد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

كلمة
أردشير
في حق السفير

وكان أردشير بن بابك يقول: "سَمَ من دم قد منفعك الرسول بغير حله! وكَم من جيوش قد قُتِلَتْ وعساكر قد هُزِمَتْ وحرمة قد أُنْهِكَتْ ومال قد أُنْهَبَ وعهد قد نُقِصَ بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

كلمة ثانية له

وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بأخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَل] ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له مافي كتابة الأول حرفا وحرفا، ومعنى معنى: فإن الرسول ربما حرم بعض ثأملا، فأقتعل الكتب وحرّض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه.

(١) أورد الفلقشندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الاغنى" ببعض تصرف في الالفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفير كذب عابه

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . فجاءه برسالة شك في حرف منها : فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلون من مقوم ونستد ، إذا مالت : وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنت فيها حرفا ينقضها . أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ويعاد إلى الملك مع رسول آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره . فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكين^(١) ، فقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس الملكة صمحة فطرة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يودى . وقد قطعت بسكيتي مالم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا . فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعت ، لالنا ! فلما فانتك بعض ما أملت ، جعلت ذلك ثارا في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من قفاه .

١٠٣

(١) المديسة سبها العرب سكين وسكين . والاسم الأول أشهر وأكثر شيوعا ، والسكين بدو وثوث ، وقال بعضهم إن السكين خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصيح أنها لفظة قوم من بني ببيعة ، وأوردوها القراء وأبن سيدة . قال الشاعر : سكين من طبع سيف عمرو . نصاها من قريب تيسر .

وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : إني بالسكية (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سه : أس .

(٣) انظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) وأبطلها ألفاظ الجاحظ نفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لنامته في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حواي يقصد إليه. إذ كانت أنفُس الملوك هي المطلوب غرتها، والموكل برعاية سِتِّها وساعة غفلتها.

إحياء الملك
في نامته ومقبله

ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقبله.

- فلما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا] (٤). ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة [وأنه نائم فيه] (٤). ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

- ولو لم يجب على ملوكنا حفظ نامتهم وصيانتهم عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كَلَامِهِ ١٠ إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام). فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم

⑤

(١) في صه، سمه: "حوى" [وأخترت الحواي لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) صه، مزتها.

(٣) ضبطه في سمه: "سِتِّها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سمه: إلا ومن ودائه من بعيد على الانفراد فراش لا يشك أنه.

ففي هذا الحكم الأدلة وأوضح المجبة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأنفس الخطيرة الرفيعة التي تؤزن بهنفس كل من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء.^(١)^(٢)

إطلاع الوالد
فقط على منام الملك

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطلع على موضع منامه إلا الوالدان فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الخزم، وأؤكد في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهوينا.^(٣)^(٤)^(٥)



ومن حق الملك أن يعامله أبنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا عن إذنه، وأن يكون المحجب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك وخدمه، لئلا تجعله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

ما فعله
ابنه بهرام

فإنه يقال: يزيد خرد رأى بهرام أبنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟ قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأتخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً، ونحوه عن السستر، ووكل بالحجابة أرازمرد.^(٧) ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،



(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك" اختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سم: وأرفع.

(٥) التودة والرق.

(٦) صه: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماء "فلا ما".

دفع أَرَادَ مِرْدُ فِي صدره دَفْعَةً وَقَدَهُ مِنْهَا ، وَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَكَ هَذَا الْمَوْضِعَ ثَانِيَةً ، ضَرَبْتُكَ
سِتِينَ سَوْطًا ، ثَلَاثِينَ مِنْهَا لِحَايَتِكَ عَلَى الْجَسَابِ بِالْأَمْسِ ، وَثَلَاثِينَ لثَلَا تَطْمَعُ
فِي الْجَنَايَةِ عَلَى . فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ ، فَدَعَا أَرَادَ مِرْدَ ، فَخَلَجَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .^(٣)

وَيُقَالُ إِنْ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ بَابٌ . فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ
قَالَ : يَا جَارِيَةُ ! أَنْظِرِي هَلْ تَحْرَكُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بِفَاتِ الْجَارِيَةِ [مَرَّةً] حَتَّى
تَفْتَحَ الْبَابَ . فَإِذَا مَعَاوِيَةَ قَاعِدٌ ، وَفِي حِجْرِهِ مُصْحَفٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ تَصَفِّحُ عَلَيْهِ .
فَأَخْبَرَتْ يَزِيدَ بِذَلِكَ . فَبَاءَ يَزِيدُ فَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّ بُنَى ! إِنَّمَا جَعَلْتُ
بُنَى وَبَيْنَكَ أَبَاً ، كَمَا بَنَى وَبَيْنَ الْعَامَّةِ . فَهَلْ تَرَى أَحَدًا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ ؟
قَالَ : لَا . قَالَ : فَكَذَلِكَ فَلْيَكُنْ يَا بَك ! فَإِذَا قُرِعَ عَلَيْكَ فَهُوَ إِذْكَ .^(٣)

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وَهَكَذَا ذَكَرْنَا أَنَّ مُوسَى الْهَادِي دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَدِي فَزَبَرَهُ^(٤) وَقَالَ :
إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يُفْتَحَ بِأَبْكَ !^(٥)

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمَأْمُونُ لَمَّا اسْتَعَرَّ بِهِ الْوَجْعَ ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِيهِ الْحَاجِبَ أَنْ يُدْخِلَهُ
عَلَيْهِ لِيَرَاهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ! مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ مِنْ
١٥

ما فعله الحاجب
بولد المأمون
١٥٧

(١) أَيْ أَوْجَعَتْهُ وَأَلَمَتْهُ كَثِيرًا . وَالْوَقْدُ شِدَّةُ الضَّرْبِ . وَفِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" : فَدَعَا دَفْعَةً أَوْقَعَهَا

(٢) فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" : وَثَلَاثِينَ عَلَى اسْتِمْرَارِ جَنَائِكَ .

(٣) رَوَى هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِتَلْخِصٍ خَفِيفٍ صَاحِبُ "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إِتْرَهُ .

(٥) قَطَّلَهَا فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٧) .

(٦) أَيْ أَشْبَهَتْ عَلَيْهِ ، تَشْبِيهًا بِاسْتِعَارَةِ النَّارِ . وَفِي صَدِّ : اسْتَفْرَقَهُ . [وَأَمَّا هَوَابِ الرِّوَايَةِ : اسْتَمَرَّ]

وَفِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" : اشْتَدَّ .

حيث لا يراك؛ فأطلع عليه من تحيب في ذلك الباب. فناء حتى أطلع عليه وتأمله ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بصّر بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزّبره وقال: تنح! فوالله لولا أني لم أقدم إليك في ذلك، لضربتك مائة عيماً.^(١)
وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبده من الاستيكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في النيط الأوسط من الناس ثم الذين يلونهم. فاما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به.^(٢)
وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكك وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في سمر وكان في بعض نسخ "كتاب الفهرست".
ولكن الصواب بتقديم الياء التحتية - ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبّاخاً ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابك إن المعتصم لم يبق لديه أحداً إلا رجّبه به إليه، حتى طبّاهه. وبعث بذلك المعنى إلى ملك الروم، يفريه بالطفقة حينما ضايقه وأخذ بخنائه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأتته أمره بأن خاله المتوكل وأعمل الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤ هـ. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبن الأثير في فهرسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سمر: أني أقدم.
(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "الحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).
(٤) صم: الجنوح.
(٥) في سمر: "تمت". وأملت هو التوسل والتوسل بقراءة أرحمة أردالة أرغوا ذلك. وفي صم: فترقى عن كل شيء يمت إليه.

به ، إلا عن إذن المَلِك ورأيه . لأنه - متى نفرد بذلك - كان هو الحاكم دون المَلِك .
وفي هذا وهنٌ على المَلِك وضعف في المملكة .

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان ولي عهد المَلِك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والمَلِك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل المَلِك ولا [أن] يشرب إلا بشربه ولا [أن] ينام إلا بنامته .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره السائة والضائة أن يكون له تابعا وحركته تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن المَلِك من بطانته وسائر رعيته ، لأن ابن المَلِك عضو من أعضائه وجزء من أجزائه ، والمَلِك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مُستغن عن الفرع .

وليس لابن المَلِك أن يرضى عمن سخط عليه المَلِك ، وإن كان المسخوط عليه لا ذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالي من والى المَلِك ، ويعادى من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق المَلِك ما إن وجد إلى غيابه سبيلا^(٣) أن يقتله . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) صـ : وضمة .

(٢) الواو هنا وادوالية .

(٣) الضير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صـ : حيلته .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَالَةً لَشَهْوَةِ الاستبدال ^(١) فقط . فليس لصاحب الملك ، إذا أحدث الملك خُلُقًا ، أن يعارضه بمثله ؛ ولا إذا رأى نَبْهَةً وأزورارة ، أن يُحَدِّث مثله . فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نِيَّتُهُ . وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ ، عَادَتْ طَاعَتُهُ مَعْصِيَةً وولايته عداوة . وَمَنْ عَادَى الملك ، فَنَفْسُهُ عَادَى وإياها أهان .

❦

ولكن عليه ، إذا أحدث الملك الخُلُقَ الذي عليه بِنْيَةُ أكثر المملوك ، أن يَحْتَالَ في صرف قلبه إليه . والحيلة في ذلك يسيرة : إنما هو أن يطلب خَلَوَتَهُ فيُلْهِمِهِ بِنَادِرَةٍ مُضْحِكَةٍ أو ضَرْبِ مَثَلٍ نَادِرٍ أو خَيْرٍ كان عنه مُنْغَطًى ، فيَكشِفُهُ له .

ما صنعه ما زيار
المضحك مع أحد
ملوك الدجم

كما فعل بعض سُفَّهَارِ ملوك الأعاجم . أظهر الملك له جَفَوَةَ الْمَلَالَةِ فقط ، فلما رأى ذلك ، تَعَلَّمَ بُنْيَاحَ الكلابِ وعَوَاءَ الذئابِ ونَهْيَ الحُمَيْرِ وصِيَاحَ الدِيُوكِ ^(٢) وَشَجِيحَ البغالِ وصَهِيلَ الخَيْلِ . ثم آحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ مَوْضِعًا يَقْرُبُ مِنْ مَجْلِسِ الْمَلِكِ وفراشه يُنْفِئُ ^(٣) أَمْرَهُ . فَنَجَحَ بُنْيَاحُ الكلابِ ، فلم يَشْكُ الْمَلِكُ أَنَّهُ كَلَبٌ وَأَبْنُ كَلَبٍ ، فقال : أَنْظِرُوا مَا هَذَا ! فعَوَّى عَوَاءَ الذئلبِ ، فَتَزَلَّ الْمَلِكُ عَنْ سَرِيرِهِ ، فَنَهَقَ نَهْيَ الحمارِ ، ومَرَّ الْمَلِكُ هَارِبًا . وجاء غلمانُهُ يَتَّبِعُونَ الصَّوْتِ ، فكلما دَنَوْا مِنْهُ ، أَحْدَثَ مَعْنَى آخَرَ ، فَأَجْجَمُوا عَنْهُ . ثم أَجْتَمَعُوا فَأَقْتَحَمُوا عَلَيْهِ ، فَأَنْجَحُوهُ وَهُوَ عُرْيَانٌ مُخْتَبِئٌ . فلما نظروا إليه ، قالوا للملك

(١) سم : الاستبدال .

(٢) في المسعودي طبع باريس : "رقاء" ؛ وفي طبعة بولاق : "زقاء" . وهذا هو الصواب ، ومعناه صياح الديك . (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي : "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره" . وفي ص : من مجلس الملك وموضع منامه .

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟
قال: إن الله مسخني كلبا وذنبا وجمارا، لما غضب عليَّ الملك. فأمر أن يُخلع عليه
ويُرَدَّ إلى موضعه.^(١)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى، فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يشبه أقدارهم.

* كما فعل رَوْح بن زنياع، وكان أحد دُعاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا، فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواها نحوى، وأهوت بخالبها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتل في حديث يضحكه! فقال رَوْح: إذا أطمأن بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الوليد: أفعل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رَوْح. فلما أطمأن بهم المجلس، قال الوليد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: ^(٢)بني ابن أبي عتيق أن امرأته جاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماء في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) ص: ويحك.

(٣) قل المسعودي هذه الحكاية - (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورده وتقواه أشهر من نار على علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحاب)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة. كان من نساء قريش وطرفاتهم
بل قد بذم طرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاصة بنيرقت وفي المبرور تفسير فوق. وقد ظلت عليه
الدعابة وأشهر بها. (أنظر "المقد الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغاني"
و"الكامل" لابن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب الإله بما تعيش به * وفرت ليلك أيما قسراً
أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فآخذ هذين البيتين - وهما
في رقعة - فخرج بهما، فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه
الرقعة، وأشر على رأيك فيها. فلما قرأها، استرجع عبد الله. فقال: ما ترى فيمن هجاني
بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعفوا وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيت
قائلها لأنيلنه نيلاً جيداً! ^(١) فآخذ ابن عمر أفكلاً ^(٢)، وأربد لونه وقال: ويلك!
أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأفترقا. فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: ^(٣)
فيه، ألا ما سمعت كلامي! فتحوب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال:
عاشت يا أبا عبد الرحمن أنى لقيت قائل ذلك الشعر فثلته؟ ^(١) فصعق ابن عمر ولبيط به.
فلما رأى ما حل به، دنا من أذنه فقال: إنها امرأتى! فقام ابن عمر فقيل ما بين عيني.
فضحك عبد الملك حتى خض برجله وقال: قاتلك الله ياروخ! ما أطيب حديثك!
ومد إليه يديه فقام روخ فكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، الذنب فاعتيذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة"، من باب صلف التفسير.

(٣) أجسم عليه بالبرضة الشريفة وبالمدفون فيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فتحوب أى وجد في عدم
الوقوف إنما، فوقف ولكن معرّضاً عنه بوجهه.

أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شيء نكرهه. ثم عادله أحسن حالاً^(١)
 ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الخطفي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
 إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
 فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الخطفي، مادحك وشاعرك!
 قال: بل ماديح الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن
 لي في إنشاد مديحه؟ قال هات الججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
 هات في الججاج! فأنشدته قولي في الججاج:

صَبَرْتَ النَّفْسَ يَا بَنَ أَبِي عَقِيلٍ * مُحَافَظَةً، فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا؟

وَلَوْ لَمْ تُرِضْ رَبِّكَ، لَمْ يُنْزَلْ * مَعَ النَّصِيرِ الْمَلَأَمَكَةَ الْغَضَابَا.

١٠ إذا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ، * رَأَى الْجَجَّاجَ أَتَقَبَّهَا شَهَابَا.

فَقَالَ: صَدَقْتَ، هُوَ كَذَلِكَ! ثُمَّ قَالَ لِلْأَخْطَلِ، وَهُوَ خَلْفِي وَأَنَا لَا أَرَاهُ: قُمْ فَهَاتِ^(٣)

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
 هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودي فقد أوردها بالفاظ أخرى وزيادة
 ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"
 (في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح). ولكن عبارتهم
 ١٥ كلهم فيها خالية من حسن الדיباجة وجمال التصریف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصحيح" الخطيفي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
 الأسلاب. وهو لقب جده، لبيت قاله في شعره. ولكن الاسم المخفف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر
 شيوعاً، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "كتاب الاشتقاق"، لأبْنِ دُرَيْدٍ (ص ١٤١)،
 ٢٠ "ديوان الأخطل" الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب)

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين من كماله فاقسم أنهما لثيان، هما ومهما وهو نفسه أيضاً. فقليل له إن هذا
 لخطل من قواك. فسمي الأخطل. (أمالى القالي ج ٢ ص ٢٣٤)



مديحتنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأنت مديحتنا. ثم فاركة! قال:
فالتقى النصراني ثوبه، وقال: جَبَّ! يا ابن المراجعة. قال: وساء ذلك من حضر من
المُضَرَّة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لأبركت الحنيف المسلم، ولا يُظهر عليه. فاستحيا
عبدُ الملك، وقال: دَعَّ! قال: فأنصرفت أخرى خلق الله حالا، لما رأيت من
إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله على صَدْرِي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع،
دخلت لأودعه، فكنت آخِرَ مَنْ دَخَلَ عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين،
هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك
يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيت سوء رأيه، أنشأت أقول:

أتصحو أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

١٠

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سره، وهو قول:

الَسَّمُ خَيْرٌ مِنْ رِكَبِ المطايا * وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطْوَنَ رَاجٍ

فأستوى جالسا، وكان مُتَكِنًا، فقال: بلى نحن كذلك، أعَد! فأعدت. فاستقر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبته أو على الأرض ليتكّن من ركوبه. و"جَبَّ" فعل أمر من التجبية بمعنى
الانحناء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانعه: وجّه الرجل وضع يديه على ركبته في الصلاة
أو على الأرض. "وهو أيضا أن يكتبه على وجهه". "والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام:
"طاطي البصلة" وينون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

١٥

(٢) هذا ميم جبرير. وقيل إن الفرزدق والأحطل سمياها كذلك في جهاء كل منهما له. وقيل إن
ذلك تعبيره له يعني كليب لأنهم أصحاب جبرير. وروى جرير على عبد الملك مذكور في كثير من كتب الأدب مثل
"الأنطاف" و"العقد الريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أرفى وأحسن ما رأيت.

٢٠

﴿١١٦﴾

وذهب ما كان في قلبه، ثم ألتفت إلى محمد بن الحجاج فقال: ترى أم حزرة تُروىها مائة من الإبل؟ قلت: نعم يلأمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كَلْبٍ فلم تُروها، فلا أرواها الله! قال: فأمر لي بمائة فريضة. ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أهديت إليه - فقلت: المحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. ^(٤)

* وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر ^(٦) قد جفاه. فأتاه يوما في قائم الظهيرة، والهجرة قد ^(٧) قُتِلَ. فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. ^(٨) فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يسلم قائما ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائما ثم قال: أصلح الله الأمير! إني آنصرفت بالأمس نحو منزلي، و [قد]

(١) حزرة هي بنت جريز. وكان يُكنى بها. قال في "تاج العروس" ما نصه: "وأبو حزرة كنية سيدنا جريز رضي الله عنه". ولا أدري لما ذلَّ لقبه بالسيادة ثم رضخ عنه (؟!) ويظهر أنه فهم أنها كنية جريز بن عبد الله البجلي الصعابي، وليس كذلك.

(٢) ص ٥: كلاب.

(٣) ص ٥: رواها.

١٥

(٤) روى صاحب "الأغانى" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جزء ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأظهر القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القسالي" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألقاظ الجاحظ في "الحاسن والمساوي" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص ٥: عبد الملك بن هلال الهلبي. وقد صححت حسبما في المسعودي طبع باريس وبولاق

(٦) هوسليان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهادي. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أى كانت شدة الحر تتوقد. وفي مروج الذهب: وأخذت الهجير.

(٨) ص ٥: "أعلمه موضعي". وقد اخترت رواية المسعودي.

٢٠

أَسَيْتُ : فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ ثَوَّبَ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى مُسْتَعِدٍّ مُغْلَقٍ .^(٢)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلْيَانُ : فَبَلَقْتَ السَّمَاءَ ، فَكَانَ مَاذَا ؟ قَالَ :
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ ، إِمَّا كَرْنِيحِيٌّ وَإِمَّا سُنْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ^(٣) . فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
 [وَلَغِيَّةٌ مَا أَعْرِفُهَا] ، فَقَالَ : "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدْدَهُ" يريد "وَيْلٌ لِكُلِّ مُزَمَّةٍ
 لِمَزْرَةٍ الَّتِي جَمَعَ مَالًا رَعَدَدَهُ" . قَالَ : وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي ! إِيرَعَكِي !
 فِي حَرِيمٍ قَارِيكِ" ! فَضَحِكَ سَلْيَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فَرَاشِهِ ، وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدُ ،
 فَأَنْتَ أَطِيبُ أُمَّةٍ عَمْدٍ ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخَلْعَةٍ وَقَالَ : "الزَّيْمُ الْبَابُ وَأَعْدُدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ" .^(٤)
 وَطَادَ إِلَيَّ أَحْسَنَ حَالَاتِهِ عِنْدَهُ *^(٥)

وَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ لِمَنْ فَهِمَهَا . وَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَتَلَوْنَ أَخْلَاقَهُمْ ، إِذْ كُنَّا نَرَى
 أَخْلَاقَ الْقَرِينِ الْمَسَاوِي وَالشَّرِيكِ وَالْإِلَافِ تَتَلَوْنَ وَلَا تَسْتَوِي ، وَلَعَلَّهُ يَجِدُ عَنِ الْفَقْهِ

(١ - ٢) ثَوَّبَ : دَعَا إِلَى الصَّلَاةِ . [وَفِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ وَبُولَاقَ : "قَدْ نَوْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى مَسْجِدِ
 مُغْلَقٍ" . وَظَاهِرٌ أَنَّ رِوَايَةَ صَـهُ أَوْقَعُ وَأَقْعَدُ وَأَتَمُّ] .

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ "إِمَّا كَرْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ" وَفِي طَبِيعِ بُولَاقَ : "إِمَّا كَرْدِي أَوْ طُمَطَانِيٌّ"

(٤) أَنْظَرَ الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ وَبُولَاقَ . وَكُلُّهَا مَحْرُوقَةٌ مِنَ النَّسَاحِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ
 وَقَدْ نَبَهَ عَلَى ذَلِكَ مُتَرَجِّمُ الْمَسْعُودِيِّ . [وَأَنْظَرَ خَاشِيَةَ ٤ صَفْحَةَ ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَيْنِ * مَقُولَةٌ عَنْ صَـهُ . وَالْحِكَايَةُ أَرَادَهَا الْمَسْعُودِيُّ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ

تَقْرِيبًا عَنْ الْجَاهِلِ دُونَ أَنْ يَشِيرَ إِلَيْهِ (رَاجِعْ "مَرْوَجُ الذَّهَبِ" طَبِيعُ بَارِيسَ ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ،
 وَطَبِيعُ بُولَاقَ ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صَـهُ : إِنْ فَهَمْتُمَا :

وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزیز والذليل ؟



وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصح في تأديب صاحب من اتصاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بمواقفة المجفوء . لأن فيها فراغ المجفوء لنفسه وتخلصه لأمره^(١)
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مهم أمره . وفيها أيضا أنه إن كان المجفوء من
أهل السمر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريقا محذرا
له بالكتب ودراستها لو بالمشاهدة والملافة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت صاحب الأدب الكبير . وذلك أنه
كل من أنفس الملك^(٢) مجلسه وطال معه قعوده وبه أنسه ، تملأ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلص والراحة والخلوة لإرادة نفسه . كما أنه من كثرة فراغه وقل أناسه ، جنى
وأطرح ، وطلب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فهذه الأخلاق ركبت القطر وجبلت النفوس .

فإذا جاء الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملأه والشغل الذي كان يهرب منه .

(١) سم : الأحمر .

(٢) سم : وتخلص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجالوسه معه نفيسا . وفي سم ، صم : " نفس " . [ولامني لها . ولذلك
صححت المتن بما وصل اليه أجهادي .]

ثمرات
التأديب بالجفوة



ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنَعَةٍ وأَمْرٍ ونَهْيٍ، وكان مرغوباً إليه مرغوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحْدِثُ رَقَةً ^(١) على العامة ورافة بهم، وتُحْدِثُ للجفوة حُسْنَ نِيَّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ على المجفوق شكر الله تعالى على ما أَلَمَّه الملك فيه فتصَلَّقَ وأعطى وصام وصلى.

فكلُّ شئ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخْطِ، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسترَاءُ والضراء. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يَجْتَهِدَ بكلِّ وَسْعٍ طاقته أن يكون من المَلِكِ بالمتزلة بين المتزلزين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، واستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق المَلِكِ أن يُذِنَ مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ وَأَتَّسَعَ عَلَيْهِ وَطَابُ مَرْكَبِهِ، صفات المقربين
أو ظهرت أمانته أو كَلَّتْ آدَابُهُ.

(١) أي رحمة. ١٥

(٢) في سه: "مسارة". وفي صه: "مشافة".

(٣) كذا في سه، صه. نعم إن بقية الكلام ربما تنفي النفي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدلُّ على أن تقريرهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقريب للقرناء والمحدثين كائن من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جلستُ آخر يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الثقة والأمانة، وحاجته من الأطباء إلى الحسَدُ بالفضاعة والرُكَّانة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحييد الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكتف،
وما أشبه ذلك. فاما القرَّناء والمحدثون^(٢) وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكلُّ من دنا
منهم من الملك وعلَّق به: كائنًا من كان ومن حيث كان.

﴿١١٥﴾

وكذا وجدنا في كُتُب الأعاجم وملوكها.

وفيا يذكر عن أنوثيروان أنه قال: "صاخبك من علق بنوبك."

كلمة أنوثيروان،
وأشبهة كليلية
ودمة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة وَدِمَّة" أن الملك "مِثْل الْكَرَمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ
الشَّجَرِ، إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا دَنَا مِنْهُ"^(٣). وقد نجد مصداق ذلك عيانا في كلِّ دهرٍ وأخبار
كلِّ زمان.

١٠

(١) الرُكَّانة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الرُكَّانة" وهي الظن الذي يكون بمنزلة اليقين.

(٢) صه: فاما القرَّباء والمحدثون.

(٣) قلتُ هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة للآن من كتاب "كَلِيلَة وَدِمَّة" وهي التي طبعها الأب

الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوسامى الفرنسى سنة ١٨١٦ هكذا: "مِثْلُ شَجَرِ
الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ" (ص ٨٥). زعم كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق قنبا
سنة ١٢٨٥. وهذه الرواية نبهتني وحيلة جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية
الباحظ وإن كان الذي نستفها قد مسختها. فهي في صه: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرام الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي صه: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، إنما يتعلق بما قرب منها".

٢٠

مخفاء
الملك ورحمته

+

(١١)

ومن أخلاق الملك السخاء والحياء.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكَّبَا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كنا لم نشاهد ولم يُلَفْنَا عن
مضى من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، الفحَّة والبخل.
فأما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يُقيد أكثر مما يُنفي. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخاذ الصنائع وعمِّ المتن والإحسان إلى من تأتى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.

﴿١٦﴾

وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أَنْ يَرَحِمَ رعيته، (وإذ كان الإمام) أَنْ يَرِيقَ على المؤمنين
به، (وإذ كان المولى) أَنْ يَرَحِمَ عبده.

فقد تخطى العامة وكثير من الخاضعة في الملوك حتى يُسمَّوَنهم بغير أسمائهم
ويصفونهم بغير صفاتهم ويحتلونهم بالبخل والإمسالك، إذا رأوا الملك على سنن من

(١) صه : الملك الكرم والسخاء. ورواية سه أجمع. لأن الكلام التالي منقسم إلى موضوع السخاء وإلى
موضوع الحياء. ولعلك أخذتُها في المتن.

(٢) أفاده وأسفاده وتقيده بمعنى واحد. (من القاموس)

(٣) صه : وتسميم.

(٤) زاد في سه هنا : "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضوع
المتناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) صه : لا يتجلى.

الْقَصْدُ وَعَدْلٍ مِنْ حَدِّ الْإِنْفَاقِ، وَيَقُولُونَ عَمَّا أَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ"،
وَبِمَدْحِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْقَصْدِ فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ، بِعَالِمِهِمْ أَنْ أَرْضَى الْأَحْوَالَ
عِنْدَهُ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْاِقْتِصَادِ، بِقَوْلِهِ: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا."

وقد ذكر بعض مَنْ لَا يَعْلَمُ (فِي كِتَابِ أَلْفِهِ فِي الْبُخْلَاءِ) أَنَّ هِشَامَ بْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ وَمُرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَأَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَغَيْرَهُ، مِنْهُمْ . وَلَوْلَا أَنَا

الرَّدُّ عَلَى مَنْ وَصَفَ
الْمَنْصُورَ بِالْبُخْلِ

- (١) هُوَ غَيْرُ الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ الْجَاهِلُ فِي الْبُخْلَاءِ عَامَّةً، وَقَدْ طُبِعَ فِي لَيْدِنَ سَنَةِ ١٩٠٠ الْمَشْرِقِ
الْهَوْلَنْدِيِّ قَانَ فُولْتِن Van Volten، ثُمَّ قَلَّدَهُ الْمُتَهَاوِنُونَ عَلَى سَرَقَةِ الطَّبْعَاتِ فِي مِصْرَ. وَقَدْ رَوَى
الْجَاهِلُ فِيهِ (ص ١٦٣) أَنَّ هِشَامًا هَذَا "دَخَلَ حَانِطًا بَسْتَانًا لَهُ فِيهِ فَاكْهَةٌ وَأَشْجَارٌ وَثَمَرَاتُهَا أَصْحَابُهَا .
بَلْطَوَا بِأَكْثَرِهَا وَيَدْعُونَ بِالْبَرَكَةِ . فَقَالَ هِشَامُ : يَا غُلَامُ ! إقْلَعْ هَذَا ، وَأَغْرِسْ مَكَانَهُ الزَّيْتُونَ . " فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ أَرَادَ تَحْقِيقَ دَعْوَةِ أَصْحَابِهِ ، لِأَنَّ الزَّيْتُونَ هُوَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ . وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى بُخْلِهِ ، حَتَّى إِذَا حَانَطَ
مَرَّةً أُخْرَى لَمْ يَجِدْ أَصْحَابَهُ سَبِيلًا إِلَى الْإِثْمَانِ عَلَى فَاكْهَتِهِ وَثَمَرَاتِهِ . رَوَى صَاحِبُ "مَشْرِقَاتِ الذَّهَبِ"
(ج ١ ص ١٨١) هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى بُخْلِ هِشَامِ ، وَنَعْمَتِهَا بِقَوْلِ هِشَامِ لِقِيمِ الْبَسْتَانِ : "إقْلَعْ شَجَرَةً
وَأَغْرِسْ فِيهِ زَيْتُونًا حَتَّى لَا يَأْكُلَ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا" . وَلَمْ يَذْكُرِ الْجَاهِلُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَنِ الْمَنْصُورِ فِي كِتَابِهِ
فِي الْبُخْلَاءِ .

- (٢) مِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ صَاحِبَ "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" قَلَّ كَثِيرًا عَنِ الْجَاهِلِ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ أَوْ بِالْاِخْتِصَارِ وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَسْمَعْهُ يَوْمَ إِسْرَائِلِهِ ، فَكَانَ مِثْلَهُ كَثَلُ الْمَسْعُودِيِّ وَفَرَّكَ كَثِيرًا مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُنَاقِذِينَ . وَلَكِنَّهُ حِينَمَا جَاءَهُ إِلَى
ذِكْرِ الْمَنْصُورِ وَتَجَنَّبَ ذِكْرَ اسْمِ الْجَاهِلِ ، فَقَالَ فِيهِ صَفْحَةً ١٠٢ مَانَصَهُ : "قَالَ الْجَاهِلُ : رَجُلًا وَصَفَ الْأَعْيَاءَ
لِالْمَنْصُورِ بِالْبُخْلِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . فَإِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ أَنَّهُ وَهَبَ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَلْفَ
أَلْفِ فِطْرَةٍ . وَفَرَّقَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَلْفَ أَلْفٍ . " ثُمَّ رَوَى الْقِصَّةَ الْآتِيَةَ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عِيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ
بِاخْتِصَارٍ وَخَتَمَهَا بِهَذِهِ الْمُبَارَاةِ : "قَالَ الْجَاهِلُ : فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُعَدَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ بِخِيَالًا ؟"

أَحْتَجْنَا إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَهْلِ هَذَا، لَمْ يَكُنْ لَدِيَّ كَرِهٌ مَعْنَى وَلَا لَلتَّشَاغُلِ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ. وَكَيْفَ
يَكُونُ الْمَنْصُورُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ
وَلَا مُلُوكِ الْأُمَمِ وَصَلَ بِالْفِائِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرُهُ ^(٢)! وَلَقَدْ فُزِقَ عَلَى جُمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ عَشْرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ^(٣) وَالْمَدَائِنِيُّ. وَحَدَّثَنِي بَعْضُ
أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ ^(٤) قَالَ: دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ

(١) ص: ولواحتجنا.

(٢) الْمَنْصُورُ هُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ أُعْطِيَ أَلْفَ أَلْفٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَمُوته الْأَرْبَعَةِ (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)
وَمَا يَدْخُلُ فِي مَكَارِمِ الْمَنْصُورِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَنشَدُوهُ مِنْ رِثَاءِ جِهَابٍ، فَأَسْتَحْسَنَ أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ
الْجِهَابِ وَظَهَرَهُمْ وَأَمَرَ لَأَحَدِهِمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَعْطَى الْبَاقِينَ الْفَقِيرِينَ (ذِيلُ الْأُمَمِ لِلْقَالِ ص ٤١).
وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ فَقَالَ: يَا رَيْحَ لَا يَصْرَفُ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ،
فَلُحِثْتُ مَعَهُ (ذِيلُ الْأُمَمِ لِلْقَالِ ص ٢٢٨).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ بَنِي حَرَمٍ فَذَكَرُوا لَهُ مَانِعُهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِقَوْمِهِ وَأَنشَدُوهُ شُعْرًا لِلْأَحْوَصِ كَانَ سَبِيحًا فِي حَرَمَانِهِمْ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ مِنْ سِتِينَ سَنَةً. فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ بِرَدِّ ضِيَاعِ آلِ حَزْمٍ عَلَيْهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ فَلَاتَهَا.
فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَتَقْسِيمِ أَمْوَالِهِمْ بَيْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَلَى التَّامِّ، وَبَنِي مَاتَ مِنْهُمْ وَفُزِقَ عَلَى وَرَثَتِهِ.
فَأَنْصَرَفَ الْعَقْدُ بِمَا لَمْ يَنْصَرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)

(٣) سَمَاءُ فِي مُحَاسِنِ الْمُلُوكِ "يَزِيدُ".

(٤) كَانَ الْأَمِيرُ هِثَّانُ بْنُ نَهْيَكٍ عَلَى حَرَمِ الْمَنْصُورِ. فَلَمَّا مَاتَ سَنَةَ ١٤٠ فِي فِتْنَةِ الرَّازِئِيَّةِ، اسْتَعْمَلَ
الْخُلَيفَةُ أَخَاهُ عَيْسَى هَذَا عَلَى حَرَمِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ. وَهَنَالِكَ آبَنُ نَهْيَكٍ آخِرَ اسْتَعْمَلِهِ الْمُهْدِيُّ وَأَحْرَهُ بِضَرْبِ
بِشَارِ بْنِ بَرْدٍ حَتَّى قَتَلَهُ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِثَّانَ بْنِ نَهْيَكٍ فَقَدْ قَتَلَهُ الرَّشِيدُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْكِي عَلَى قَتْلِ جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فإين هي؟ قلت: أنفقتها الجسرة في مأتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مأتمه ألف دينار! يا أنجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهدي، فندوت قيل لي: معك بنات؟ فقلت: لم أومر بإحضار بنات ولا غيره، ولا أدري لِمَ دُعيت. قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به بنات أبي زيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد على بكفائهن حتى أزواجهن



== وصل ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذته الشراب، يقول لغلامه: هايت سيني! فيسله ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا تجلن ثارك، ولا تظن قاتلك! ثم عليه آية عثمان الفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ان الاثيرج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "الحاسن والمساوي" رواية أخرى في وثاية الولد بأبيه الرشيد (ص ٥٩٢). وأما لفظ "نهيك" فهو "مشتق من التهاكة وهي المرأة والإقدام يقال: إتهك فلان فلانا إذا نال من حرمه وشتمه. ومنه: آتياك المحارم، ونهيكته الحث إذا أخرت به، وأتهكته عقوبة إذا أوجعه ضرباً". (الأشعاع لأن دريد ص ١٢٨)

١٥

(١) هذا القرب كان يعلو عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تنقلت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "خونده" "خاتون"، "آدر (جم دار)" وهذا القرب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي مصرنا هذا نقول: "حرم"، "هاتم"، وهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

٢٠

منهم . قال : فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عمن .
فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صداقهن من ماله .
وأمرني أن أشتري بما أمر من ضياعا يكون معاشهن منها .^(٢)

فهل سيمع هذا الجاهل الخائن^(٣) بمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .
وقلنا استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إيمانا للتقليد . إذ كان أقل
في الشغل وأدلى على الجهل وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفونا والنحيف ذا فضائل ؛ وتفضل الطويل
على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو ؛ وتفضل راكب الدابة على
راكب البغل وراكب البغل على راكب الجمار ، اقتصارا على التقليد إذ كان أسهل
في المأني وأهون في الاختيار .



ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ؛ وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

الآداب
في اعتلال الملك
ونظام التشریفات

د ه (١) الظاهر أن العكي المذكور هنا هو مقاتل بن حکم العكي الذي استخلفه المنصور على حران ، وقد حاصره
بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ و ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حروفا . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب : المسائن ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : آثرنا .

٢٠ (٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : مؤوفا . [أي ذا آلة وعامة] .

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها^(١) ، فلم تسلم عليه فتوجهه إلى رد السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيراً موبخاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدهما الثالثة ، فكان حفظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوله وتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبأحرى ينبغي أن لا يبرح فناء سيده ومالكه ،^(٢) ١٠ أنتظاراً لإفاقة من علته وحفظاً عن ساعات مرضه .^(٣)

﴿١٤﴾



ومن الحق على الملك تعهد بطاقته وخاصته بجوائزهم وصلاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاتهم ، ولا يخرج أحداً منهم إلى رفع رُقعة أو إذكاء أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) ص : يجب .

(٢) راجع الحاشية ١ ص ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) ص : ويحصى .

سنة ملوك
ساسان في الجواهر

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر للرجل من خاصته ويطانته تقديراً وسطاً بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كلّها، وحوائجها خاصّها وعامّها . فإذا كان التقدير - على الجهة التي وصفنا - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنزاله^(١) ونفقاته وحوائجها . ويقول له الملك:

”قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدتها هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك؛ وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدته^(٢) بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تآكدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهيراً لنواب الزمان وتحرّماً الأيام وأقلاب الدول وحوادث الموت. ولتكن مؤنك وكفلك على خاصّ أموالنا.“

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطة لزمانه مبهجة ينعم ملكه مسروراً بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال.

(١) الأنزال (جمع نزل) : القوم النازلون على الإنسان، أو ما هي للضيف أن يزل عليه، كما في تاج العروس .

(٢) صـ : أخذتها .

(٣) صـ : أخذته .

(٤) صـ : وحوادث الأيام والموت . صـ : وحوادث المون .

(٥) صـ : وكفلك .

(٦) في صـ : ”مستشفاً“ . وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام ، لذلك أصلحناها بما آقتضاه الحال . وهي من الكلمات التي تفرّد بها صـ .

(٧) صـ : بما كفى من التذكار وشكر الحال .



ومن حقّ الملك هدايا المهرجان والنّيروز^(١).

هدايا المهرجان
والنيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنّهما فصلًا سنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد، والنيروز إذنٌ بدخول فصل الحرّ. إلا أن
في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان. فمنها استقبال السنة وافتتاح الحراج وتولية
العمال والاستبدال وضرب الدراهم واندنانير وتذكية بيوت النيران وصب الماء وتقريب
القربان وإشادة البديان^(٣) وما أشبه ذلك^(٤).
فهذه فضيلة النيروز على المهرجان.

ومن حقّ الملك أن يُهدى إليه الخاصة والحامة.



والسنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرجل ما يُحب من ملكه، إذا كان في الطبقة
العالية. فإن كان يُحب المسك، أهدى مسكاً لا غيره؛ وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيّتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيّتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) صم: والأخذ بالاسفند. [والذى فى المعجم الفارسى العربى الإنكليزى لرشاردصن أن الإسفند
هو أسمى اليوم الثالث من الخمسة الأيام التى يضيفها الفرس لآخر الشهر الثانى عشر من السنة. ولما كان الشهر
عندهم ثلاثين يوماً هم يضمون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليكملوها معادلة لبسة الشمسية. وربما
كان الملاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالقرس فى ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية نقلها الملاحظ عن آيينهم، بنير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يريد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة

أهدى عنهما، وإن كان صاحب بزة وليسة، أهدى كسوة وثيابا، وإن كان الرجل من الشجعاء والفرسان، فالسنة أن يهدى فرسا أو ربحا أو سيفا، وإن كان راميا، فالسنة أن يهدى ثيابا، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها وجعلها في يد حريز صفي وشريعات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها.

(١) صم : صاحب كسوة وثياب .

(٢) صم : "أصحاب المال" ، [ولها أصحاب الأعمال] .

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في صم ، صم هكذا (موايد) ، فوجدناها في شفاء الفليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا : "موايد" وفسرها بقوله "بما في شعر الفريزق - عرب" . (ص ٢٠٨) ولكن النسخ أو الطابع جعلها بالناء المثناة الفوقية بدلا من النون . وهي واردة على صحتها في كتاب "العرب من الكلام الأجمي" للإمام الجواليقي (طبع المطبعة الألمانية بمخار بمدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها ، بقول الفريزق .

"تراجم موانيد طييم كثيرة * شذلتها أيديهم بالعراقي" .

وقد رأيت هذا البيت في نسخة طويلة في مدح عمر بن هبيرة الفزاري ، ضمن ديوان الفريزق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق (المسيروشييه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠ . (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي) . وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الرشح في كتابها الدال المهملة بدلا من المعجمة ، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية . وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالا عند التعريب (مثل أستاذ ، تلميذ ، فالودج ، فولاذ ، بغداد ، كلواذ ، مروالوذا الخ) . وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانيدن" بمعنى البقاء . وجعلوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالا جريا على عاداتهم في التعريب .

(٤) صم : بيت .

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَل مَنْ أراد أن يترى بفضل نفقاته أو بفضل عَمَلته أو أداء أمانته.

وكان يَهْدِي الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والبالكورةَ من الخَضِرَوات.

- ٥ وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثره ويُفصلنه ^(١) كما قدمنا في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويُسرُّ بها - أن تُهديها إليه بكل حالاتها وأفضل زيتها وأحسن هياتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها على الملك أن يُقدِّمها على نسائه ويُخصِّصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرتَه على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصَّته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.

١٠

ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تُعرض عليه وتقوم قيمة عدل.

- فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة، فإن كان صاحبها ممن يرغب في الفضل ويذهب إلى الرمح ثم نابتة نائبة من مُصيبة يُعصاب بها أو بناء ^(٢) يتخذها أو مادبة يادبها ^(٣) أو عرس يكون من تزويج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلها، يُنظر إلى ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجلٌ رعى هذا وما أشبهه ويتعهده)، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أضعفت له ليستعين بها على نائبته.

(١) ص: يؤثره وبفضيله.

(٢) ص: يجده.

(٣) في ص: يجدها. وليست في ص.

١٢٦

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو ثِقَاحَة أو أترجة، فإن تلك الهدية إنما قدمها لثبَّت له في الديوان، ويُخبر الملكُ إن نابتَه نائبةً. فعلى الملك إعانتَه عليها، إذا كان من أساورته وبطانته أو محدثيه. فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسابةً أو درهماً أو أترجةً أو ثِقَاحَة، أمرَ الملكُ أباؤَه أن يؤخذَ أترجةً قُملاً دنانيرَ منظومةً ويوجَّهَ بها إليه. وكان لا يُعطى صاحبُ الثِقَاحَة إلا كما يُعطى صاحبُ الأترجة. وأما صاحبُ النُسابة فكانت تخرجُ نُسابتهُ من الخزانة وعليها اسمه، فتُنصَبُ ويوضعُ بإزائها من كِسوةِ الملك ومن سائر الكساء. فإذا أرتفعت حتى تُوازى نُصَلَّ النُسابة، دُعِيَ صاحبُها فدُفِعَتْ إليه تلك الكِسوة.

وكان من تعلَّمَت له هدية في النيروز والمهرجان (صُغِرَتْ أم كَبُرَتْ، كَثُرَتْ أم قَلَّتْ)، ثم لم يُنَجِّحْ له من الملك صلةً عند نائبةِ تنوُّبه أو حقِّ يلزمه، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويُذَكِّرَ بنفسه، وأن لا يفتل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفلَ عن أمره بعارضٍ يَحْتُثُّ، فإن تَرَكَ ذلك على عَمْدٍ، فمن سُنَّةِ الملك أن يَحْرِمَهُ أرزاقه لِسِتَّةِ أشهرٍ، وأن يَدْفَعَهَا إلى عَدُوِّه، إن كان له. إذ أتى شيئاً فيه شينٌ على الملك موضوعةً في المملكة.

١٢٧

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرُون بإخراج ما في خزانتهِم في المهرجان والنيروز من الكُمسِ فَتُفَرَّقُ كُلُّها على بِطَانَةِ الملك وخاصته، ثم على بِطَانَةِ البِطَانَةِ، ثم على سائر الناس، على مراتبهم.

وكانوا يقولون: إن الملك يستغنى عن كِسوةِ الصيف في الشتاء، وعن كِسوةِ الشتاء في الصيف؛ وليس من أخلاق الملوك أن تُحَبَّأَ كِسوتُها في خزانتهَا، فتنساوي العامة في فعلها.

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والمُلَحَم. ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففُزِقَتْ. ^(١)

- ولا تعلم أن أحداً بعدهم آتفتى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإنه سمعت من محمد بن الحسن بن مُصْعِبٍ يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في نحرائه ثوباً واحداً إلا كساه. وهذا من أحسن ما حيي لنا من فضائله.

مير مسلم اقتدى
الفرس في تفريق
كسوته



ومن أخلاق الملوك اللّهو.

- غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتاً واحداً، وأخذ نفسه بذلك. فإنه إذا فعل ذلك، ^{١٠} استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، خرج به الهو من إبه حتى يجعله جدّاً لا هزل فيه، وحقاً لا باطل معه، وخُلُقاً لا يمكنه إلا انصراف عنه.

لهو الملوك



وليس هذا صفة الملك السعيد.

- ومن أدمن شيئاً من ملاذ الدنيا، لم يجز له من اللذة وجود القريم النهم المشتاق. ^(٣) وهذا قد نراه عياناً. وذلك أن اللذ الطعام وأطيبه ما كان على جوع شديد؛ ^{١٥} واللذ الجماع وأطيبه، إذا آمنت الشبق وطالت العزبة؛ ^(٤) واللذ النوم وأهناؤه ما كان يعقب التعب والسهر.

نك الإدمان
في الملاذ

(١) ضمه : ثياب ساجور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) صم : اللذة وجودة العلم وجودة النوم.

(٤) صم : العزبة.

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا.

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتًا واحدًا من اليوم واللييلة، لهذه الفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساما. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله، وصدره لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ومنامه، وطرّفه للهو وشغله. وأن لا يثأر على إدمان الشغل فى كلّ يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهول لذهته، ولا للنعيم موضعه الذى هو به.



سيرة الملوك
والخلفاء فى الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب فى كلّ ثلاثة أيام يوما، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب فى كلّ يوم.

وكان ملوك العرب (كالثعمان) وملوك الخيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب فى كلّ يوم وليلة مرة.

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمتسى إلا سكران، ولا يصبح إلا مخمورا.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر فى كلّ شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء هو

(١) لعل الصواب: الأصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، وصفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) صه: فى كلّ جمعة يوما وليلة

(٣) صه: عبد الله.

أو في الماء، ويقول: ^(١) "لَمَّا أَقْصَدَ فِي هَذَا إِلَى إِشْرَاقِ الْعَقْلِ، وَتَقْوِيَةِ مُنَّةِ الْحِفْظِ، وَتَصْفِيَةِ مَوْضِعِ الْفِكْرِ." ^(٢) غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ آخِرَ هَذَا السُّكْرِ، أَفْرَغَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي أَعْضَائِهِ مِنْهُ شَيْءٌ. فَيُصْبِحُ خَفِيفَ الْبَدَنِ، ذَكِيَّ الْعَقْلِ وَالذَّهْنِ، نَشِيطَ النَّفْسِ، قَوِيَّ الْمُنَّةِ.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا سمح غناء.

^(٤) وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمتان اللهو والشرب. ^(٤) فاما يزيد بن الوليد، فكان دهره بين حالين، بين سُكْرٍ وَتَحَارٍ، وَلَا يُوجَدُ أَبَدًا إِلَّا وَحْدَهُ إِحْدَى هَاتَيْنِ.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عَشِيَّةَ الثَّلَاثَاءِ وَحْدَهَا، دُونَ السَّبْتِ. ^(٥)

(١) صه: الأرض.

(٢) صه: وتقوية وتصفية.

(٣) صه: آخر حمة السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن صه.

(٥) صه: وحدها في كل جمعة.

* وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.^(١)

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وربما قدم أيامه وأجرها، على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً، إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه.^(٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة، ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه، غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولا يومها.*



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

١٠

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة، فإذا تزعه لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد.^(٣)

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

١٥

(١) هذه الفقرات الخمس المصورة بين نجمتين * متقولة عن صه.

(٢) وأظر حاشية ٥ ص ٣٧٠ من هذا الكتاب.

(٣) صه : روثقه، وبعض مائه رمى، [ولعله : وبعض بهائه رمى]

وَقَبَّادٌ، فَإِنِّهِمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُمِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ خَاصَّةً، لَا يُجَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُخْتَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتَبْدَأُ بِمَنْفَعَةٍ أُخْرَى .

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُغْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلِيحَانٌ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمَرْوَانُ بْنُ عُمَيْدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يُزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . وَالْوَلِيدُ بْنُ يُزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِّيُّ وَالْهَادِي
وَالرَّشِيدُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَائِقُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَبْسَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوْبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السَّنَتَيْنِ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَمِثْلُ الثِّيَابِ الدَّثَارُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا

(١) أَيْ مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي صَدِّ : مَرَاتٍ .

(٢) هُوَ رِدَاءٌ مِنْ نَزْمِ مَرِيعٍ لَهُ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دَوْزِي Dozy فِي "مَجْمَعِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) سَمَ : إِعَادَةٌ .



تطيب الملوك

وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّ الغالية تختلف^(١).

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبثها في ثوبه.

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية فتضوّعت منه وعَلَقَتْ بثيابه، أمر بصبّ ماء الورد على رأسه حتى يسيل، فإذا كان من غدٍ، فعل مثل ذلك.



فأما من كان لا يمسّ طيباً مادام يحسّ عبق الطيب في ثيابه: فاردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن زجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان؛ ومن ملوك العرب: معاوية وعبدك والوليد وسليان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]؛ ومن خلفاء العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون.

وكان المعتصم قلماً يمسّ الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتته على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدام السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص ٦٧: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّ من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، بجاز. وكذلك غلّكها حتى؛ شددت للكثرة. صحاح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه." [وأنظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص ٦٧: "المسود: وقد استعمل الكتاب هذا التركيب إلى؛ ونسبوا إليه فقالوا: المسودى".

زيارة الملوك
تكرما لرحالهم ،
وأنواعها



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالكرمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ما تقع وتتفق بسؤال المذور الملك وتلقف^(٢) في ذلك .



- (١) من هذا القبيل ما تفضل به مولانا الخلدوي المظلم الحاج عباس حلمي الثاني على الأسوف عليه
بطرس غال باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً ، بعد أن اغتاله يد أجنبية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يتم المستثنى (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تنازل بالترجى إلى
دار الفقيده بالقبة في القاهرة ، عقب مائة في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وداسى بنفسه أولاد القتل وقربته .
١٠ تلغف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب بن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته .

- ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القبيل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اختياله رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر ، وأعطى به الأتابكي سيف الدين
شينو العبري (وهو أول من تلقب باسم أمير كبير ، وفاتت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
منشياً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رفق . وهناك ضمدوا جراحاته . فزل السلطان من القلعة في اليوم التالي .
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وداسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
في القعدة من السنة المذكورة . فاحتفل السلطان بمجنازته وحضرها بهمه وصل عليه قبل دونه . (راجع ابن

الماس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في رسمه ، صم : تلغفه .

وربما رفع الملكُ مرتبةَ الوزير وخصه وقدمه على سائرِ بطانته، فيكون من حِيل الوزير أن يتعالل فيعوده الملك، فيُظهر للعامة منزلته عنده وتكرمه إياه وإيثاره له .
وأيضاً، فقلَّ ملكٌ سألَه وزيرُهُ أو صاحبُ جيشه أو أحدُ عظمائه زيارته إلا أجابه إلى ذلك، و[لا] سِماً إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادةُ في المرتبة والتنويهُ بالذِكر .
فإذا كانت الزيارةُ من الملك على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلةٌ كان صاحبها يحاولها فبلغها، وأمنيةٌ طلبها فادركها .

فأما الزيارةُ للتعظيم، فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المזור . إذ كان ليس من أخلاق وزير ولا شريف أن يقولَ للملك : زُرْنِي لتعظمتني، ولترفعَ في الناس من ذِكري وقُدري .

فإذا كان ذلك من الملك ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفعُ مراتب الوزراء، وأفضلُ درجات الأشراف .

(١) سه : وقرّبه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب] .

(٣) صه : بأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضاً الخديو المعظم الحاجّ عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته، وغرس نعمته، وخادم دولته، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارةُ مرتبتين في آن واحد : منزلة التكرم ومنزلة العيادة اللتين أشار إليهما الجاحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتة .

وكنْتُ حاضراً ليلتها في دار الوزير، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف الملك بهنية، كان بملابس نومه . فإما هو إلا أن فاجأنا الخبر بالتلفون، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .

وذلك لصري يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والسلاطين في مصر إلى رجال دولتهم . أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرمة . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بما ثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقاهرة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير يشبك الدوادار الكبير، بمناسبة التوكل الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد، وهي : الاستادارية، والدوادارية، والوزارة، وكسوفية الكشف . وقد عظم أمره جداً حتى قال فيه ابن إياس : "ما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . " (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨) .

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظيمًا من عظمائهما
للتعظيم لا لغيره، أترخت الفرس تلك الزيارة، ونحرت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن تُوغر ضياعه^(١) وتوسم خيله ودوابه لثلاث
تسغرة، ولا تمتهن^(٢). ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يسابه إلى غروب الشمس، فإن ركب كانت الرجال مشاة أمامه^(٣)،
والركبان من خلفه؛ ولا يجلس أحد من حامته وخاصته لحناية جناها؛ ولا يُحكم على أحد
من عبيده بحكم؛ وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجّه به إليه ليرى فيه رأيه؛
ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له؛ وتقدم هداياه
في التبروز والمهرجانات على كل هدية وتعرض على الملك؛ ويكون أول من ياذن له
الحاجب؛ ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه متزويًا؛ وتكون مرتبته إذا قصد
عن يمينه؛ وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سـ : "توغر" وفي صـ : "يوغر". يقال أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير
خراج، أو هو أن يؤدى الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من المال (قاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذى أراد
الملاحظ، لقوله بعد ذلك بنسخة أسطر : "ويؤثر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صـ : ولا تمتهن .

(٣) صـ : الرجال .

(٤) سـ : وعامته .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدا لعلّة من هذه العلل التي قدّمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بمخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرسا رائعا بسرج منسج وأداة تامة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن زردجرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كلّ ساعة خلعة مجلدة، ويشتهي الزامرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لقلبة اللهو عليه وإثارة هواه.
 فأما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا ^(٢) *



استقبال الناس
 في الأعياد

ومن أخلاق الملك القعود للعامة يوما في المهرجان، ويوما في النيروز. ولا يحجب
 عنه أحد في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ١٠

وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فيهيئ الرجل
 القصة، ويهيئ ^(٣) الآخر الحجّة في مظلمته، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه



(١) لعلّه: فتصرف. وبقية الكلام يدلّ على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدّر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر. ١٥

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضا من مقولات الجاحظ عن آيين الفرس.

يَتَظَلَّمُ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَيَأْمُرُ الْمُؤَبَّدُ أَنْ يُوكَّلَ رَجُلًا مِنْ ثَقَاتِ أَصْحَابِهِ فَيَقْفُونَ بِيَابَ الْعَامَّةِ ، فَلَا يُبْتِغِ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ . وَيَنَادِي مُتَنَادِيهِ : «مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ ؛ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ ، فَقَدْ أَذِنَ بِمُحَرِّبِ مِنْهُ وَمَنِ الْمَلِكِ .»

- ثم يُؤَذِّنُ لِلنَّاسِ وَتُؤَخَذُ رِقَاعُهُمْ ، فَيَنْظُرُ فِيهَا . فَإِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يَتَظَلَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ ، يُدَيِّئُ بِهِ أَوَّلًا ، وَقَدْ عَلِمَ عَلَى كُلِّ مَظْلَمَةٍ . وَيُحْضِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَبَّدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرَبَدَ وَرَأْسَ سَدَنَةِ بِيُوتِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُومُ الْمُتَنَادِي فَيَنَادِي : «لِيَعْتَرِلْ كُلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ !» فَيَمْتَازُونَ . وَيَقُومُ الْمَلِكُ مَعَ خَصْمِهِ حَتَّى يَجْثُوثِيْنَ يَدَيِ الْمُؤَبَّدِ فَيَقُولُ لَهُ : «أَيُّهَا الْمُؤَبَّدُ ، إِنَّهُ مَا مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ ! وَإِنَّمَا خَوَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى رِعَايَاهَا لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتُذَبَّ عَنِ بِيضَةِ الْمَلِكِ جَوْرَ الْجَائِرِينَ وَظُلْمَ الظَّالِمِينَ . فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ ، فَحَقٌّ لِيَنَّ دُونَهَا هَدْمُ بِيُوتِ النِّيرَانِ ، وَسُلْبُ مَا فِي النِّوَاوِيسِ مِنَ الْأَكْفَانِ . وَجُلُوسِي هَذَا مِنْكَ - وَأَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ - يَشْبَهُ مَجْلِسَكَ مِنَ اللَّهِ غَدًا . فَإِنْ آثَرَتْ اللَّهُ آثَرُكَ ، وَإِنْ آثَرْتَ الْمَلِكَ عَذْبُكَ .»^(٢) فَيَقُولُ لَهُ الْمُؤَبَّدُ : «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ سَعَادَةَ عِبَادِهِ ، آخَتَارَ لَهُمْ خَيْرَ أَهْلِ أَرْضِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُمْ قُدْرَهُ عِنْدَهُ ، أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِكَ .» ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ خَصْمِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ . فَإِنْ صَحَّ عَلَى الْمَلِكِ ،

التظلم من الملك
إلى القاضي

﴿١٥٨﴾

(١) سمه ، صوره : الدهريد . [وأنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها ، وصفحة ١٧٣

منه أيضا] .

(٢) في «محاسن الملوك» أن الخلع هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي ، لا الملك . (ص ٣٩)

شيء أخذ به، وإلا حبس من آذع عليه باطلاً، وتكل به. وتؤدى عليه: "هذا جزء

- (١) في تواريخ الإسلام غر كثرية من هذا القبيل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزرائهم كانوا يساوون أقل الخوص في مجلس القاضي ويجري عليهم الحكم الشرعي كما يجري على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبي طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذى أمام القاضي شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموي مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاسم وبل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوبجها معاً إلى مجلس القاضي فسوى بينهما في كل شيء، وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوى ص ٥٢٥)، وفيها وفيها عليها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكرم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوى" ص ٣٢٥ "والمستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع يحيى شيوخ الطبيب عند القاضي أحمد بن أبي دؤاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضي "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر.
- وأبعد من ذلك كله ما جرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطي أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بجز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القليل. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلمة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجوا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فاجتمع به ولأينه، وقال له: ما تريد منك شيئاً إلا أن تنكر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أرضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي عاقبنا عما آبتلناكم به!"
- فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فأتفق أن أستاذ داره نجر الدين عثمان بن شيخ الشيخ (وهو الذي كان إليه أمر الملك) عهد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

مَنْ أَرَادَ شَيْئَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَلِكَةِ^(١)

- بناءً طلبه، وبقيت تضرب هناك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم بهدم ذلك البناء. وأسقط
نظر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نهر الدين وغيره أن هذا
الحكم لا يتأثر به في الخارج. فاتفق أن يجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل
الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه رساله: هل سمعت هذه الرسالة
من السلطان؟ قال: لا، ولكن جئني عن السلطان نهر الدين ابن شيخ الشيوخ، أستاذ داره. فقال الخليفة:
إن الله كورأسقطه ابن عبد السلام، فمن لا تقبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان شافهه بالرسالة،
ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء، تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر
أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستحب عليهم ليت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فغضبوا
عندهم، وأحتمل الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً. وتعلقت مصالحهم لذلك
وكان من جعلهم نائب السطة، فاستشاط غضباً. فاجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نقصد لكم مجلساً، وننادي
عليكم ليت مال المسلمين! فرفضوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السطة
بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأتى نهر الدين، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ، ويدعنا ونحن ملوك الأرض!
والله لأضربن بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده. فطرق
الباب. فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السطة ما رأى، وشرحه الحال. فأكثرت لذلك. وقال: يا ولدي
أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، يست يد النائب وسقط السيف
منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدهوله، وقال: ياسيدي، إيش تعمل! قال: أنا أنادي عليكم
وأيحكم! قال: فقيم تصرفي ممثلاً؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فقم
ما أريد ونادي على الأمراء واحداً واحداً، وقال في منهم ولم يعهم إلا بالتمن الواقي، وقبضه وصرفه في وجوه
الخبر. (حسن المحاضرة) ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة). وقد روى
السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في "طبقات الشافعية" (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧)
(١) ص: أراد شر الملكة والقدر فيها بالباطل. [انقطع صاحب "محاسن الملوك" هنا سياق الكلام،
وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصاً: "وذكر أن أحد خلفاء الطورين الفاطميين فعل
مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاء محامياً لنصم ولم يجره له القاضي عند حركته للعود بين يديه
وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم رفض به، وشب مقبلاً للأرض، جالساً دون مجلس
الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أولاً ونرج عن حكم الحق، لضربت عنقه"]

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألصقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُنصفُ منها إلا لئلا يطمع طامعٌ في حَيِّى. فمن كان قبَلَه حقٌّ فليخرجْ إلى خصمه منه، إتما بصلح وإتما بغيره."

(١) فكان أقربُ الناس إلى الملك [في الحق] كأبائهم، وأقوامهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرَّاً حتى ملكهم يزيد جرد الأنيم، ودوالجس الباركر. فغير سنن آل ساسان وعات في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تتنصف من الراعى، ولا للسوقة أن تتظلم من الملوك، ولا للوزير أن يساوى الرافع في حق ولا باطل."

١٠ فذكرت الأعاجم في كتبها وسير ملوكها أنه بيتا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان قوس مسرج ملجم، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولا أكل أداة. فأهوى نحو يزيد جرد الباركر. فقامت إليه الأساورة

المقوبة الرماز
للك الزمان

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضى وبالخرف الواحد قرياً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

١٥ (٢) هكذا في سه. والمشهور أنه يسمى يزيد المليم الأنيم، ويزيد جرد الأنيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أطغر غرا أخبار الفرس وسيرهم للعالى صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في سه.

(٣) سه: يستأدى.

(٤) سه: يزيد جرد الأنيم.

لندفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَحِمَهُ فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك . فقام إليه يَزْدَجِرْدُ وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

فلما منه حتى أخذ بِمَعْرِقَتِهِ^(٣) ، فَنَلَّ له الفَرَسُ وتطامنَ حتى ركبهُ . فلما جال في مثنى^(٤) ، خطا به خطأ ، ثم رده إلى قرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده ، مُقْبِلًا ومُدْبِرًا^(٥) . حتى إذا وجد الفَرَسُ منه مَمَكًا وَغَفْلَةً ، وَرَحِمَهُ فأصاب حبة قلبه ، فقتله . فقالت الفُرسُ : هذا ملكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثته لقتل يزدجرد ، لما ظلم الرعية وعاث في الأرض .^(٦)



وكان بهرام جُود بن يزدجرد في حجر النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بأداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفُرسَ مَلَكَتْ عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنصَحَ النعمانُ بن المنذرَ واستنجد به . وقال : " إني لي عليك حقاً ، إذ كنتُ أحدَ أولادك . وإن أبي قد مات وملكت

داصته بهرام جود
لأخذ ملك أبيه

(١) أي رفسه برجله أو برجله . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر ، وربما استعير لذي

الثلف . (تاج العروس)

(٢) أي فأهلكه . وفي صه : فأداره .

(٣) صه : بهرقه .

(٤) صه : حال .

(٥) صه : بثوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده الثعالي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية ونفاصيلها مع اختلاف

(صفحة ٥٥١ - ٥٥٢)

الْفُرسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَدَلْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ .
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : ” مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أَخْرَجْتُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لَتَقْوَى نَيْتُكَ ^(١) وَتَصِحَّ عَزَمَتُكَ . ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . “ قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

- ٥ . فخرج النعمان مع بهرام حتى صار بالمداين ، وبلغ الفرس قدومهما ^(٢) . فخرجوا إلى
بهرام ، فقالوا : ما تريد ؟ فقال : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثَ آلِ سَاسَانَ . قالوا : إِنْ أَبَاكَ سَامَنَا
العذابَ أَيَّامَ مَدَنَتِهِ ، فَأَنفَرَدَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنْ جَوَرَ أَبِي وَظَلَمَهُ لَا يَلْزِمُنِي لَأُثَمَّةٌ ^(٣) ، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا ^(٤) . وَأَنْتُمْ لَمْ تَخْبُرُونِي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْذَمٍ . قالوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنْ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
يُمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلَ مِحْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
قالوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِبَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرُكُمْ يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِهِمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمَلِكِ مِنْهُ . قالوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

(١) صه : مُتَكَ .

(٢) روى الثعالي هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الملاحظ . (غرر أخبار العرس ص ٥٤٨) .

(٣) صه : لَا يَلْزِمُنِي لَأُثَمَّةُ .

(٤) صه : ذِمَّتُهُ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدين فهو أحق بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأئك ! فتزل بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في منطلقته . ودنا من الأسدين فأهوى نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به حتى قتلها جميعا . وشد على التاج فأخذه من موضعه بفعله على رأسه .



فلذكته القرس أحرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) صه : وقدا .

- (٢) جمه طبرزيات [أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبره) ومعناها القأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حذان ، وكانوا يلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت التزال والبراز . وقد عرّب المشارقة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فصار يبدؤ بـ "طبرزين" . قال في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للأراكشي (ص ٩٠) مانعه " فخرج المعتمد ويسده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برد " . وقال في "المحاسن والمساوي" (ص ٩٣) . " وكان معه طبرزين فضرب به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات " .
- (وأنظر أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي .)

- كذلك كان الشأن عند تآب المشارقة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانعه : " الطبر . وهو باللغة الفارسية القأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرز " . يعني الذي يكسر بالقأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أنعدمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيت منها روايت كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها ابن ماس في "بدايع الزهور في وقائع الدهور" مرات عديدة منها قوله : " وضر به بطبركان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مشتبها عليه " (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : " خرج عليهم التركان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار " (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : " فلما خرجوا بهم قطعوهم بالاطبار قطعا " . (ج ٣ ص ٢٦٩)

(١)
وَعَدَلَ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانٍ.
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سِرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقَتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِفَحْصِ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رُسْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْفَحْصِ عَمَّا قَدْ مَنَّا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلفاء
الذين اشتهروا
بذلك

وَلَمْ يَرْمَلِكْ قَطُّ كَانَ عَجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابِكٍ. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِيهِمْ وَأَوْضَعِيهِمْ: كَانَ



(١) رَوَى أَبُو حَنَفَةَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَاتَى قَبْلَهَا بِتَطَوُّلٍ كَبِيرٍ وَتَفْصِيلٍ كَثِيرٍ. (أُنْظَرِ "سُلُوكُ الْمَطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْأَتْبَاعِ" الْمَطْبُوعُ عَلَى الْخَرَابِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٠٨ هـ مِنْ صَفْحَةِ ١٠٠ إِلَى صَفْحَةِ ١٠٤؛ وَأَنْظَرِ تَرْجُمَتَهُ إِلَى الْإِنْكِلَازِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ مِشَلْ أَمَارِي الطَّلِيَانِي "Michel Amari، طُبِعَ لُونْدَرُو سَنَةِ ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: ودقيق.

(٣) ص: معرفة نفيه.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ^(١)، ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه ملك من السماء فيُخبره^(٢)، وما كان ذلك
 إلا ليقظَه وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .
 فيقال إن الأُمم كلها، أولها وآخرها، وقد يَمَها وحديثها، لم تخف أحدا من ملوكها .
 خَوَفَها أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطّاب من
 خلفاء الإسلام^(٤).

فإن عُمر كان عليه يَمَن نأى عنه من عماله ورعيته كما لا يَمَن بات . به في مهاد
 واحد، وعلى وساد واحد . فلم يكن له في قطير من الاقطار .^{١٠} النواحي
 عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألقاظ من المشرق
 والمغرب عنده في كل مُسَمّى ومُضَبَّح . وأنت ترى ذلك في كُتُبِهِ إلى عماله وعمّاهم

(١) يمتنع الناس، وبكرها أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التمهيد الذى أورده الألبانى في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في غنایا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تمحّصا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثبّ الميون على
 الرعايا ، والجواسيس في البلاد ليَقِف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المقصد فيقابلها
 بالتأديب ، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرّف ذلك ، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣

١٤٥

حتى كان العامل منهم لَيْتَمُ أَقْرَبَ الخلق إليه وأخصهم به . فساس الرعية سياسة
(١) (٢)
أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .

ثم أقفنى معاوية فعلاه وطلب أثره ، فانتظم له أمره وطالت له مدته .
(٣) (٢)

وكذا كان زياد بن أبيه يحنى فعل معاوية كاحتناء معاوية فعل عمر . وفيما يحكى
عنه أن رجلا كلمه في حاجة له ، فتعرف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال : أصالح
الله الأمير ! أنا فلان بن فلان . فتبسّم زياد وقال : تتعرف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد
الذى عليك ، وهو فلان بن فلان . فبهت الرجل وأرعب حتى أُرعد (٤) وكاد يُغشى عليه .
(٢) (٣) (٤)
وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والمجّاج بن يوسف .

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملّك المنصور . فكان أكثر
الأمور عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عرّف الولي من العدو والمُداجي من المسالم .
(٦) (٧)
فساس الرعية وليسها ، وهو من معرفتها على مثل وضح النهار .
(٨) (٩)

(١) وأنظر ما وقع له مع الفرقتين كانوا يشربون المزرغفة مع المرأة التي جاءها المخاض ،
في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١١٤ و ١١٥

(٢) روى ذلك في "الحسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردتها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ وج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "الحسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أي تملّ بها دهرًا طويلا .

(٨) أنظر التفصيل الذي أوردته في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)



ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حتى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أشدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عنايةً وأحزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمون أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام. ^(١) خبر فيها عن عيب واحد ^(٢) واحد، وعن حالته وأموره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَليَتْ أَنَّ أحدًا من كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها فحصًا حتى بلغ من هذا الجنس أقصى حدّه وأحرَ نَهايته وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر سُخْله في ليله ونهاره، إلّا إسحاق بن إبراهيم. فخذتني موسى بن صالح بن شيخ، قال: كُتِبَتْ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

- (١) ص ٥٠ : حصر.
- (٢) كان للأموال ألف مجوز وسبعمائة. يتفقد بين أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحبُّه ويُفضّه ومن يُفد حُرِّم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلا ونهارا مستترا. (محاضرات الأرائل)
- (٣) ص ٥١ : علما. [وأهل هذه الكلمة في "المحاسن والمساوي" وأستعمل صيغة مطلقه فقال: ولم يكن أحد من كان آنح. ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]
- (٤) هو المصبي أمير بغداد.
- (٥) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.
- (٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية وأنحاء المعجمة) ابن عميرة الأسدي. كان من نداء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصبي أمير بغداد.
- ونظرا أيضا القصة التي رواها صاحب "الأغانى" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا النديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتز على الله، وقد تيف على التسمين. وقبض أبوه بعد أن عمر ٩٩ سنة.
- ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوالله! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت.^(١)

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أنشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا. "فأخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعضه وعلمه كله."]^(٢)

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رُقعة أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فبهت وقلت في نفسي: يا نفس من أين علم أني كذبت! فاقمت سنة لا أجترئ على كلامه. ثم رفعت إليه رُقعة أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقعتي: يُجْرى على عياله كذا وكذا.

ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، لحكي عنه أخباراً كثيرة. وهي من هذا الجنس، وفيما ذكرناه كفاية.

التمييز بين
الأولياء والأعا

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقيله وما أحدث فيهما، ففعل.

(١) يعني: من فصها كيت وكيت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب.

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سب: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الألبسي هذه القصة ونسبها لأماون. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨)]. روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "الحاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان إنج. وذكر القصة بتمامها وبحرفها. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تَسْكُنُ قلوبها جلاله مَلِكها - ولو عبده الجن والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشدَّ إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرّاتها، من أمّ الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كُتُب الأوائل في مواظب الملوك وآدابها:

بماذا تطول مدة
الملك

”إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال:

أحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوّف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل وليّ عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لآمن تهواه نفسه؛



والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، لفحص المُرَضع عن منام رضيعها.“

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نرمدة طالت لملك عربي
ولا عجمي قط إلا لمن لفحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على مثل وضح النهار.

(١) في سه: إشراف.

(٢) في سه: ”سرّاتها في الفريد“. [ولم يكن الجملة معنى أرضيه فقد صحّحها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه.“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [ويؤيد هذا التخرج قول الجاحظ بعد ذلك بستان سطور:
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية لفحص المُرَضع عن منام رضيعها.“]

(٣) في سه: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمته أمرٌ جليلٌ من فتىٍ تُفَرِّ أو قَتَلَ صاحب جيشٍ أو ظهورٍ عُدُوٍّ يدعو إلى خلافِ المِلَّةِ أو قوَّةٍ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها لهوُه ويجعلها وسائر الساعات في تدبير مكابدة عدوّه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شُغْلَه وفِكْرَه وفراغَه (على مثل ما فعل مَنْ مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتبئى وحسن الظنِّ بالأيام نصيباً.

فإن هذا عَجَزٌ من الملك ووهنٌ يدخل على الملك.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والعطائم

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حَزَبها مثلُ هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرَفَّعَ وظائفُها، وأقتصرَتْ على مائدةٍ لطيفةٍ تُقَرَّبُ من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم مُوبَّدان موبَّدٌ والديربُذ ورأس الأساورة. فلا يُوضع عليها إلا الخبزُ والمِلْحُ ^(١) والخلُّ والبَقْلُ، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخباز بالزماورد في طبق. فيأكلُ ^(٢) ^(٣)

(١) في سه: والدمويد. وفي صه: الرير. | وأظن الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسمودية وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسمرهجي.

(٣) قال حاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ما معناه "زماورد هو طعام يسمى لقمة القاضي، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً زماورد بالراء المهله". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" ما نصه: "زماورد، والعامة تقول زماورد. كلمة فارسية آسنعملها العرب للرقاق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة. ويسمى =

منه لُقمة^(١)، ثم يرفع المائدة ويتشاغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره^(٢). ولا تزال هذه حاله حتى يأتيه عن ذلك الفتى ما يرقه، وعن ذلك العدو ما يُحِبُّ. فإذا أتاه، أَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ له طعامٌ مثل طعامه الأول، وأَمَرَ الخاصّة والعامة بالحضور. وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام المؤبد فتكلّم، ثم الوزراء بخبر من كلام الخطباء. ثم مدّ الناس أيديهم إلى الأطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بسط للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصّة في صحّته بمحضرة الملك. وقعد صاحب الشرطة للعامة، كقعود الملك للخاصّة. ثم دعا بالمغنيين وأصحاب الملاهي.

وكانوا يقولون: إنَّ حقَّ شكر النعمة أن يُرى أثرها.

- بحر اسان نواله ؛ ويسمى زجس المائدة ويسمى رومها . “ والقي في شرح القاموس في مادة (ورد) بماتل هذا الكلام ، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزماورد دواء معروف ، ووعده بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل .
- ١٠ . ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب “برهان قاطع” وكما يدل عليه استعمال الجاحظ . وربما رأى العرب التخفيف لحذفوا الباء من أول الكلمة . ولكن ذلك لا يجوز مع القول بأن برماورد من كلام العامة . ويكون هذا الطعام عبارة عما نسيه الآن (الكفتة) . وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتَّخَذُ من الدقيق معجوناً بالسنن والسكر ثم يُقْلُ ذلك المخلوط على أفراس مستديرة لها صومعة رُجْمًا تكون فوقها قطعة من القشدة . ورأيت في “كتاب مبادئ اللغة” لأبن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ما نصه : “الزماورد هو المهنأ والميسر . وقال بعض المتأخرين :
- ١٥ . أَكَلُ الْمَيْسَرِ مِنْ رَأْسَيْنِ ، يَأْكُلْنِي ، * لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا سِيفَانٍ فِي غَمْدِ .”

وقد ذكر صاحب “الأعاني” هذا الطعام . (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في نسخة : لقما .

- (٢) روى ذلك صاحب “محاسن الملوك” باختصار ووقف عند هذا المكان ، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون : “أسمعدُ الملوك من ظَلَبِ عدوّه بالحيلة .” (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمرء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرصوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة].^(١)

ما فعله معاوية
أيام صفين

وفيما يُذكر عن معاوية أنه قال: ما ذُفَّتْ أيامَ صِفِّينَ لِمَا ولا شِعْنا ولا حُلُومًا ولا حامضًا، ما كان إلا الخُبْزُ والجُبْنُ وخَشِنُ المَلَحِ [إلى أن تم لي ما أردته].^(٢)

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأسود عليه

ويُحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جارية تامة الحسن، شبيهة المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيب خيزران. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رُدِّيهِ عَلَيَّ. فَوَلَّتْ. فنظر إليها مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً. فقال: أَنْتِ وَاللَّهِ أُمْنِيَّةُ الْمُتَحَنِّ. قالت: فما يَمْنَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتِي عِنْدَكَ؟ قال: بَيْتٌ قَالَهُ الْأَخْطَلُ:
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا، شَدُّوا مَا زَرَهُمْ * دُونَ النِّسَاءِ، وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ.^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصَانَ وتُحْتَمَ. فلما فُتِحَ عليه، كانت أَوَّلَ جَارِيَةٍ دَعَا بِهَا.^(٤)

ما فعله مروان
ابن محمد عند ظله
العباسيين

ويُحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرًا لم يظأ جارية إلى أن قُتِلَ. وكان إذا استهدفت إليه الجارية قال: إِلَيْكَ عَنِّي! فوالله لا دنوت من أُنْثَى

(١) هذه الزيادة من "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زناها في المتن. (ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦

(٤) آخر خلفاء بني أمية [رأى حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].

وَلَا حَالَتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوِيٍّ، وَتُحْرَسَانُ تَرْجَفَ بَنَصِيرٍ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ! ^(١) ^(٢) ^(٣)

(١) تَرْجَفَ بَنَصِرٍ أى تضطرب به. وهو نصر بن سيار القدى ولأه هشام بن عبد الملك إليم تُحْرَسَانُ ظم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني. وكتب نصر إلى مروان الجعدي أتمر الخلفاء الأمويين يستنجد به بالآيات المشهورة، وهي:

- أَرَى خَلْسَ الزَّمَادِ وَبَيْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ.
فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُؤَدِّينَ تُذَكِّي * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْهَا الْكَلَامُ.
فَإِنْ لَمْ تَهْلُكُوا، تَجِبْنَ حَرْبًا * مُشْرَعَةً يَشِيبُ لَهَا الْفَلَامُ.
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ: لَيْتَ شِعْرِي! * أَلَا يَحَاطُ أَمِينَةُ أُمِّ نِيَامٍ؟
فَإِنْ يَكُ قَوْمًا أَحْمَرُوا نِيَامًا، * قُلْ: قَوْمُوا، قَدْ حَانَ الْقِيَامُ!
فَتَرَى مِنْ بَحَالِكِ ثُمَّ قَوْلِي: * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ!

وأشبهه مبرقة، تراها في "مروج الذهب" و"معارف" ابن قتيبة و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبي الفداء و"الأخاني" وابن خلدون و"معجم البلدان".

- (٢) في سه: "أبو مخزوم". وهو تحريف من الناسخ. والإشارة هنا إلى أبي مسلم الخراساني الذي كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور في الحاشية السابقة. وقد لقبه مروان بأبي مجرم بدلا من أبي مسلم بمعنى أبي الذئب والإجرام. وقد بقي له هذا التبر في الدولة العباسية. فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله:

- زَعَمْتَ أَنْ النَّبِيَّ لَا يَمُتُّ؟ * فَأَسْتَوِي بِالْكَيْلِ، أَبَا مُجْرِمٍ!
أَشْرَبَ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا، * أَمَرَ فِي الْخَلْقِ مِنَ الْقَلَمِ!
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ: مَا غَيَّرَ اللَّهُ نَعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَضَرَّهَا الْعَدُو!
أَفِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاوَلْتَ غَدْرَةً؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ أَبَاؤُكَ الْكُودُ!
أَبَا مُسْلِمٍ خَوْفِي الْقَتْلَ فَأَلْطَمِي * طَلِيكَ بِمَا خَوَّفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ!

وأنظر ابن خلكان في ترجمته، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) [وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب]. وأنظر "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٥٥.

- (٤) نلخص ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٦). وقد أورد المسعودي هذه الحكاية، فقال: "وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء إلى أن قُتِلَ. وترات له جارية من جواريه، فقال لها: والله لا أدنو منك، ولا حَالَتْ لَكَ عَقْدَةٌ، وَتُحْرَسَانُ تَرْجَفَ وَبَنَصِيرٍ سِيَّارٍ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ." ^(١)
- (٢) "مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق



مكايده الملوك
في الحروب

. ومن أخلاق الملوك المكايده في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كل شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمود عاقبة ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربح ماله وحقن دماء جيوشه . وإن أعيت الحيل والمكايده ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعد الملوك من قلب عدوه بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يحقق هذا ويؤكد به قوله : «الحرب خدعة» .

١٠ . وليس لأحد من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبار في ذلك عنهم كثيرة . ولكننا تقتصر من ذلك على حديث أو حديثين .

فمن ذلك ما يذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزديجرد ، بلغه أن ناحية من نواحي أطرافه قد أخذت ، وغلب عليها العدو . فاستخف بها وأظهر الاستهانة به حتى قوى أمر ذلك العدو واشتدت شوكته . فكان إذا أخبر بحاله ، استخف بأمره وصغر من شأنه ، حتى قيل إنه قد زحف إليك ووجه جيوشه إلى قراردارك . فقال : دعوه فليس أمره بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاونه وتراخيه عن أمر عدوه واستهانت به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قرب هذا العدو من قراردار الملك ، وأمره كل يوم في علو . فقال بهرام : دعوه ، فإنا أعلم بضعفه وصغر شأنه منكم . وأقبل على اللهو واللعب ، وترك

- (١) ما يصب عليه من الصمد لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
الوزراء ورؤساء اهل المملكة اجتياحه ، اجتمعوا فتأمروا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه
وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والهلكة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من
جواريه ، فلبسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
الريحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فلبسن من ثيابهن المصبوغة ، وركبن
قصبته . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رأهم ، صاح بالجوارى : فمررن بخيظرتن ،
وبهرايم خلفتهن يغتنى ، وهن يغتنى معه ، ويصحن ويلعن . فلما رأى ذلك وزراؤه
يئسوا منه واجتمعوا على خلعه . وبلغه الخبر . فلما جارية من خاص جواريه ، وقال :
لك الويل إن علم أحد من اهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تحلق رأسه ،
فعلته . ودما مئذنة صوف فتدزعها ، وخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشابته .
وتقدم إلى الجارية أن تخفى أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكمن في منار على ظهر الطريق . فجعل لا يمر به طائر
في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فتربه صاحب
طليعة العدو ، فنظر إلى أمره بهت له . فاخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
وإن مولاي غضب على - وكان لي تحسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وسلق رأسي
والهسنى هذه المئذنة وأجاعني . ولاني طلبت عقلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسر المؤلف بعده بواو الحذف .

(٢) في نسخة "وحاق" وقد اعتدت رواية صمد .

فأكله . فلما أعجبنى كثرة ما صيدت، أردت أن أرمى بكل ما معى من هذه السهام، ثم أنصرفت .

فأخذته حملة إلى الملك فأخبره بقصته . فقال له الملك : إرم بين يدي ! فرمى بين يديه . فكان لا يضع سهمه في طائر ولا غيره إلا أصابه حيث أراد . فبُهِتَ الملك ، وطلَّ تعجبه . فقال : ويلك ! في هذه الملكة من يرى رمايتك ؟ فضحك بهرام ، وقال : أيها الملك ! أنا أخشهم رمايةً وأحقرهم قدرًا . وعندى جنس آخر من الثقافة . قال : وما هو ؟ قال : أدع لي يابري . فدعا له بها . فأخذ إبرة فرمى بها على عشرة أذرع ، ثم أتبعها بأخرى فشكَّها ، ثم أتبعها بأخرى فشكَّها كذلك ، حتى جعلها سلسلة قد تتأق ببعضها ببعض .

فبُهِتَ الملك وملى قلبه رعبًا . فقال له : ويلك ! ملككم هذا جاهل ! أما يعلم أنى قد قرئت من قرار داره ؟ فضحك بهرام ، وقال : إن أعطاني الملك الأمان ، نصحتُه . قال : قد أعطيتك الأمان . قال : إن ملكا إنما ترك استهانةً بأمره ، وتصغيراً لشأنه ، وعلمًا بأنك لا تخرج من قبضته . وذلك أنى أخس من في دار مملكته وأعملهم ذكرًا . فإذا كنت - وأنا بهذه الحال - أقتل بألف سهم ألف رجل ، فما ظنك بالملك ، وله مائة ألف عبيد في قرار داره ، أصغرهم شأنًا أكبر منى ؟ فقال له الملك : صدقتني فيما قلت ! ولقد خُبرتُ عن بهرام من تصغيره لشأني واستخفافه بأمرى ما طابقي خبرك . وما تركنى أبلغ هذا الموضع من ملكي إلا لما ذكرت .

فأمر عظيم جيشه أن يرتحل من ساعته . ونادى في الناس بالرحيل . ثم خرج لا يلوى على شيء ، وأطلق بهرام . فانصرف بعد ثلاثة حتى دخل داره ليلاً . فلما أصبح ،

قَمَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعِظَاءُ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدَوْنَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرُوهُ
بَانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّانِ ، ضَعِيفُ الْمُنَّةِ ^(١) .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتِ الْعِلَّةُ فِي أَنْصِرَافِهِ ^(٢) .

وَكَانَ كَسْرَى أَبَرْيُوزَ ، بَعْدَ بَهْرَامِ جُورَ ، صَاحِبَ مَكَايِدَ وَخِدَجَ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةِ
فِي الْمَلِكِ ^(٣) .

مكاييد أبروير

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازَ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عَنْدهُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ^(٤) .

(١٥١)

(١) أَى الْقُوَّة .

(٢) نَقَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالْحَرْفِ صَاحِبُ "نَتِيهِ الْمُلُوكِ" (ص ٣٤ - ٣٨) ، وَنَخَصَهَا صَاحِبُ "مُحَاسِنِ
الْمُلُوكِ" (ص ١٠٧) .

(٣) الْحِكَايَةُ الْآتِيَةُ قَلَّهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "نَتِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدَ" الْمُنْسُوبَ لِلْمُحَافِظِ ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ
كَثِيرٌ وَسَقَطٌ مُتَوَالٍ وَأَضْطِرَابٌ فِي التَّمْيِيزِ (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فِي سَمِّهِ : شَهْرُ يَزَادَ . وَهُوَ تَصْغِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ، وَفِي صَمِّهِ : شَهْرُ يَارُوقَ صَاحِبُ تَا حَمُوقَ بْنِ الْأَثِيرِ
هَذَا الْأَمِّ بِمُغْلُوهِ شَهْرِ بَرَّازَ وَشَهْرِ يَزَادَ ، كَمَا صَحَّفُوهُ فِي نَسْخِ "مَرْوَجِ الذَّهَبِ" بِمُغْلُوهِ مِثْلَ صَمِّهِ شَهْرُ يَارُوقَ
(وَقَدْ صَحِّحَهُ الْعَلَامَةُ بَارِييَه دَرْمِيَانُ فِي تَرْجُمَتِهِ بِمُغْلُوهِ شَهْرِ بَرَّازَ لِيَكُونَ مُطَابِقًا لِلْأَسْمِ الْوَاردِ فِي تَوَارِيخِ الرُّومِ) .
وَأَمَّا الصَّحِيفُ فَهُوَ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ . (أَنْظُرْ جَمِيعَ الْمُؤَرِّخِينَ وَخُصُوصًا الثَّعَالِبِيَّ فِي "غُرَرِ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْفَرَسِ" (ص ٧٠١ حَوِثْ أَوْرَدَ هَذِهِ الْقِصَّةَ) . وَأَنْظُرْ كَيْفَ الْأَثِيرُ . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وَقَدْ أَوْرَدَ قِصَّةَ
أُخْرَى فِي سَبَبِ انْتِخَاصِ شَهْرِ بَرَّازَ فِي الْخِدْمَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَرُويزَهْدَةُ مَلِكُ الرُّومِ عَنْهُ . (وَأَنْظُرْ "النَّتِيْبِيَّةَ
وَالْإِشْرَافَ" (ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وَقَدْ أَوْرَدَ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِرِوَايَةِ أُخْرَى فِي "مُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" (ص ١٣٦ - ١٣٧) . وَسَمَّى الْقَائِدَ "شَهْرَ بَرَّازَ"
عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيفِ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ فِي الْمَتْنِ .

٢٠

(٥) فِي سَمِّهِ : لُكَاثٌ .

وَالْهَسَالَةِ وَيَمِينِ التَّقِيَّةِ. فَكَانَ شَهْرُ بَرَّازٍ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى الْمَلِكِ [أَيَوْمَ] أَقْرَارَ دَارِهِ وَأَخَذَ يُمَخِّنُهُ
 حَتَّى هَمَّ بِمُهَاذَنَةِ وَمَلَّ عَارِبَتَهُ وَطَلَبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرُ بَرَّازٍ.
 وَأَسْتَعَدَّ لَهُ الْمَلِكُ الرُّومُ بِأَفْضَلِ عُدَّةٍ وَأَتَمِّ آلَةٍ وَأَحَدَ شَوْكَةٍ. وَنَاهَبَ لِلْقَاهَةِ فِي الْبَحْرِ
 بِجَافِهِ فِي جَمْعٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. قَدْ أَعَدَّ فِي الْبَحْرِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ
 وَكِرَاجٍ وَآلَةٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالسُّفُنُ مَشْحُونَةٌ مُوقَرَّةٌ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَصَفَتْ
 رِيحٌ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي فَقَلَعَتْ أَوْتَادَ تِلْكَ السُّفُنِ كُلَّهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى جَانِبِ شَهْرِ بَرَّازٍ،
 فَصَارَتْ فِي مِلْكِهِ. وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ الرُّومُ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْخَزَائِنِ وَالْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ. فَوَجَّهَ شَهْرُ بَرَّازٍ بِتِلْكَ الْخَزَائِنِ وَالْأَمْوَالِ إِلَى أَبْرُويزَ. فَلَمَّا
 رَأَى أَبْرُويزُ مَا وَجَّهَ بِهِ شَهْرُ بَرَّازٍ، كَبُرَ فِي عَيْنِهِ وَعَظُمَ فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ: مَا نَفْسُ أَحَقَّ بِطَيْبِ
 الثَّنَاءِ وَرَفِيعِ الدُّعَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى الْفِعْلِ الظَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ! جَادَ لَنَا بِمَا لَا تَسْخُو بِهِ
 النَّفُوسُ وَلَا تَطِيبُ بِهِ الْقُلُوبُ! فَجَمَعَ وَزَرَءَ وَأَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ فَوُضِعَتْ
 نُسَبَ عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ لَوْزَرَاتِهِ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْظَمَ خَطَرًا وَأَمَانَةً. وَأَحْرَى بِالشُّكْرِ
 مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ؟ فَقَامَتِ الْوُزَرَءُ فَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ وَجَدَّهُ،
 وَأَتَى عَلَى الْمَلِكِ وَهَنًا، ثُمَّ ذَكَرَ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمَلِكُ مِنْ يَمِينِ تَقِيَّةِ شَهْرِ بَرَّازٍ وَعَفَافِهِ
 وَطَهَارَتِهِ وَتُبْلِهِ وَعَظِيمِ عَنَانِهِ. حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا، أَمَرَ بِإِحْصَاءِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ.
 ثُمَّ قَامَ أَبْرُويزُ فَدَخَلَ إِلَى نِسَائِهِ. وَكَانَ لِلْمَلِكِ غِلَامٌ يُقَالُ لَهُ رُسْتَهَ، وَكَانَ سَيِّئَ الرَّأْيِ
 فِي شَهْرِ بَرَّازٍ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! قَدْ مَلَأَ قَلْبَكَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَصَغِيرٌ مِنْ كَبِيرٍ، وَتَافَهُ
 مِنْ عَظِيمٍ، خَانَكَ فِيهِ شَهْرُ بَرَّازٍ وَآثَرَهُ بِهِ نَفْسَهُ. وَلَنْ كَانَ الْمَلِكُ، مَعَ رَأْيِهِ النَّاقِبِ
 وَحَزْمِهِ الْكَامِلِ، يُظَنُّ أَنَّ شَهْرَ بَرَّازٍ أَثَرَى الْأَمَانَةِ، لَقَدْ بَعُدَ ظَنُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَخَسَّ

(١) نصيبه . فوق [في] نفس أبريز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَظُنُّكَ إِلَّا صادقًا . فما
الرأي عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقدم وتوهمه أن بك حاجة إلى مناظرته ومشاورته
في أمرٍ لم تجز الكتابة به ، فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفَ ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدرى
أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كل ما يقدّم به نُصَبَ عينيك .

فكتب أبريز إلى شهر براز يأمره بالقدم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يدقُّ
عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أرفده برسولٍ آخر . وكتب إليه : "إني قد كنتُ كتبتُ إليك
أمرَك بالتقدم لأنظرَك في مُهمٍّ من أمري . ثم علمتُ أن مقامك هناك أقدرُ في
عدوك وأنكى له وأصلحُ لللك وأوفرُ على المملكة . فأقيم وكُن من عدوك على حذر ،
ومن غيرته على تيقظ . فإنه من ذهب ماله ، حَمَلَ نفسه على التلف أو القلج (٢)
والسلام !"

وقال للرسول الثاني : إن قَدِمْتَ فرأيتَه قد تأهبَّ للخروج إلى وظهر ذلك
في عسكره ، فادفعْ إليه هذا الكتاب . وكتب : "أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد
استبطلتُ جواب قُدموك وحركتك . وعلمتُ أن ذلك لأمرٍ يُصلحه من أمر نفسك
أو مكيدة عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا خلّف أخاك على عمّلك وأغذ السير ولا تُعرج
على مُهمٍّ ولا غيره . إن شاء الله !" . وإن لم تره استعدَّ للخروج ولا تأهب له ، فادفع
إليه الكتاب الأول .

(١) في سم : "نفسه" . ولعل الصواب : "نصيبه" . قال في القاموس : "نفس نصيبه جعله غيبسا

دينيا حقيرا" . ولم ترد هذه الكلمة ولا آت قبلها في صم

(٢) في سم : الفتح ، وفي صم : الحذف . وقد صححتُ بما في المتن ليكون المعنى أن الذي يذهب ماله
يركبُ أختن المراتب فما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه : يكون في حالة بأس يحمله على المارة : ... ثموز .

فقدِمَ الرسولُ الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزمٌ ولا خاطرٌ، ولا همٌّ به. فدفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أولُ كلِّ قَتْلَةٍ حِسْلَةٌ. وكان خليفة شهر براز بيباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتَه للملك وما كان من جواب الملك له. ثم تازعت أبرويزَ نفسه ودعاه شَرُهه إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالتقدم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطنًا، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أنَّ نِيَّةَ شهر براز قد قَسَدَتْ وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أخى شهر براز: "إني قد وليتُكَ أمرَ ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُكَ، وإلا فخاريته!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بحاربتَه إن أبى أن يُسَلِّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حِيلٍ ومكايد، وقد قَسَدَتْ نيته لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غدا؛ وإن قتلك اليوم، كان على قتلي غدا أقوى^(١).

ثم إن شهر براز صاحَّ ملك الروم، لما خاف أبرويز. وتوثق كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه. واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتوتلي محاربته، فأنتي

(١) هذه رواية صـ. وأما سه فروايتها: يقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأتمن. وعملها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرّات، ألهز الملك بهزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيتي. ثم أحضر دريما وأخرج ثلاثة كتب من كسرى بأمره فيها بقتله، وأطلعه عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فاعتذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتقعا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصَرُ بِمَكَايِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : هَلْ أَقِمُّ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مَحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَاذُ : أَمَّا إِذَا آيَتَتْ عَلَى فُلَانٍ مَصُورٌ لَكَ صُورَةٌ ، فَأَعْمَلْ بِمَا فِيهَا وَامْتِثِلْهَا .

ثُمَّ صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَثَرَةٍ يَتَرَلُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُبْرُويزَ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهَا ، وَأَيُّ الْمَنَازِلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيُّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسِيرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلِّهَا عَلَى مِثْلِ وَصَحِّ النَّهَارِ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمْ ذُوْنَهُ وَلَا تَقْطَعْهُ إِلَيْهِ ، وَاجْعَلْهُ مِثْلَكَ وَجْهًا جِيُوشَكَ وَعَسَاكَرَكَ إِلَيْهِ .

فَضَلَّى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أُبْرُويزَ الْخَبْرُ فَضَاقَ بِهِ دَرْعَهُ ، وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لِقَطْعِهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْمَيْتِ أَكْثَرُهُمْ هَزَلَى أَضْرَاءً^(٢) .

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَى مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَاذُ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهَا ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّهْرَوَانِ ، عَسَكَرَ هُنَاكَ وَاسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أُبْرُويزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جَمْعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعَائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ ، فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أُبْرُويزَ وَلَمْ يَسْكُ فِي الظُّفْرِ بِهِ .

فَدَعَا أُبْرُويزَ رُجُلًا مِنَ النَّصَارِيِّ ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَنْقَذَهُ مِنْ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَائِي ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أُبْرُويزُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا تَقْدُمُ مِنْ أَيَادِينَا عِنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرٌ ذَلِكَ لَكَ وَلَا بَأْسَكَ . قَالَ : نَغْذُ هَذِهِ الْعَصَاوَامِضَ بِهَا إِلَى شَهْرَبَرَاذَ ، فَأَتِيَهُ فِي فَرَارِ

(١) ضمه : وعدراته .

(٢) أى أضمطرب .

(٣) أى مهزولون مَرَضَى . [والذى فى رسمه : هزلا وضرا] .

ملك الروم، فأدفعها إليه من يده إلى يده . وعمد إلى عصا منقوية، فادخل فيها كتاباً صغيراً منه إلى شهر براز: "أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا وأستودعته العصا. فإذا جاءك، فغرق دار مملكة الروم، وأقتل المقاتلة، وأسبب الدرية، وأنهب الأموال، ولا تترك عينا تطرف ولا أذنا تسمع ولا قلباً يبي، إلا كان لك فيه حكم. وأعلم أني وأشب بملك الروم يوم كذا وكذا. فليكن هذا وقتك الذي تعمل فيه ما أمرتك." ٥

(١٥٧)

قال: وأمر للنصراني بمال وجهه، وقال: لا تُرجن على شيء ولا تُقيم يوماً واحداً. وإياك ثم إياك أن تدفع العصا إلا إلى شهر براز، من يده إلى يده!

ثم ودعه ومضى النصراني. فلما عبر النهران، اتفق أن كان عبوره مع وقت ضرب النواقيس. فسمع قرع عشرة آلاف ناقوس أو أكثر. فأنهلت عيناه وقال: ١٠
يئس الرجل أنا، إن أعنت على دين النصرانية وأطعت أمر هذا الجبار الظالم!

فأتى باب ملك الروم، فاستأذن عليه، فأذن له. فأخبره بقصة أبرويز حرقاً. ثم دفع إليه العصا، فأخذها ونظر فيها. ثم أخرج الكتاب منها فقرأ عليه. فنفخ، وقال: خدعني شهر براز! ولئن وقعت عيني عليه، لأقتلنه!

وأمر فقوضت أبنيت من ساعته، ونادى في الناس بالرحيل. وخرج ما يلوى على أحد. ١٥

(١٥٨)

وجه أبرويز عيناً له يحييه بخبره. فأنصرف إليه فأخبره أن الملك قد مضى ما يلتفت لفتة. فضحك أبرويز، وقال: إن كلمة واحدة هزمت أربعائة ألف جليل قدرها ورفيع ذكرها! ١١

(١) والعرب تقول: أخذ من الرمية، كلمة خفيفة. ("المعجم المريد" ج ١ ص ١٦٥)

الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يحبُّ على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، قلَّنا، فذابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمها، وكان مفتاحاً لتأليفه - وجمعه.

ولنقل أنا لم نر في صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية قتي أجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فحاز الولاية من هاشم والخليفة من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مؤيد أمير المؤمنين.

فلتهنئته هذه النعمة المهداة! وبارك له وأهله، وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع يقاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومبلم تسليماً كثيراً!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

١٥

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعناها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم المحافظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن المحافظ نعت فيه بقلب
"الناس" ووصف مقدار أكله ، وما ذا كانت يصنع إذا أجهده الكثرة . كذلك أين أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلا من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محترقة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابنا نجدها كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التغيرات مصدرها إهمال النساخين المساخين .

٢ - أولع المحافظ ذكر "قامس النجار" وبمداخيه والبحث به في كتبه . وقد وصفه بطول البحث ،
وأشار إلى بعض نواته وأحواله ، هو وأبيه ، الذي كان شر شبيهه بأبيه .
ويستفاد من كلام المحافظ أنه كان معاصرا له .

أنظر كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصا ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦
بأكملهما) ؛ و"المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم النجار) .

٣ - ذكر المحافظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
ووصفه بالأكل . وقد ذكره أيضا في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف"، أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عرساً في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل المقلد في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٣١٥ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن الهراث .

٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضاً "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسمر" . لأن صحة اسمه بالسين المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - ر ز م - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسمر" والغلط من الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلاً واحداً . فإن تحريف "عبد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً آخر ، وهو "أبو خازجة" الذي روى لنا الجاسقظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزوداً" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأئمة في تلك الحاشية إنما هو "مزود" وهو لقب ضرار بن الشماخ . والتعريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زود - وإن كان لم يخبرنا بأنه من الأئمة .

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأئمة" للدايني - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالاً وأخباراً تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا المجسط بإبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وجامعة جُند الخلافة" إنه
 "كان عالما بالدولة شديدا لمحب لأبناء الدعوة وكان نظم المعاني ، نظم الألقاظ . لو قلت : لسانه
 كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وثمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
 وعرف به المجسط أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لا نظيره ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان قنياً ، وكان عروصياً وحافظاً للحديث ، وراوية الشعر ،
 شاعراً . وكان نظم الألقاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رُوبة ،
 ويعمل في الخراج يصل زاذان فروخ الأعور . وكان منجياً ، طيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وطالما
 بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيها عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول
 المجسط نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاء على خراسان : إن أباك كفى أخاه خطيباً ، وقد استكفيتك
 صغيراً . فلا تشكك على حذر مني لك ، فقد أتكتلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك .
 فإن الظن إذا أخلف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حقلك ، فأطلب أخصاء . وقد أتمبتك أهلك ،
 فلا تريح نفسك . وكفى لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غلك ، تسعد . إن شاء الله !
 (البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) نصبة الرجل الذي أراد ما يورد أن يمتعه قبل أن يوليئه قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أوردته من البيانات بخصوص الآين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البخلاء" طبع لدين فقال :

١ - الآين فيأمنن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأرأ أن تبدأ أنت قسماً فأقول أنا حينئذ مجباً لك : وعليك السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت أكل ، فهامنا آين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : هيناً ! فيكون كلامٌ بكلام . فأمّا كلامٌ فعال ، وقولٌ بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجدي إنما هو شئ من آين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، كالعلامة اليسر والفراخ ، وإنه لم يحضر التمرين والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) قلاً عن الفهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجبلي ألف "كتاب آين" و"كتاب الزيادات في كتاب آين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردتها الجاحظ بنصها وقصها مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والبيان" ج ١ ص ١٣٣) . ثم أوردتها أيضاً في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) :

ومع نقلها ابن عبد ربه في "المقد الفريد" دليل نقله أيضاً للكلام الذي صُلب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الاستيراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضبط إلى ما كتبه عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الملاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً ، فرأى الناس
لده استحسنوا كلامه ، فقال لهم : " لا يمتكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما نسمعون منا " .

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وفد ذكره الملاحظ في مواضع كثيرة من كتاب " البخل " (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩)
حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم ، ومفضل الكرم .

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أئمة الناس وأحسنهم حديثاً . وكان واوية علامة ،
شامراً مفلحاً . وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الجباج قال : ما ظننت أن بالراق مثل هذا .
وكان يقول : ما أمكنني والي من أذنه إلا غلبت عليه ، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة) .
وكان عليه متعابلاً . فلما بلغه أنه (أي الجباج) رفقته (أي بلال) حتى رقت ساقه وجعل الورق في خصيه
أنشأ يقول :

لقد قرعني أن ساقه رقت * وأن قوى الأوتار في اليضة اليسرى

بخلت وراجعت الخيانة وانحنا * فبورك الله المقدس للعسرى

فما جذع سوء خرب الدوس جوفه * يعالجسه التجار يرى كاتسرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى ، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون .

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاسقظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بصُرْتُ بفهد على قاذ خلوة ، فسميت إليه ، وأنا أسواركا تملون . فوالله ! ما أخطأت حاقق لهزيمة حتى رزق الله عليه الفقر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

فما يجب تعليقه على ما رواه الجاسقظ بخصوص تهاون الأمين إبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البهائم" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوث ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم قريب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يتالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجل ضروءه !
أخذ الله قلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يميز البيتين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال :

ما لئن أهوى شبيه ، * فبه الدنيا تتيه !
ومله حلو ، ولكن * هجره مر كرية !
من رأى الناس له الفضل عليهم ، حسده !
مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوزن ثلاثة أبنل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظه "بأر" ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، تفسير قبيل !
فإن ذا الذي "يأتي" على بحاله، * وغالى على، ذوالندى، وعقيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب باسم "المرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال"
قديماً، والأستاذ "شويتقرت" الموجود الآن .

قال الأثر : CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, furinosis.

Descr. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, oblusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra medium.

Arab. اسال. al'is Korrah vel Særah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabica : pp. 68)

وقال الشافعي مانه : Særah. Saerah سرح 140 Cadaba o) farinosa Forsk. (Schweinfürth G., Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نعيم أى شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الملاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعلمته (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٧٧٠) فقال مانعته : " وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أعتِم بمكة لم يتم معه أحد . هكذا في الشعر . ولعل ذلك أن تكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهتغم ذمهم .
إذا شدد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والمُصوم ،
فقد رمت على من كان يمشي * بمكة غير مُدخل سقيم .
وكان البختري غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقان الحكيم .
هو البيت الذي بُنيت عليه * قرين السّر في الرمن القديم .
وسطت ذوائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم ! ^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الربادي أنه . كان "فاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب ويُعمل له ، وكانت له رعاية حسنة كثيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع ومائتان سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأهات " . (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يذلل كثير من ناصبي الكتب وطابعيا فيقولون " العاصي " في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوس" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الاشتقاق" لأبن دبريد ولسان العرب وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) البختري^١ الحسن المشي والحسم . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب ح ت ر -) .

(٢) أي قوتلت فكنت أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أومئى عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عبسة بن إسحاق على مصر
أن المتوكل تكلأ بها حسان الزيادى هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بدار مصر . ذلك خاطراً
سبق إلى رمى ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التى تولى قضاها أبو حسان الزيادى هى أحد شق
بغداد . وقد وصفها اليعقوبى (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : "وإنما سميت الشرقية
لأنها قُدرت مدينة للهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقى
من دجلة . فسُميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذى يجلس فيه قاضى الشرقية" . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبى طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أنصف على هذه الحاشية أن الملاحظ قد شرح لنا "التابع" بقوله : فالتابع ، لا يثنى زبر وليست له غاية
دون التالف . (كتاب "البغلاء" ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الملاحظ "في البيان والتبيين" أيضاً (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الملاحظ مقولة الشيعى في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد "تناهدا"
بدلاً من "تناهدا" التى فى طبعنا قلاع ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتر)

روى الجاحظ أيضا في "اليان والتبيين" الحديث الذي كان بين المؤمن وبين سعيه بن سلم بشأن استعسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦ ، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ عما لا مبرر به) .

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "اليان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى ، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية . (أنظر "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المخصص" لابن سيده شرح "السهم العائر" والسهم القرب" (ج ٦ ص ٧٦) . [وأنظر عن "السهم القرب" ما أوردته في صفحة ١٩٤ عن تكميل صدمة ٤٣ ص ١٠] .

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أي يكر الجاحظ ما قاله الجاحظ عنه في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصًا وعالمًا يبتا وعالمًا بالأخبار والآثار . وقد سماه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة : "إذا جمع العلماء أربعة ، فقد كل ؛ إذا كان حلالا ، وكثرت عليه الأيدي ، وسمى الله على أوله ، حجة على آخره . " ف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيبا قاصًا وعالمًا بالأخبار والآثار ؛ وأنه لما ناظر أهل الكوفة قال : "لنا الساج والماسح

والدياج والمخراج والنهر العجاج". وقد روى الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "المحيوان" (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : "نحن أكثر منكم طابا وساجا ودياجا ومراجا" ، ونسبها لأحف بن قيس فيا تخريجه على أهل الكوفة ، ثم قال الملاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الملاحظ هذه الكلمة في كتاب "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٩٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها عن رَوح بن زَبَّاع ما رواه الملاحظ من أن معاوية لم به قتال له رَوح : "لأنسيت في عدوا أنت وقتي ، ولا تسوان بي صديقا أنت سرته ، ولا تهين مني رثا أنت بغيته ! هلا آفي حبلك على جهلي وإساذي ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) . . . التي أستمع بها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . . . إلتين" (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها من "المقد الفريد" في تلك الحاشية . ولا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أدخلها من الملاحظ .

صفحة ٩٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته من أسماء بن خزيمة الفزاري أن الجاهلي بن يوسف الثقفي لما بلغه موته ، قال : "هل سمعت بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وقته أي قهرته وأذلقته . [حاشية عن طابع "البيان والتبيين"] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

- ١ - العقرب تقع في يد السور، فيلب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستظية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبتث [هو هو البثاق] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "استظى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن المزيمن في الحرب غاية الإيمان ثم لحقت [المرءة]، لقطعت وهو "مستظي" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أنوشروان لمن خافه في حربه . والباراتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النص الوارد في روايتنا قد استوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة فان كلون من ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولا - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، جيد الرأي كثير الأدب . وكان أول من تربع كنب النجوم والطب والكيمياء . " (البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرثجاً للثلاثة ، فلما حُرِّمَها أقطع لخدمة العلم والأدب ، فأبقى لنفسه نظراً باقياً على مدى الأبد .

وليت امرء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!

ثانياً - أنظر أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان ومروان بن - سيد الأشدق (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٨٥) ، وتقيب سعيد بلطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسباباً لطيفة في تسميته بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثاً - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل لعليم الشيطان" . وأعلم أن "أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقب ظب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، ففساد كان في فقه . والعرب تكنى الأبيجر "أبا ذئباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذئبان" . قال الشاعر مشيراً إلى هشام ابن عبد الملك بن مروان :

لَمَّا لَبَّيْتُ مَالَتِ بِهَا الرِّيحُ مِيلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الدَّبَّانِ ، أَنْ يَتَدَمَّ .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبيجر : أبو ذئبان . وكانت - نياً زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنشده قول ابن خرابة ^(١) :

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانٍ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَارِجٍ مِنَ الرَّسَنِ .

وقد صفت يعتنا لابن الحسن" .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لعليم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن ، فافوت ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن مخنف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق وبلطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتعريف فيها كثير . وصحة اسم هذا الشاعر هو "أبو حُرَّابَة" (بالهاء المهملة ثم الراء المعجمة) فإنه من الذين خربوا مع أن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان (أنظر "الأغانى" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشتبه" للذهبي ، طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد :

كَأَنَّ بَنِي مُرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ * بِغَاثٍ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَقْرِهِ
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لَهُ بَسَاتٌ حَلَّلْنَا دَوْحَهُ * فِي بَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
وَالْبَابُ تَحْسِبُهُ بَسَاتِيًّا رَأَتْ * قَاخِي الْقَضَاءِ ، فَفَتَحَتْ أَذْنَابَهَا !
(بدائع الزهور لابن أبياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :

الرعية الرهن ، والماء للبالغة ، كالشئمة والشئم ، ثم استعملوا بمعنى المرهون .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تحصن الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانعه : "لما تقول في فرس تحصن تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب قد حال بين استبانة بعضهم لبعض ، وليس في الموكب يجرد ولا رمة ، فليفت صاحب الحصان فيرى يجرأ أرومته على قاب عرض أو عرضين أو غلوة أو طوتين ؟ حدثني : كيف شئت هذا الفرس تلك الفرس الأثني ؟" .

ففي ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحي كلمة هناك . وكأنني كنت أنظر بنود الله إلى هذا الشرح حيناً أوردت حكاية قاي قبای ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسامرة سعيد بن سلم للحليفة الهادي بنفس ألقاها التي أوردتها في "التاج" وقال : إن الخليفة نعتَه بـ "الخائن" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النمط ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طوَيْس المنفى لبعض ولد عثمان بن عفان (أعنى هو سعيد ابن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأظن مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "الحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن امتحان أبريز لرجاله في حفظ الحُرَم . والبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عسدا قد أخذت حطها من العناية في التصحيح .
(أنظر "الحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلورن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارئ على بعض المراتب التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف بأسم "النوهار" .
وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله العمري تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفرنغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيب ، الموجودة الآن بجزيرة طوب قبر بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

لجاسط شرح لطيف على قولهم : " المغبون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في كتاب " البخل " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجسد بن درهم بحسب ما وصل إليه أجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القليل . ثم رأيت ترجمته في " سرح الميون " لأبن نباته (ص ١٥٩) فأحييت لذلك النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة لا يحنو على شيء . يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سليم بن مجاهد " اعتماداً على رواية صمد ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب " المحاسن والمساوي " قد أورد القصة . ولكن قاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجاهد " . وأنا أضيف الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن والمساوي " أي " سليمان " وقال إنه " مولى بن زهرة وكانت له من السقاح منزلة عظيمة " (وأورد تفاصيل أخرى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجاهد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاسط قد روى بعض المكاتبات التي دارت بين معارية وبين قيس ابن سعد بن عباد أمير مصر من قبل على بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجى: وأما بنو أمية، قرة ضلالة، وبلشهم بطش جهرية. يأخذون بالقلم، ويقضون بالهوى، ويقطون على الفضب، ويحكمون بالشفاعة، يأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥):
وقال أيضا: آثار الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سخاء، وأحتمال وصبر على الحق ونصرة للصدوق وقيام بحق الجار". ("اليان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "أبن دأب" ما رواه الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبتها عن علامات الانصراف ما أوردته الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أمنف إلى شرح لكلمة "مخصرة" قول ابن سيده: "المخصرة ما يشربه الملك إذا خطب" (من المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وثق هذا الموضوع حقه في "كتاب العسا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانعه: "كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

في كفّه خيزران ريمها عتيق * يكفّ أروع في مِرْنِيهِ شميم^(١).

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيران" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله: لأن الملك لا يختصر إلا بعود لئلا ينعيم.

وأنظر أيضا كتاب "العسا" لأسامة بن منقذ، وقد طبعه العلامة هرتفونغ درنبرغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades*.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قرشي "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد علق صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخلیط مع أن شيعه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حذير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعه ليبسك ص ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٩٢، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر"، شاعر قرشي، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغاني" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ . (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأروع: الذي يروحك ويعجبك لحسه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السكية" أن صاحب بدائع البداهة (ص ٢٢٧) قد أشد لأبن فلاس الإسكندري مرتجلا :

أنا الفقيه يطبخية * وسكية قد أجودت صفالا،
فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالا .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

إنفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد يتام فيه الملك . وكنت أثرت استعمال "الحوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأزل أفضل . لأنه وارد في جميع النسخ الثلاث، ولأن اللفظ لا يمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملال وشهوة الاستبدال في كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفًا لطيفا عن ابن أبي عتيق في الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة ويندج في ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ١ و ٢)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس ظفاه بن الحارث "كان يتخلف" ويخلف أصحابه
بالغالية، فُسِّمَ "ظفاه" بذلك "اليان واليتين" (ج ٢ ص ١٦١).
قال في السماع "وتخلف الرجل بالغالية وتلف بها لحية ظفأ، ومعد يكرب بن الحارث بن عمرو
أخو شريحيل بن الحارث يُلقَّبُ بالظفاه لأنه أول من تلف بالمسك، زعموا". ونحوه في "اللسان"
(ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١).

يضاف على السطر الثالث منها أن آبن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن
الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله السكري كتابا خاصا في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم
من الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث
من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القيل بالأندلس، مع علم الخاص والعام بغرام بهذا القطر وعن
كانوا فيه. فرأيت أن أتلقي الآن ذلك الإجمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير
(المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ومذريه (وأنظر التفصيل الوافي
في فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن؛ وفي كتاب بنية المتيسر
للنضبي طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب التكملة لكتاب الصلة لأبن الأبار، طبع مدريد، ص ٩٠؛
وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، الذي أشار إليه صاحب فتح الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضا لمغزدرين
سميد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة تجدد المعجب والمطرب منها
في الكتب المذكورة - بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص فتح الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠)
وما يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٢ - ٧)

أنظر ما رواه الملاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة يهرام وفروسيته في صيد الخمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها من "الطير" و"الطيروزين" :

١ - أن أمين جرير الطيري الشير ذهب إلى أبي حاتم الجستانی ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأما دة
أبو حاتم ، ثم سأله عن بلد ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري .
فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة ، وكانت أرضاً ذات شجر ،
فأتمسوا ما يقطعون به الشجر . فلما زرعوا هذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به . (أنظر
"معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٢٨٤) . وقد ذكر الملاحظ "الطيروزين" و"الطيروينات" في كتاب
"البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرية للها من الهجرة فأطلقوا لفظة "طبر" على السلاح جملة . يدل
على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد العم ومبيد التعم" (ص ٥٠ من طبعة
لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الملاحظ نفسه أن انباز عندهم كان هو الطامى والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام
لخدمته .

فإن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . وأعتبر كلامه
في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب يقول للرجل الصانع ... حيازا . إذا كان
يطبخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس من (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الحيازون المذاق قد تركوا

الضأن، لأن المعزيب شحمه ولحمه فيصلح أن يسمى مرات، فيكون أربع لأصحاب العرس“. وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السدي الذي اشتراه ثمامة [بر أشرس] ثم قال عنه للماحظ: ”إنه أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرا“ .

ورود في كتاب ”البعلاء“ للماحظ :

١ - إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أى الذى يصنع الحبيصة] (ص ٧٠) .

٢ - قُربَ خباز أسد بن عبد الله - وهو على خراسان - شواء قد نضجه نضجا ، وكان يبعه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أظن أن صنيعك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .

٣ - جاء الخبازون مرفوعا الطعام (ص ١٦٤) .

فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر الماحظ البرماورد في كتاب ”الحيوان“ فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواء ، ثم حاراً وبارداً ، ثم تطيب في البرماورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن ”أهل خراسان يُسحبون بأخذ البرماورد من فراح الزناير ، ويمافون أذناب الجراد الأعرابي السمين“ . (ج ٤ ص ١٥) . ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف برماورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلبا عاد إلى بغداد كان يشتبها ، فطلب له من كل مكان . وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عبره الدماء بأكل الجراد الأعرابي . ثم مالبت الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملاءة من فراخ الزناير ليتخذوا منها برماوردا للأمر . فخرج البدوى وهماهما بأيات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني النوي هو القائل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "شرح العيون" (ص ١٥٥) .
والقائلون بملذه يسمون "مانية" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطبعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب استدراسها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويُقصّر ويجهّد	ويُقصّر ، ويُقصّر ويجهّد
٢٤	١٠	بخطابة ...	بخطابة ...
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا ...	وجاؤوا
٤٧	٨	حتى ...	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات ...	حالات
٧٨	١٤	تَب ... تكون ...	يُتب ... يكون
٧٨	١٥	قدّامها ...	قدّامه
٩٨	١١	خلّوا ، تذاكروا	خلّوا ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	السفلة ...	السفلة
١١١	١	الرويدة	الزيدية (١)
١١٦	١٢	يقرؤون ...	يقرؤون
١٢١	٩	بمخرج ...	بمخرج
١٢٥	١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١	عزل ...	عزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
سـ ، صـ بمقتضاء ، أي نحمل بدل " الرويدة " لفظة " الزيدية " بطريق التفسير والتخفيف للكلمة
" الزيدية " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والعُرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .

(٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجيه جدًا ومنحتم يقضى به السياق .

استدراك^(١)

لهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات

التي انفردت بها دون نسختي سـ ، صـ .

(الكلمات الزائدة في الحلية أدجناها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موقعها)

- ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف المافظ عثمان) ليس فيها لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلية قوله تعالى في سورة "فاطر" : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥) وهي غير الآية التي يريد بها الملاحظ ، وليس فيها عمل الشاهد الذي توخاه] .
- ص ٤ س ٤ "أى ليانه" بدلا من "قال كتيابه" . [وما أعتدناه هو الصواب كما تراه في تفسير الرازي وغيره] .
- ص ٥ س ٥ جميع الوارد في هذه الصفحة ناقص في سـ وهو موجود في الحلية مثل ما هو في صـ ، مع بعض اختلاف وقع من النسخ الحلي .
- ص ٧ س ١ إقتصصر صاحب الحلية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم أبتدأ الكلام بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للكل إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف" . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا وبذلك أتمدته في هذه المضافين] .
- ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل سـ] بدلا من "عبد الرحمن" [الذي أعتدناه عن صـ] .
- ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسماعيل" . [فكان ناسخ الحلية آتفق مع ناسخ سـ إلا في وضه لفظة "الملك" في موضع البياض الذي تركه صاحب سـ ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

- [illegible]

- ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سياً" فقد تواقنا مع الحلية في إضافة أداة النفي. ولكن الحلية عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيا" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آنفقت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأتخر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية ٤ ثم ص ٤ ص ١٥٧] .
- ص ٤٦ س ٨ لا يسوا عليا يتطليب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلية جميلة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك] .
- ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين الملوك والسوقة فرق" .
- ص ٤٨ س ٢٠١ "وإبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد "بدلا من" وهذا إبراهيم بن المهدي بالألف دخل على ابن أبي دؤاد. [فأنفق سه وصه على أن الداحل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلية. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما آتتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة] .
- ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وإن" ...
- ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حدّ العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" ... [وررواية الحلية أحسن وأتمن] .
- ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال منه" بدلا من "هاتان منه" ... [وعندى أن رواية الحلية أكثر حسنا وأتم بيانا] .
- ص ٥٠ س ١٣ "ولا يبه اللهم إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلية في غاية الجمال] .
- ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك العبد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب" ...
- ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملة". [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأمة" الواردة في سه. وقد استحسنّت "الملة" الواردة في سه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ] .

- ص ٥٢ س ١ "غيره" بدلا من "السوقة" "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهذان الروايتان أحسن مما اعتدناه من سـ و صـ].
- ص ٥٣ س ١٣ و ١٢ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقرم وأحصى منها إلى فوائد". [ولا شك أن رواية الخلية محترمة وصوابها "أقرم وأنهم إلى فوائد". وتأمل الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "فأرتاع من حضر" بدلا من "فأرتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يق" بدلا من "يتق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السخافات كثيرة في الخلية].
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وطلاته". [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب اعتناؤه في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أركم أيه" بدلا من "باسم أيه". [ورواية الخلية أكمل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن لا". [فكانت زيادتنا طرف النفي موافقة لما في الخلية].
- ص ٩٥ س ١٥ "التبالة" بدلا من "التالة". [وهذا التصحيف فيه تبالة من التامح].
- ص ٩٦ س ٣ "فأمتن بعض الملوك" ... [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سـ أيضا . والرواية الصحيحة هي الواردة في صـ ، وهي التي اعتدناها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساء اللواتي" بدلا من "إلى بساتنه الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "التبالة" بدلا من "التالة" ... [وهو تبالة لأن من ناسخ الخلية].
- ص ٩٩ س ٩ "بيد لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نيته لفيرطة" ... [ورواية الخلية رجيحة جدا وواجبة . فينبى اعتناؤها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التناقل" بدلا من "السُرُّ التناقل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك ...
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا ...
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاؤوا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ فقام ... " [وهذه الزيادة يقتضيا السياق . فلتحد في طعن].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقمعد فرب ... [' > > > >] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله" ...
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسلطان" بدلا من "والخطوة عند السلطان". [ولعل رواية الحلبة أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سره ، صرح فناء الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فيتراطآن على كذب" بدلا من "فيتراطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بيد على الأفراد لا يشك أنه" ...
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الحلبة حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هلل الحمداني" بدلا من "مهمل الحمداني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "و[قد]". [فتصحيحنا جاء موافقا لما في الحلبة].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردى" بدلا من "كريمي". [ورواية الحلبة أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتخفيف].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجد" ... [وزيادة أداة النفي هنا وجبة ومتحتمة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أغس الملك". [ورواية الحلبة جيدة والاصح أعيادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك قريبا عنده ^ف

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نبيك". [ورواية الخلية مقلوبة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها طادت فسمته عيسى بن نبيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لثى. هو فيه لم ندر" بدلا من "لثى. آخر لا ندرى" ...
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "شاهرة أو مسافاة". [ورسالة الخلية ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المؤن".
- ص ١٤٧ س ٤ "موائيد" بدلا من "موائيد".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يَجِدُّه ... يجتدها" بدلا من "يَجِدُّه ... يأدبها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجرد أنهم المشاق" بدلا من "وجرد القرم التهم المشتاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لثة الطعام وطيبته" بدلا من "لثة الطعام وأطيبه". [ورواية الخلية أطيب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الخلية أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة . فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما برة" ... [ورواية الخلية أجود وأكمل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فلذا ذهب روثه وبعض ما به رى" ... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص . والماء هنا بمعنى الرقيق والبهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأجوار النعيسة . ويجوز فلا يكون هناك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الغلط باحتمال أن "مائه" محروقة عن "بهائه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا فريدا ... [ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من التامع بدل على مجزء].
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف" ...

- ٧ س ١٥٩ "من ملوكهم قبله وبعده" ...
- ١ س ١٦٢ في الملكة بالباطل ...
- ٧ س ١٦٣ "النفس الكبير" بدلا من "النفس الدارمكة". [ورواية الخلية ربما لا تزال الإيهام].
- ٣ س ١٦٥ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيك".
- ٣ س ١٦٦ "فاخذ التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- ٢ س ١٧١ "وحدثني أبو الترب الشاعر : كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما. فقال، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي : تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فاخبرني بشيء من أمر متلى جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعتي قلا عن "المحسن والمساوي" لليق . وليس
- ين رواية الخلية وين رواية اليقن خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدري صحته
- أمر أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعتي فهي أصح وأوجه .
- ١٢ س ١٧١ "وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [ومنا وقفت الخلية مبنوة].

التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكاييد"

المنسوب للمحافظ

ذكرتُ هذا الكتاب في "التصدير" وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي
حليت بها "الناسخ".

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوّف إلى الإلمام بشيء عنه . فذلك رأيت
أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيا أعلم - بخزانة الكوبرلي
بالقسطنطينية تحت رقم ١٠١٥^(١) .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" عبارة بخط حادث هذا
نصها . "تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" . ثم جاء رجل آخر فأبد هذه الرواية
إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغاير خط النسخة من أولها إلى
آخرها ، وهي "للمحافظ رحمة الله عليه" .

ظننتُ أنني ظفرتُ بذرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرد بها الجاحظ . فأنشأتُ
أنصقح الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن
الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) قلت بالتصوير الشئ نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وفصا :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أفتح الحمد كتابا ، وفتح المد إذا رافى إليه باما ، قسم بين خلقه فطورا أطوارا وتحريبا أنسابا . أخذ فيهم سببه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شيء أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتته وإرادته ، يُعزَم من يشاء ، ويُبدل من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وهابا . نحمده على ما أولى وأنعم ، ونصلّي على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرفه وكرمه ! (أما بعد) فهذا كتاب يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الأحرار من كل مَدِين ورفيق وما تحت ثيابه من البُغض والتحاسد . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدرا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لافتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنتين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويأبّد ما بين ابن طولون وكافور الأخشيدى والمتنبي وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب كُما من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حيث لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فاوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسراقات^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا لعمري !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي بابيه مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج العناية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكاييد الفُرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند (» ٤٩ - ٥٤) .

(٣) » الروم (» ٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قَصَرَهُ على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . وأسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السراقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي ضمنناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدى . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! ولعل أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسن عقلاً وشرماً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أمني الفتوح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث أترعها بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آيين ساسان المرتجع له من أيدي الذين أقسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وآله : ”الحرب خدعة“ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند سيره في غزواته ، وخصوصاً ما استعمله في فتح مكة“ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والمقل يمدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يرضاه الدين وينتفع به المسلمون . وأرتفع بهذا وجه الوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .

نحو الكتاب ”تنبيه الملوك“ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ”سليخ ربيع الآخر سنة أربعين وسنة“ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ماتوقنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ”جامع الأخبار“ .

روى ”جامع الأخبار“^(١) أنه سيرة ليلية عاشوراء بخندق الموالي القصرية وأطال التفكير فيها عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من أستيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام عليا في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى يده ، لأنها لمست يد الإمام "على" . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجودا بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الحَآب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى يتره بأن يخدم بمنزله هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض قصائده .

ولا خدعنا منه قط ملاحم * تسدى بأصناف المحال وتلعم .
فأضعها ما كانت فيه رواية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقر في ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو القواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله في "التعريف بالمصطلح الشريف" والقلقشندي في "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها في سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط في سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاءً مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين في أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بنغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحى" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
ممن كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفاتر الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ؛ وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفاتر ،
استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمى أبنته . ثم دس
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .^(١)

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج
كتابه للناس في أنحرىات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثانى من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب
”محاسن الملوك“
لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في ”التصدير“ وفي الحواشي . كُتِبَتْه ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة بكتاب ”التاج“ .

عُثِرَتْ على النسخة الأصلية لكتاب ”محاسن الملوك“ في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما ”محاسن الملوك“ فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طُرْزِهِ أنه ”جمعه بعض الفضلاء“ . وقد آتَبْنَاهُ مؤلفه بعد البسملة بقوله :

”الحمد لله المتعول بالموارف ، الميز بالعارف . وجعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على الخلأف ؛ الأمر بإعظام السلاطين لقيامه بأعباء الإيالة ، وانتصائه لخلق الكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم في العاش الذي هو وسيلة سادهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمد على نفسه“

ثم تَوَهَّ بالملك الذي أُلِفَ له هذا الكتاب وسماه ”مولانا السلطان الملك العزيز“ . وقد نعت المؤلف نفسه ”بالمملوك“ . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكثرت في غضوناتها التوبيخ به إذ قال : ”ولا زال مولانا العزيز“ .

(١) وقد قلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحضرتهما إلى دار الكتب الخديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آنريدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا فمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فأبينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني أيوب، والثالث من سلاطين المالك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية، ولكنه لم يحل على سررها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتعظيم والتعظيم الذي أورده المؤلف، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية، أي قبل أن يأتي هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثاني المسمى "بالمالك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازي الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صبغيا فاتتزع عمه الأفضل الملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعمه العادل . وتوفي الملك العزيز هذا في سنة خلعه، أي ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبها وصحبها، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطولية مما جعل عمه يتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف المملوكانية والنموت السلطانية الواردة في أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر، فإنه هو الذي كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من صداه من أولياء الأمر في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصراحة والبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف “ لأبن فضل الله العمري ، وفي ” صبح الأعشى “ للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز “ وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم استقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمّى الواحد منهم نفسه ” المملوك “ إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المسالك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مصبوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ “ . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يُسمّى ” بالملك العزيز “ . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة أنتساخ الكتاب ، لاسنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت أنتساخه .

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

أدب الوقوف على باب السلطان .	أدب الوقوف على باب السلطان .
أدب من أسدى إليه الملك يدا .	أدب الداخل على السلطان .
أدب من رفع الملك قدره .	الأدب في تتجوزعه السلطان .
الأدب في عازحة الملك .	الأدب في تعهد السلطان خدمته .
أدب الصلاة مع السلطان .	أدب من يجالس السلطان .
الأدب في مساية السلطان .	الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان .
أدب يجاب الملك وجابه .	أدب من يخاطب السلطان .
الأدب في الرسول .	أدب من سأل السلطان عن اسمه .
أدب الملك في منامه .	أدب مؤاكلة السلطان .
الأدب في اتخاذ الكتف .	أدب السلطان في إقامة الحدود والتزير .
الأدب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة .	الأدب في عزاء الملك .
سقاء الملوك .	أدب التزوية بالملوك .
أدب الملوك إذا دهمهم أمر .	الأدب في مسامرة الملوك .
	أدب مناصحة السلطان .

وفي كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع ، تعلقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً واختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان مصر به .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وسمناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى أستخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشى

الأصنام لأبن الكلى (نسخة مخطوطة

مخرانة كنى وجار طبعا بمحقق فى مطبعة
بولاق فى هذا العام)

إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الساقطلى ،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو الساج من المكتبة

الجغرافية العربية]

المحاسن والأضداد لمباحظ طبع العلامة

فان طوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ، فى ٢٠

جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، والجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف بروثو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ

فهارس الأغاني العلامة جويدى وزملائه ، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذله) لأبى على القسالى ، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤ هـ

الأنساب للسحافى ، طبع العلامة

مرجولوث بمدينة لوندريه سنة ١٩١٣



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان اليربى ، طبع العلامة سجاد

المستشرق الألمانى بمدينة ليبسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للزيربى ، طبع

العلامة وستنفلد بمدينة جوتنبرج سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبشارى ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طقات الأدباء =

مصمم الأداة

أساس البلاغة للرمضى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبن الأثير

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبن دريد ، طبع العلامة وستنفلد

بمدينة جوتنبرج سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسببات الواردة فى التصدير . فكتبه لذلك .

ب

- كتاب البخلاء لمحاظ طبع العلامة فان طوزن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠
بدائع الزهور في وقائع الزهور لأبن
إياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ
برهان قاطع (معجم فارسى قله عامم
افندى إلى اللغة التركية)، وأسمه
تيان نافع في ترجمة برهان قاطع،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ
مختصر كتاب البلدان للهمداني المعروف بأبن الفقيه،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٢ هـ وسنة ١٨٨٥ م
[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]
كتاب البلدان لليعقوبى، طبع العلامة جوينول
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠
البيان والتبيين لمحاظ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

ت

- تاج العروس في شرح القاموس، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ
تاريخ آبن خلدون = كتاب
العبر اتخ
تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبرى، طبع العلامة
ده جويه وزسلامه بمدينة ليدن
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك
تاريخ أبى الفداء = المختصر في أخبار
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة
شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة

تقريب التهذيب لمحاظ المسقلاني طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزى، طبع
ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودى، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ [وهو
القاموس من المكتبة العربية الجغرافية]

تنبيه الملوك والمكاييد، منسوب لمحاظ.
[ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية،
منقولة بالمتوغرافيا عن مكتبة الكويرلى
بالقسطنطينية]

ح

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
للسيوطى، طبع حر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع

الحجاسة (شرحها القبريزى)، طبع العلامة فريتاغ
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيوان لمحاظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموتى (كتاب في النحر) طبع
القاهرة، مرارا

خزانة الأدب البندادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطوط القرظى، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ، وطبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق، طبع العلامة بوشير ومعه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية في باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأمالى للقال = الأمال

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تخليل بن شاهين الظاهرى، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع في عدوات الأتباع
لأبن ظفر الصفل طبع الحجر في القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعرفة العلامة ميشل أمارى الطليانى، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

سيرة ابن هشام، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥، وطبع
السلامة وستفلا بمدينة جوتنن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبى
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد السكرى
المعروف بأبى الهادي الحبيل [مخطوط
بدار الكتب الخديوية مرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للنفاسى، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقاتشندى (الجزء الأول)، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥

الصباح لجورمى، طبع بولاق سنة ١٢٨٢

صحيح البخارى، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكى، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبن سعد، طبع العلامة
مخار وملايه بمدينة ليدن من سنة ١٢٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن ٠]

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن النديم، طبع العلامة قلو جل

بمدينة ليسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكر الكنتى، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

ق

القاموس للفيروزابادى، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

ك

الكامل فى الأدب للبد، طبع العلامة ريت

المستشرق الإنكليزى بمدينة ليسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

نوربرج بمدينة لندن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العريسة للكتور ديا لدى طبع مدينة

نابول سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة، طبع العلامة ده ساسى بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة، طبع الصلابة الأب لويس

شيوخ بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طراز المجالس للمزجى، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

ع

كتاب العبروديان المبتدا والخبر فى أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوى

السلطان الأكبر لأبن حلدون، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للقرطوبى، طبع العلامة وستفيلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن مقذ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربه، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لأبن

أبى أصيبعة، طبع العلامة أغسطس ملر

فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

غ

غرر أخبار الفرس وسيرهم للعالمى، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،

باريس سنة ١٩٠٠

ف

فتوح البلدان للبلاذرى، طبع العلامة ده جويه

بمدينة لندن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البندادى، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

﴿ ل ﴾

لسان العرب لأبن المُكَّرم المعروف أيضا
بأبن منظور، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -
١٣٠٨ هـ

لقف القنطاط في تصحيح ما تشمله العامة من
المعرب والدخيل والمؤلف والأغلاط، للسيد
حسن صديق خان صاحب مملكة بهو بال
بالهند (وطيه هواسل السيد نور الحسن)
طبع، حجر بالهند سنة ١٢٩٦

﴿ م ﴾

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع
القاهرة حديثا سنة ١٣٢٥ هـ
المحاسن والأضداد، المنسوب للجاحظ،
طبع العلامة قات فلورن بمدينة ليدن
سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبدن الفضل [نسخة محفوظة
بدار الكتب الخديوية قلا بالقنطرة
عن الاصل المفوظ بجزيرة طوبقو
بالقسططينية]

المحاسن والمساوى لإبراهيم بن محمد البيق،
طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن
سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للأغاب الإصفهاني، طبع
محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف
بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

محاضرة الأوائل وسامرة الأواخر لعل
دده، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠
المخصص لأبن سيده، طبع بولاق سنة ١٣١٦
- ١٣٢١

مسالك الممالك لإبراهيم الإسطخري المعروف
بالقاري، طبع العلامة ده جويه بمدينة
ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة
الجغرافية العربية]
تجارب المسالك والممالك لأبن حوقل، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٣ [وهو
الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن آبن خرداذبه،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو
السادس من المكتبة الجغرافية العربية]
المشتبه في الأسماء للهيم، طبع العلامة
ده يونج بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

مطالع البلود في منازل السرور لعل الدين
عل الهائي الفزولي، طبع القاهرة
سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة، طبع العلامة وستفيلد بمدينة
جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لبد
الواحد المراكشي طبع العلامة دورى
بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لباقوت الحموى طبع العلامة
مربوليوت بالقاهرة، من سنة ١٩٠٧
[ولا يزال العمل جاريا الآن]

﴿ ن ﴾

نقائض جرير والفرزدق طبع العلامة بيثن

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،

لأبى المحاسن قنرى بردى ، طبع العلامة

جُونُولَ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية فى غريب الحديث لأبن الأثير، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنورى،

[عن النسخ المنقولة بالقتوغرافيا المحفوظة

بدارالكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرح لأبن أبى الحديد ، طبع

القاهرة سنة ١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط فى تراجم أدياء شقيقط للرحوم الشيخ

أحمد الأمين الشقيقط ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى

طبع مدينة أستر دام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرشاردصن ، طبع لوندرو سنة ١٨٢٩

المعزب من الكلام الأجمى لجوالقى طبع

العلامة صفار بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم لسبكي ، طبع لوندرو

مفاتيح العلوم لخوارزمى ، طبع العلامة فان

هولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكير] طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة آبن خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضجى [نسخة مخطوطة بدارالكتب

الخديوية قلا بالقتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بمنزلة طوب قبر بالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع حجر بالقاهرة فى ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبيجدى الثانى
بأسماء المصنفات المذكورة فى متن الكتاب أو فى حواشيه وتكميله

الأنطى (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصل)	كتاب الآباء والأمهات لأبى حسان الزيدى
وأصله بما يقال لأبيه وأبى جامع وأبى العرواء ، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطط عليه . ونسبه المسودى له)	كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجلبانى (وأنظر كتاب الزيادات فى هذا الفهرس)
كتاب ألقاب الشعراء لأبى حسان الزيدى	آيين الأكاسرة
كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ فى صفحة ١٤٠ وهو غير الذى ألفه هو]	آيين الفرس
بدائع البدائى لأبى ظافر الجمهرة لأبى دويد	آيين ابن المقفع
درة القواص للريرى ، طبع الجوانب بالقسططينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع ليسيك سنة ١٨٧١ م	كتاب أخبار الأكسلة للداوى
الزيادات فى كتاب آيين فى المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجلبانى (وأنظر كتاب آيين له)	كتاب أخبار زياد بن أبيه للهم بن عدى
شرح العيون لأبى نباته طبع بولاق	أخبار زياد بن أبيه للداوى
كتاب طبقات الشعراء لأبى حسان الزيدى	أخبار ولزياد بن أبيه ودعوته للداوى
الكشاف [وحاشيه] تفسير القرآن للرخصى ، طبع مرارا بالقاهرة	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]
مسالك الأبصار لأبى فضل الله العبرى	الأدب الكبير (لأبى المقفع ، طبع الأدب الصغير) أحمد زكى باشا
معجم الشعراء للزبانى [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]	الأنطى (كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذى لأبى الفرج الإصبهانى)
كتاب مغازى عروة بن الزيد لأبى حسان الزيدى	الأنطى (كتاب ذكره المسودى ، وهو غلاف الذى لأبى العرج)
كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص	الأنطى (كتاب لإبراهيم بن المهدي)
كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة للمسكرى	الأنطى (كتاب لإبراهيم الموصل وإسماعيل أن جامع وطبع بن العرواء)

الفهرس الأبيجدي الثالث

بأسماء الرجال المذكورين في "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وحكنا الشأن في الفهارس التالية)



آدم (أبو البشر) ٣٨	كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٠٨٢٤٩٠٩
آزادمررد (حاجب يزيد) ١٢٦٤١٢٥	١٠٩٠٩٩ ٠٩٨ ٠٩٧ ٠٩٤ ٠٩٤
إبراهيم (إلى) ١٠٧٤٩٤٣	٠١٢٤ ٠١١٩ ٠١١٥ ٠١١٠
إبراهيم الحتراني ٣٦٤٣٦	٠١٥٣ ٠١٥٥ ٠١٨٠ ٠١٨١ -
إبراهيم بن السندی بن شاهك ١٢٤١٢	٢٠٣ ٠١٨٥
١٩١٤	أحمد بن أبي خالد الأحول من مشاهير
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن	الأئمة [١١
علي بن أبي طالب ١١١٤ ١١١٤ ٨١	أحمد بن أبي دؤاد [من مشاهير الأئمة ١١]
إبراهيم بن عثمان بن نعيمك ١٤١	= ابن أبي دؤاد
إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بأبي شكة)	أحمد بن الأمين الشنقيطي ٤٤
١٦١ ٠٨٥ ٠٤٨ ٠٤٣ ٠٤٢ ٠٣١ ٠٢٣	أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي
إبراهيم الموصلي (المتوفى) ٣٦٤٣١ ٠٢٣	الأمير أحمد بن سهل ٨٩
٠٣٨ ٠٣٩ ٠٣٩ ٠٤٠ ٠٤١	أحمد بن عبد الرحمن الحتراني ١٣
٤٢	أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني ١٩٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٣١٠٣١
٤٤٣ ٤٤٢ ٤٤٣ ٣٩ ٣٧ ٣٢
١١٠٤٥٤٣

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الجمالى [من مشاهير الأئمة] ١١
أسد بن عبدالله (والى خراسان) ٢١٠
الإسكندر (ذوالقرنين) ١٩٠٢٩٠١٠٩

١٢٣

أسماء بن خارجة الفزارى ٦٠٠٦٠٠
إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع
أسيد بن عبدالله الحزاعى ٣٣٠٣٣
الأشديق ١٩٩٠١٩٨٠٦٦ = عمرو
ابن سعيد بن العاص

الأشعث ١٦١

الأصمعى ١٥٥٠٤٤

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦

الأعشى (شاعر تميميان) ٨٤

إمرؤ القيس ٤٥٠٣٨

الأمين (الخليفة العباسى) ٣١٠٤٢٠٣١٠٧٤

١٩٤٠١١١

ابن أنس = السيد بن أنس الحميرى

الأب أنطون صالحانى اليسوعى ١٢٢

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨٠٣٨٠٤٦٠٤٥٤

٥٤٠٦٢٠٦٢٠٦٣٠٦٤٠٩٠

١٠١٠١١٩٠١٢٤٠١٣٨

١٤٩٠١٥٣٠١٥٥٠١٥٨٠٢٠٠

إيتاخ ١٢٧٤١٢٧

الأحنف (واسمه أبو جبر الضحاك بن قيس)

وهو المشهور بالحلم ٣٩٠٣٩٠١٩٩

الأخوص الشاعر ١٤١

أبو أحيحة ٤٧٠٤٧٠١٩٦ = سعيد بن
العاص

الاضطل الشاعر ١١٠٠١٣٢٠١٣٢

١٧٥٠١٣٣

ارادمرود (حاجب يزدجرد) [صوابه آزادمرود]

أردشير بن بابك ملك الفرس وأزلك بنى ساسان

٢٥٠٢٥٠٢٤٠١٥٠١٣٠٢٤٠٢٥

٢٧٠٢٨٠٢٩٠٢٩٠٢٨٠٤٧٠٥٤

٥٥٠٨٩٠١٢٢٠١١٨٠١٢٤٠١٢٤

٩٠١٥٨٠١٥٥٠١٥٣٠١٤٩

١٦٣٠١٦٧٠١٦٨٠١٦٩

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس) ولعله

الأردوان الأصفر ٣٩٠٢٩٠١١٨٠١٥١

الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهوابن

بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية

الذى تله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك فارس) ٢٩

أزلك (الأتابكى) وهو منى الأزيكية

بالقاهرة) ٧٨

أسامة بن منقذ ٢٠٦

إسحاق ١٧١ = إسحاق بن إبراهيم المصعبى

إسحاق بن إبراهيم المصعبى (حاكم بغداد فى

أيام المأمون) ١٣٠١٣٠٣١٠٣١

١٧٠

﴿ ب ﴾

بَابُكَ الْخُرَيجِي ١٢٧	بُقَيْلَة = ثعلبة بن سنين
بَابِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ ٦٠	أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٨٦
أبو بحر الضمحاك = الأحنف	أبو بكر الملقب ١٩٩٤ ١٩٨٤ ١١٤٤ ٥٨
ابن بَحْتِيشُوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٤ ٢٧	بلال بن أبي بردة [من مشاهير الأئمة ١١]
برصوما الزاهر (رأسه إسحاق) ٣٩٤ ٢٨	ثم ١٩٣٤ ٢٠ ٢٠
٤١٤ ٣٩	بندار بن خورشيد ٥٥
أبو البرق الشاعر ١٧١	بهرام جود بن يزيد (ملك القرس) ٢٨
بسرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١	٦١١٩ ٦١١٨ ٦١٠٠ ٦٣٣ ٦٣٠
بَشَّارُ بْنُ بُرْدِ الْأَعْمَى (الشاعر) ٨٦	٦١٤٩ ٦١٢٥ ٦١٢٤ ٦١٢٠
بشر بن عبد الملك بن مروان ٦٠	٦١٦٤ ٦١٥٩ ٦١٥٣ ٦١٥١
بطرس غالي باشا رئيس بحارس النظام وظاهر	٦١٧٨ ٦١٧٧ ٦١٦٦ ٦١٦٥
الخارجية كان ١٥٦	٢٠٩ ٦١٨٠ ٦١٧٩

﴿ ث ﴾

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨	ثمثامة بن أنثرس ٢١٠ ٦١٩٠
ثعلبة بن سنين المشهور بـ ثعلبة (ويُسَمَّى أيضا	
الحارث) ٨٢.	

﴿ ج ﴾

الجاحظ (ف بواضع مفرقة من حواشي	جبريل (الملك) ٢٤
الكتاب وتكثير الروايات)	جبريل بن بَحْتِيشُوع (الطبيب) ٣٧
الجارود بن أبي سبرة (يرثب بابي معفل)	جبر بن الحطاف (الشاعر) ١١٠ ٦٨٦
١٩٣٤ ٢٠	١٣٣ ١٣٢
إبن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨ ٣٦ ٢٣	إبن جبريل الطبري ٢٠٩
٤١٤ ٢٩ ٣٩ ٣٨	جبر بن عبد الله البجلي المصباحي ١٢٤

أبو جعفر = المنصور (الخليفة العباسي)	أبو الجعد بن درهم مؤيد بن غفلة ١٠٧
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب	٢٠٤
المالكي = ابن الحاجب	جعفلة بن هبيرة ١٩٥
جندب (اسم عبري) ٣٨	ابن جعفلة ١٠٦ = ١٠٧٦ = سعيد بن عمرو
الجهم = محمد بن الجهم	ابن جعفلة بن هبيرة المخزومي
الجهم العدوي ٨٩	جعفر بن سليمان بن علي ١٠٤
	جعفر بن يحيى البرمكي ٤٨ = ٦٦٦ = ٦٧٦
	١٤٢٦ = ١٤١

(c)

أبو حسان الزياتي ٤٨٤ ١٩٦٦	أبو حاتم السجستاني ٢٠٩
١٩٧٤	حاتم الطائي ٤٢
السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قلعة القاهرة ١٥٦	حاتم الكيال [لعله حفص الكيال - وهو من مشاهير الأئمة] ١١
أبو الحسن بن أبي بكر العلاف [من مشاهير الأئمة] ١١ (وأنظر ١٨٩)	إبن الحاجب المالكي ١٦١
الحسن بن سهل ٥١	الحارث = ثعلبة بن مثنين
حسن صديق خان (ملك جهول بالهند) ١٩	الحجاج بن يوسف الثقفي [من مشاهير الأئمة] ١١ ثم ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢٠٨	أبو	الخطيئة (الشاعر) ٢٠
حمزة (الحارثي) ٢٠٥		حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير
حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤		الأئمة] ١١٦١١
حنين (المنفي البادي) ٨٤		حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة
خوشب (اسم رجل في بناء) ٨٢		معاوية) ٨٩

﴿ خ ﴾

خرابة ٢٠١ [وصوله : أبو حنيفة]	ابن	أبو خارجة [من مشاهير الأئمة] ١٩٠
الخطفي		خالد بن صفوان ١٩٩
والخيطفي		خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧
خلف الأحمر ١١٧		خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢
الخيزران (أم الرشيد) ٨٥		خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية)
		٢٠٠٦٥.

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأئمة] ١١	ابن	دأب ١٧٦٤ ١١٦٦ ١١٧٤ ٢٠٥٠
دين أبي دؤاد القاضي ١٦١٤ ٥٠٤ ٤٨		داود (النبي) ٨٨
دورق القصاب [من مشاهير الأئمة] ١١		داود بن أبي داود ٥١

﴿ ذ ﴾

أبو ذبان = عبد الملك بن مروان

﴿ ر ﴾

رسته (غلام كسري أبرويز) ١٨١	الربيع بن خيثم ٨٩
١٨٣ ١٨٢	الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٤١٦ ١٢

الروح الأمين = جبريل	الرشيد (الليفة المباسي) ٢٣٦٣٧٦٢٧
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامى	٢٨٦٣٩٤٠٤١٢٤٣٤٣
(وكنيته أبو زربة) ٦٠٦٠٦١٣	٤٦٤٥٠٤٥١٦٦٦٨٠
١١٧٠٦١٣٠٦١٣١٩٩	٨١٦٨٥٨٧٦٩٣٦٩٤
روح بن القاسم (من المحدثين) ٦٠	١١١٦١٩٦١٤١٦١٤٢
ذر الراسين = الفضل بن سهل	١٥٣٦١٥٤١٧٠
رسول الله = محمد	ذر الرمة (الشاعر) ٢٠٦٢٦
	رؤبة بن العجاج ٦٠١٠١٩١

﴿ ز ﴾

زهير بن أبى سلمى (الشاعر) ٣٨	زاذان فروخ الأعور ١٩١
زين الزيات (الوزير المباسي) ١٦١	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زياد بن أبيه ١٥٠١٥٠١٦٩٠٢٠٦	الزجاج (النحوى النوى) ٨٦
زيد البلخى ٨٩	زوزر (الغنى) ٤٣٤٤٤٤٤
زيد (مولى عيسى بن نبيك) ١٤٠١٤١٤٢٠١٤٢	زول (منصور الضارب بالعود، من آلات الملاهى)
زيد مائة ٣٩	٣٨٦٣٨٦٣٩٤٠٤١٤٢
	زهران [من مشاهير الأكلة] ١١

﴿ س ﴾

سعيد بن العاص = أبو أحيحة	سابور ذو الأخفاف (ملك فارس) ١٥٠
سعيد بن عثمان بن عفان ٨٩٠٢٠٣	١٦٦٣٧٣١١٨٠١٥١٩٢٦
سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة	سبطيح (الكاهن) ٨٢
المخزومى ١٠٦	سعيد بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)
سعيد بن مرة الكندى ٨٧٠٨٨	الباهلي ٤٠٤٠٤٠٤٠٨١
	١٩٨٠٢٠٣

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤	سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان البصري) ٤١٤٤١
سليمان بن سلامة ٣٩	السفاح (الخليفة العباسي) ٣٥٦٣٤٦٣٣
سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي [من مشاهير الأئمة ١١] تم ١٠٣٦٣٢	٤٨١٤٨١٤٥٩٤٥٨٤٥٨٤٣٧
١٥٥٤١٥٤١٥٢٤١٠٤	٤١٠٨٤١٠٦٤١٠٣٤٩٢٤٨٢
سليمان بن مجالد ٢٠٤٤١٠٨	٤١٥٤٤١٥٢٤١٢١٤١١٤
سليمي (اسم محبوبة) ٣٦	٢٠٤٤١٥٥
السَّمْع = شرحيل بن السمط	أبو سُفيان ٥٦
سفيد (منارب بالود، فارسي) ٤٠	سلم بن زياد ١٩١
السيد بن أنس الحنظلي ٨٨	سلمي ١٩٨ (هو اسم أبي بكر الخليل)
	سلمي (اسم محبوبة) ٣٨
	سليم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٢٩
	سلم بن مجالد (صوابه سليمان)

ش

شكلة (هو أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣	الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠
شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام كسرى أبرويز) ١٨٠٤١٨٠٤١٨١٤١٨٥٤	شاه بود = سابور
شهر يار = شهر براز	شبابه (من رواية الحديث) ٤
شهر يزد (هو مخلف من الناجين لاسم شهر براز)	ابن شربة ٨٤
شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥	أبو شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي
شيخو (الأتابكي سيف الدين العمري، صاحب المسجد المشهور باسمه الآن في القاهرة) ١٥٦	شرحيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب في كتبهم "شيري" أيضا) ٩٤٩٠	شرحيل بن السمط (ركن أبي السحر وأبو يزيد) ٧٩
١١٠٤١٠٩٤٥٥٤٥٠	الشرقي بن القطامي أو شرقي بن القطامي ١١٥٤١١٥
شيري = شيرويه	القاضي شريح ١٦١
	الشعي ١٩٧٤١١٤٥٥٤

﴿ ص ﴾

صباح بن خافان المِثْقَرى ١١٠، ١١٠، ٢٠٥	الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين الأيوبى
---	--

﴿ ض ﴾

ضرار بن عمرو (من سادة ضَبَّة) ١١١	الضحاك = الأحنف ضرار بن الشماخ (ويلقب بمزرد) ١٩٠
-----------------------------------	---

﴿ ط ﴾

طويس (الْمُثَنَّى) ٢٠٣، ٨٩	طاهر بن الحسين ١٩٤، ٣١ طاهر ذو اليمينين ٧٤
----------------------------	---

﴿ ع ﴾

عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن سُكَيْرِز الْقُرَشَى ٢٠	عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العادل الأيوبي [سلطان مصر، من مشاهير الأئمة] ١١
عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى نُرَاسان) ٥٩	أبو العالية [من مشاهير الأئمة] ١١
عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢	عائشة أم المؤمنين ٦١
عبد الرحمن الحِزْزَانى ١٣	الحاج دُبَّاس حلى الثانى خديو مصر ١٥٦، ١٥٧
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩	الدَّبَّاس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨
عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس ٢٠٨	أبو الدَّبَّاس = السفاح
عبد الرحمن = عبد الله بن عمرو بن الخطاب أبو	أبو الدَّبَّاس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤
عبد الظاهر (صاحب كتاب انقطاع الذى يروى عنه المقرئى) ٦٤	أبو الدَّبَّاس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعى
	أبو الدَّبَّاس (كنية قُرْعُون موسى) ٤

عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٨١٦٨١
عبدالله بن الزبير ١٩٨٦٥٦٠٦٠٥٩
٢٠١
عبدالله بن طاهر (كنيته أبو العباس) ٧٤
١٥٠
عبدالله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن
أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق
عبدالله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المصور
العباسي) ١٤٣٦٥٩
عبدالله بن عمر بن الخطاب ١٣٠٦٦٠
١٣١٦١٣٠
عبدالله بن مالك الخزازي ٨١٦٨٠
٩٣٦٩٢
عبدالله بن محمد بن أيوب التيمي
(شاعر الأمين) ١٩٤
عبدالمسيح بن عمرو بن حيان بن بقلعة
الغسان ٨٢
عبدالمملك = مروان بن محمد الجعدي
عبدالمملك بن صالح الهاشمي ٨٥٤٤٨
عبدالمملك بن مروان (الخليفة الأموي)
٦٠٦٥٩٦٥٠٦٤٧٦٣٦٦٣٢
٦١١٧٦٩١٦٩١٦٥٦٦٥
٦١٣٠٦١٢٠٦١١٩٦١١٩
٦١٣٣٦١٣٣٦١٣٢٦١٣١
٦١٦٩٦١٥٥٦١٥٤٦١٥١
٢٠٢٦٢٠١٦٢٠٠٦١٩٩
عبدالمملك بن مهمل الهمداني ١٣٤
عبدالمملك بن يزيد الخراساني الأزدي
٣٥٦٣٤
عبدالمملك = مروان بن محمد
الجعدي
عبيد (القوي) ٢٤
عبيدالله بن زياد بن أبيه [من مشاهير
الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
عُبَيْة بن غُرَّوان ١٠٩
عَبْدُ أَبِي
عثمان بن شيخ الشيوخ (نفر الدين)
وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين
الأيوبي وكان إليه أمر المملكة ١٦١
عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٥٩
٢٠٣٦١١٩٦٨٦٦٧٩
عثمان بن نَيْك ١٤٢٦١٤١
عدي بن زيد (الشاعر البغدادي من أهل
الحيرة) ٨٤
عُزْرَةَ بن أدية (وهو عروة بن حدير
أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦
عُزْرَةَ بن أدية (شاعر فريش) ١٢١
عز الدين (وهو عبدالعزير بن عبدالسلام
المشهور ببطان العلماء) ١٦١٦٢٢
العزّي (من آله العرب) ١
عقيل ١٩٥
عُقَيْل ١٣٢
ابن أبي

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ٢٠٢٤٢٠١٦٦٥٦٥٦٥٩	العكى ١٤٣٤١٤٣
عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٤٥٣	علويه الأعسر (وهو أبو الحسن ط) بن عبد الله بن سيف ٤٤٤٤٣
عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأئمة] ١١	علي بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق) ٨٨
عنيسة بن إسحاق (وال مصر) ١٩٧	علي بن أبي طالب ٤٧٩٤٥٩٤٥٥
عنيسة بن زياد (له مصحف من عبيدة أبن زياد) ١٩٠ (أنظر ١١)	١٠٩ ١٢٤ ١٦١ ٢٠٤ ٢٠٨
أبر عون = عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدى	ذو العمامة = أبو أحيمة سعيد بن العاص عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٤٤٤
أين عياش ١١٤٤٥٩٤٥٩٤٥٨	٨٨٤ ١١٩ ١٦١ ٢٠٨ ٢٠٨
عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي ٨٣٤٨٢٤٨٢	عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى) ٣٣ ١٦١٤١٥٥٤١٥٤٤١٥٢٤٩١٤
عيسى بن مهيك ١٤٢٤١٤١	عمر بن هيرة الفزارى ١٤٧
عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = أين دأب	أين عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب عمر والغزال ٣٩

غ

فلقاء بن الحارث = الموسوس معديكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرحبيل بن الحارث.

ف

الفراء ١٢٣	أد مير الفتح بن خاقان (الوزير العباسى، الذى ألف المحظ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٤٤
أبو الفرج الأصبهاني (صاحب كتاب الأمان) ٢٣٤٢٢	نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ
فرخان (أخو شهر براز) ١٨٣	

الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠	الفرزدق (الشاعر) ١١٠ ١٢٣ ١٤٧
فليح بن العوراء (المتن) ٢٣	فرعون (ملك مصر) ٣
فورسكال (مالم بناتى سويدي) ١٩٥	الفضل بن الربيع (من رجال آل الرشيد والأمين) ١٤٢ ١٤٤
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠	الفضل بن سهل (ذوالياستين) ٤٨ ٤٩ ٤٩

ق

القرنين = الإسكندر	قاسم القمار [من مشاهير الأئمة] ١١١ ١٨٩
القطامي = الحصين الكلبي	القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩ ٤٩
قف الملقم [من مشاهير الأئمة] ١١	أبو القاسم الكعبي ٥٨
قلافس الإسكندري ٢٠٧	قايتباي (سلطان مصر الشهير بآثره الجليسة في خدمة العلم والأدب والفنون الجلية) ٧٨ ١٥٧ ٢٠٢
قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦	أبو قباد (ملك الفرس) ٧٨ ٧٨ ١٠٥ ١٠٥
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري	١٠٦ ١٠٧ ١١٨
٢٠٤ ١٠٩	قباد بن فيروز بن يزدجرد ١٥٥
	قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ٦٦ ٦٦

ك

كشاسف (لهذا يستألف ملك الفرس) ١١٩	كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨
كيومرث ١٨	كسرى ١٦٦ = كسرى أبريز
	كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

ل

لقمان الحكيم ١٩٦	اللات (من آلهة العرب) ١
لوط بن غنم ٢٠١	لطم الشيطان = عمرو بن سعيد بن
الاب لويس شيخو اليسوعي ١٢٨	الماص الأشدق

(۱۲)

19967067.

المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٢٣
 ٦١٢٧٦ ١٢٠ ٦٨٦ ٦٨٦ ٦٣١
 ١٨٦٦ ١٥٥ ٦١٥ ٦١٥ ٦١٥ ٦٢٧
 المعتصم بن عباد (صاحب إشبيلية بالأندلس)
 ١٦٦
 المعتصم على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠
 معد يكر ب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
 المُفسرة ٨٨
 أبو مفضل ١٩٢ = الجارود بن أبي سبرة.
 مقاتل بن حكيم العتي ١٤٣ = العتي
 مقدم (من رواة الحديث) ٤
 المُقَفَّع ٢٤٦ ١٩
 ابن مناة (من أمة العرب) ١
 ابن مناذر (الشاعر) ١١٧
 منذر بن سعيد البلوطي قاضي فضاء
 قرطبة ٢٠٨
 المنصور (الخليفة العباسي) ٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة العباسي) وأسمه
 عبد الله بن محمد (١٢ ٦٣٤ ٦٣٥
 ٦١١٠ ٦٩٤ ٦٨٣ ٦٨١ ٦٥٩ ٦٣٧
 ٦١١٢ ٦١١٢ ٦١١٦ ٦١١١
 ٦١١٦ ٦١١٥ ٦١١٤ ٦١١٤
 ٦١٤١ ٦١٤١ ٦١٤٠ ٦١٤٠
 ٦١٥٥ ٦١٥٤ ٦١٤٣ ٦١٤٢
 ٢١١٦ ١٩٧ ١٧٦ ١٦٩
 منصور زلز = زلز
 منصور الضارب بالسود = زلز

مروان الحار، مروان الفرس =
 مروان بن محمد الجعدي
 مروان بن محمد الجعدي (آخر خلفاء بني
 أمية بالشرق) ١٠٦ ١٠٦ ٦٣٤ ٦٣٢
 ٦١٥٥ ٦١٥٤ ٦١٥٣ ٦١٤٠ ٦١٠٧
 ١٧٦ ١٧٥
 مزود ولله مصنف عن مزود [من مشاهير
 الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
 المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) ١٦٢
 مسرور (خادم الرشيد، وكنته أبو هاشم)
 ٦٦ ٦٦
 أبو مسلم الخراساني (صاحب الدعوة العباسية)
 (وأسمه عبد الرحمن، ونيزه أبو مجرم) ٦٢٣
 ٦١٧٦ ٦١٧٦ ٦٨٢ ٦٨٢ ٦٥٩ ٦٣٤
 ٢١١
 المستيب بن زهير السبي (من رجالات
 المنصور العباسي) ١١١ ٦١١
 مصعب بن الزبير ١١٠ ١١٩
 معاذ الطبيب (المنفي) ٣٦
 معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي [من
 مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٤ ١٥٠ ١٤٦
 ٦٥٦ ٦٥٥ ٦٥٥ ٦٤٦ ٦٣٢ ٦١٥
 ٦٨٩ ٦٨٨ ٦٧٩ ٦٧٩ ٦٦٠ ٦٥٧
 ٦١١٩ ٦١٠٩ ٦١٠٣ ٦١٠١
 ٦١٥٥ ٦١٥٤ ٦١٣٦ ٦١٢٠ ٦١١٩
 ٢٠٦ ٢٠٤ ١٩٩ ١٧٥ ١٦٩

هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]	هرثة بن أعين ١٩٤
١١	هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة
هلال بن مسعر التيمي = هلال بن	الأموي) ٣٣ ١٠٦٦ ١٠٧٦
الأسعور "زوجه" [من مشاهير الأئمة] ١١	١١٢ ١٤٠٦ ١٥٢٦
أبو همام السنوط (أو السوط) [من مشاهير	١٥٤ ١٧٦٦ ١٩٨٦
الأئمة] ١٨٩	٢٠٦٢٠١
الهيثم بن عدي (من أكابر مؤلفي المسلمين	هلال بن الأسعر (أو ابن أشعر أو ابن
في النصر الأول) ١٤١٥	مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١١٠-١٩



الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٣٠	الواثق الخليفة العباسي [من مشاهير الأئمة] ١١
١٣٠٦ ١٩٠٩ ١٤٩١ ٨٥٦٠	ثم ١٣ ٢٣ ٤٢٣ ٤٨٦٣٠
١٥٥٦ ١٥٢	١٥٤٦ ١٥٣٦ ١٢٧
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة	أبو وائل ٨٩
الأموي) ١٥٤٦ ١٥٢٦ ٣٣٤٩	ورقاء (من رواية الحديث) ٤
أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤	الوليد بن الحُصَيْن الكلابي = الشرفي
أبو الوليد = ابن دأب	أبن القطامي



يزدجرد (آخر الملوك الساسانية) ٢٨	يحيى بن أكرم ١٦١
يزيد بن شجرة الزهاوي (دكته أبو شجرة)	يحيى بن خالد البرمكي ٨١
٥٧٠٥٦٠٥٥٥٥٥	يزدجرد (ابن بهرام) وهو المعروف بالأنيم والميم
يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)	١١٨ ١١٩ ١٢٤ ١٦٣
٣٢٦٣٠	١٧٧٦ ١٦٤٦ ١٦٣

يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١ ،	أبو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نبيك
١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦١١٩	يستاسف ١١٨
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة	الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،
الأموى) ٩١٦٦١٠٦٦١٥٢٦١٥٤٦١٩١٦	كاشف الكشاف بمصر ١٥٧
أبو يزيد = شرحبيل بن السمط	ذو اليمينين = طاهر

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

بكر = بنو بكر	(أ)
بنو بكر ١١٤ ١١٥٦	الأتراك = الترك
(ت)	الأحامرة ٢٤
الترك ٤٢٦١٩	الأساورة ٤٢٤٦٢٥٢٨٠٢٥٥٥٦
التركان ١٦٦	٤١٦٤٦١٦٣٦١٥٩٦١٠٩٦٧٧
بنو تميم ٦٩	١٩٤٦١٧٣
(ج)	الإسبانيون ٢٦
جرهم ٨٣	الأشكانية ٢٩
(ح)	الأعاجم = العجم
بنو حزم ١٤١	الأكاسرة ١٥١٦٧٧
(خ)	الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية
الخُرَّاسانيون ١٠٧	بنو أمية ٢٠٥٦٢٠٠٦٦٠٦٣٢٦٣١
نُعَازَة ٥٦	أهل الأندلس ١٦٦
الخَزَر ٨٠٤٥٤٦٥٤	الأيوبيون ١٦١
(ز)	(ب)
الراوندية ١٤١٦١١٦٣٥	البرامكة ١٤٢
بنو ربيعة ١٢٣	بقيلة (وظلط من كتب أرنال بقيلة) ٨٢٢ ٨٢٣
ربيعة بن حنظلة ٢٠٦	

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية	الروم ٤٥٥، ٤٨٠، ٤١٨، ٤١٨، ٤١٨، ٤١٨
٤١٠٦٤٤٨٤٣٧٤٣٤٤٢٧	١٨٥٤١٨٣
١٨٦٤١٧٦٤١٥٥	الرويدية (عل سوابه : الزريدية)
بنو عبد شمس ١٩٦	﴿ز﴾
آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥	الزنج ١٨
العجم ١٥، ١٥، ١٥، ١٥، ١٥، ١٥، ١٥، ١٥	بنو زهرة ٢٠٤
٤٥٨٤٣٠٤٣٩٤٣٨٤٢٦٤٢٦	الزويدية ١١١، ١١١
٤١٠٥٤٨٠٤٧٨٤٧٢٤٦٩	﴿س﴾
٤١٢٩٤١٣٥٤١٣٢٤١١٤	ساسان (آل ربنو) ٤٧٤١٨٤٩٤٥
٤١٦٣٤١٤٦٤١٣٩٤١٣٨	٤١٤٥٤١٣٤٤١٠٩٤٩٤٨٣
٤١٦٨٤١٦٦٤١٦٥٤١٦٤	١٦٧٤١٦٥٤١٦٣٤١٥٩
٢١٠٤١٧٤٤١٧٣	بنو سنان ٨٢
العرب ١٥٥٤٣٠٤٢٦٤١٩٤١٥٤١٥	﴿ش﴾
٤١٠٣٤٩٢٤٨٥٤٧٥٤٦٧	شيان ١١٢
٤١١٦٤١١٥٤١١٤٤١٠٨	﴿ض﴾
٤١٤٧٤١٣٥٤١٢٣٤١١٧	ضبة ١١١
٢٠٨٤١٧٦٤١٧٤٤١٧٣٤١٥١	خرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١
العلويون الفاطميون ١٦٢	﴿ط﴾
﴿ف﴾	الطبردارية (طائفة بن جيش الماليك بمصر) ١٦٦
الفرس = العجم	الطوائف (ملك) ١٥١٤١٣٩٤٢٩
الفرنج ١٦١	﴿ع﴾
الفرنسيون ١٠١	عاد ٨٣
بنو قزارة ٦٠	

[illegible]

دائرة جُلْجُل ٤٥	الجبابات = ذوقار
دجلة ١٩٧	الجزيرة (أي ما بين النهرين) ١٠٧٤١٠٦٤٨٠
الدُّخُول ٣٨	﴿ح﴾
دِمَشْق ١٦١٦٣٤	الحجاز ١٢٧٤١١٦٦٦٠
الديار المصرية = مصر	حُلوان (مدينة بالعراق المجسى) ٧٨
﴿ر﴾	حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨
رمل الإسكندرية ١٥٧	يَحْص ٧٩
الرُّها (وعى الآن أرونة) ٥٥	الحِنُو = ذوقار
الرَّوْضَة الشَّرِيفَة (الحرم المدني) ١٣١	يَحْنُوذَى قار = ذوقار
الرى ١١٦	يَحْنُو القراقِر = ذوقار
بلاد الرُّوم ٦٢	يَحْوِيل ٣٨
﴿ز﴾	الحيرة ٦١٦٤٤١٥١٤٨٤٤٨٣٤٨٤٨٢
الزَّاب (بأرض الموصل) ١٠٦	١٦٦
﴿س﴾	﴿خ﴾
ذو السَّرْح (موضع بشقيط) ٤٤	نُحْرَاسَان ٦٥٨٤٤٩٦٣٥٦٣٣٦٣١
ذو السَّرْح (موضع ببلاد العرب) ٤٤	٦١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٦٧٤٦٥٩
ذات السَّرْح (موضع ببلاد العرب) ٤٤	٢١٠٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦
السَّرْحَة (موضع ببلاد العرب) ٤٤	﴿د﴾
سَرَّخَس ٤٩	دار السلام = بغداد
سَرْمَنْ رَأَى (مدينة بالعراق) ٨٤٤٧٨	دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

(۴)

١٤١٦٨٢٦٦٠٦١٥

شبي القناطر = شين القناطر

الشرقية (أحد شقي بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٤٨ (وأنظر ١٩٧)

التَّخْفِيفُ (قُلَّةٌ بِالنَّامِ) ١٦١

۱۱۳۳

شبييت القناطر (مدينة بمديرية القليوبية من

مضر وأسمها الآن شين القناطر) ٧٨

(ص)

۱۷۵۶۵۷

۱۶۱

(7)

غیرستان ۲۰۹

(c)

ذات السجروم = ذوقار

الحريق ٥١٥-٦٠٦٨٤٦٧٨٤٦١٤٢

بلاد الحبيب ۶۷۶۴۴

بإيديه ٢٦

٣٥ (موضع كان بمصر القاهرة)

(ع)

بلاد الغرب ۲۶

الغريبان ۱۱۶

(ف)

فارس ۶۹۷۶۴۶۴۰۶۲۹۶۱۳۶۹

19

الفِجَالَةُ (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ٦٠٦٣٥

(ق)

القاسية ٧٩

ذو قار ۱۱۴۶ ۱۱۵۶

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراقِر = ذوقار

مَرْطَبَةٌ ٢٠٨

قطریل ۳۹

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٦١٥٦

قلعة الشُقيف = الشُقيف

(17)

کازرون (مدینة فارس) ۷۸

الكمية ٩٩٦٩٣٦٦٦٦٦٦

كلواذ ۱۴۷

الحكومة ٤٢٤ ٤٥٨ ٤٦٠ ٤٧٨ ٤٨٣

199619A611V61.76A8

باب کیسان (پدمشق) ۳۴

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

*
* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes prologomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.

On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.

Je crois avoir réussi à prouver que Djâhîz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte, d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayīn" des Persans, au "Ayīn" des Cosroés, à leur "Ayīn" au "Ayīn" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitāb el Tādij* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de *Djâhiz* se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de *Djâhiz*. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois*."

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de *Djâhiz* avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamid II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kutâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre س; il porte le titre de *Kitāb el Tādīj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre ص. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de كتاب التاج *Kitāb el Tādīj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originaire le titre de كتاب أخلاق الملوك *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre ب du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: كان الأصل سقامه "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitāb el Tādīj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabari et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportant avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, HAYÂN, t. II, p. 154, et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 52 et 53.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawṣilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

* *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

* * *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude : *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (أبي عثمان)".

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN. t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb *الإمتاع والمؤانسة* de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb *البيان والبيان* de la Bibliothèque de Fatih.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues." (*)

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmour, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fît un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmour voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(*) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayawân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéïte qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbasides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complait à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

* * *

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet créé (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djāhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djāhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ

LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHIE DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZEKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE

(Kitab el Tadj.)

